

The Druzes

www.muhammadanism.org
May 25, 2006
Arabic

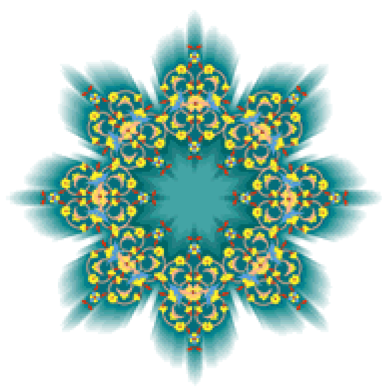
الدكتور عبد الرحمن بدوي

Dr. Abdel-Rahman Badawi

فصل من كتاب « **مذاهب الإسلاميين** »، المجلد الثاني،

الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٠٧ ــ ٨٢٣.

A Section of *"The Doctrines of Muslims-II,"*
First Edition, Beirut, 1973, pp 507-823.



مذهب الدروز وعقيدتهم

ينبثق مذهب الدروز، أو « الموحّدين » كما يفضلون أن يسموا أنفسهم، مـــن مـــذهب الإسماعيلية. ومن هنا يتفقان فيما بينهما في كثير من العقائد الأساسية والاصـــطلاحات، وإن حَرَص الدروز على توكيد استقلالهم عن سائر الفرق.

ويمكن أن نجمل عقائدهم الرئيسية فيما يلي:

١ ــ يعتقدون أن المنصور بن العـــزيز بالله بن المعز لـــدين الله الفـــاطمي، الملقب بـ« الحاكم بأمر الله » (والذي تولى الخلافة الفاطمية في مصر في رمضان سنة ٣٨٦ ﻫ وقُتل أو اختفى في ٢٧ شوال سنة ٤١١ ﻫ) هو الصورة الناسوتية للألوهية، وأنه « الأحد، الفـــرد الصمد، المنزّه عن الأزواج والعدد »، وأن « الموحد » (= الدرزي) « لا يعرف شيئاً غيـــر طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر وأنه قد سلّم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم، جلّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله، ساءه ذلـــك أم سره... وَمَنْ أقرّ أنه ليس له في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم ــ جلّ ذكره ــ كان من الموحّدين الفائزين[1] ». وفي رسالة « الـــبلاغ والنهايـــة فـــي التوحيد »

[1] رسالة « **ميثاق ولي الزمان** ».

يوصف الحاكم بأنه « مولانا ـــ سبحانه! ـــ معل علة العلل، جلّ ذكره، وعزّ اسمه، ولا معبود سواه. ليس له شبه في الجسمانية، ولا ضد في الجرمانيين، ولا كفؤ في الروحانيين، ولا نظير في النفسانيين، ولا مقـــام له في النورانيين ». وفي رســـالة « سبب الأسباب » يوصف بأنه « مولانا الذي لا يُدرَك بوهم ولا يدخل في الخواطر والفهم. ما من العالمين أحدٌ إلا هو معهم وهم لا يبصرون، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وهو ـــ جلّ ذكره! ـــ أعظم من أن يوصف أو يدرك. ومَنْ اتكل عليه فهو يكفيه جميع مهماته ».

٢ ـــ وأن الحدود الدينية خمسة، وهي:

أ ـــ العقل الكلي، وهو ذو معة، علة العلل، والإمام الأعظم حمزة بن علي بـــن أحمـــد الدرزي، هادي المستجيبين، وحمزة هو قائم الزمان. وهو شنطيل وآدم الحقيقـــي في الدور الحالي.

ب ـــ النفس الكلية، وهو ذو مصة، إذ يمتص العلم من الإمام الأعظم، وهـــو إدريـــس زمانه، وأخنوخ أوانه، وهرمس الهرامسة، والشيخ المجتبى، والحجـــة الصـــفية الرضية، وهو أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي، صهر حمزة بن علي.

جـ ـــ الكلمة، وهو سفير القدرة، والشيخ الرضى، فخر الموحدين، وبشـــير المـــؤمنين، وعماد المستجيبين، أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي.

د ـــ الجناح الأيمن (السابق)، نظام المستجيبين وعز الموحدين، أبو الخير سلامة بـــن عبد الوهاب السامري.

هـ ـــ الجناح الأيسر (التالي)، الشيخ المقتنى، لسان المؤمنين

وسند الموحدين، بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المشهور بـ « الضيف ».

وبهاء الدين له ثلاثة حدود، هم:

أ ــ الجد، وهو أيوب بن علي.

ب ــ الفتح، وهو رفاعة بن عبد الوارث.

جـ ــ الخيال، وهو محسن بن علي.

وحدود الإمامة والتوحيد سبعون درجة هكذا:

أ ــ النفس الكلية، وله اثنا عشر حجة في الجزائر، وسبعة دعاة للأقاليم.

ب ــ الكلمة، وله اثنا عشر حجة، وسبعة دعاة.

جـ ــ الجناح الأيمن (أي السابق) وله اثنا عشر حجة.

د ــ الجناح الأيسر (أي التالي) وله اثنا عشر حجة.

هـ ــ الداعي المطلق، وله مأذون واحد ومُطالبان.

فيكون المجموع سبعين، وعلى هذا أوّل حمزة الآية: « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » (**سورة الحاقة**، آية ٣٢)، فالسلسلة هي سلسلة حدود الإمامة والتوحيد.

٣ ــ وأن عدد الأرواح (أو النفوس) في العالم عدد محدود ثابت، وتتناسخ الأرواح، أي تنتقل إلى أجساد جديدة بعد الموت مباشرة، إلا الأرواح التي بلغت الكمال فإنها تصعد إلى النجوم. وبعض الجهال (وهم التابعون « للعقال » بين الدروز) يعتقدون في تناسخ نفوس الأشرار في الحيوان. فالنفوس عندهم ــ « معدودة محدودة، لا تزيد ولا تنقص،

باقية أزلية، لا تفنى، مستقرة في أمكنتها، غارقة في بحر عظمة اللاهوت، تفنى الأجساد القائمة بها وتتلاشى، وهي باقية إلى الأبد، لا تفنى ولا تتغير.[١] »

٤ ــ أن جميع الشرائع منقوضة، سواءً الشريعة الظاهرة والشريعة الباطنة، وحلت محلها ديانة التوحيد، وتبعاً لذلك تسقط ــ عندهم ــ أركان الشريعة الإسلامية الخمسة، وتقوم مقامها سبع خصال توحيدية هي:

أ ــ سِدْق (= صدق) اللسان.

ب ــ حفظ الإخوان.

جـ ــ ترك ما كان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العدم والبهتان.

د ــ البراءة من الأبالسة والطغيان ــ أي من الأنبياء السابقين ومن الأديان والشرائع السابقة.

هـ ــ التوحيد للمولى في كل عصر وزمان ودهر وأوان.

و ــ الرضا بفعله كيفما كان.

ز ــ التسليم لأمره في السر والحدثان.

والخصلة الأولى يقصد منها الصدق في القول. والخصلة الثانية ترمي إلى تماسك جماعة « الموحدين » وتكافلهم ووجود أخوّة بينهم كأنواع الأخوّات الدينية ذات الطقوس والروابط الخاصة والحميمة. والخصلة الثالثة ترمي إلى اطراح المذاهب الأخرى. والرابعة يراد منها التبري من كل الأنبياء

---

[1] **دائرة معارف البستاني**، جـ ٧، ص ٦٧٦ عمود ٢، بيروت، سنة ١٨٨٣.

السابقين، والخامسة هي التي اتخذها أصحاب المذهب إشارة لهم فسموا أنفسهم « الموحدين » وعقيدتهم ديانة التوحيد. والمولى هنا يقصد به الحاكم بأمر الله بوصفه أصدق آخـــر الصـــور الناسوتية للألوهية. والخصلتان السادسة والسابعة ترميان إلى التسليم لأمر الألوهية والرضـــا بفعلها كيفما كان، أي التسليم للقضاء والقدر والرضا به أيّاً كان.

كتب الدروز المقدسة

للدروز مجموعة من الرسائل التي تعد مقدسة عندهم، إذ منها يستمد عقـالهم مبـادئ مذهبهم. وتُسمّى أحياناً باسم « رسائل الحكمة » (كما في مخطوط منشن ٢١٧ أ). وعدد هذه الرسائل ١١١ رسالة، مقسمة إلى أربعة مجلدات، تتوالى فيها الرسائل بصورة مطـردة فـي جميع المخطوطات قديمها وحديثها. ومثل هذا الاطراد لا يمكن أن يكون قد تـمّ عَرَضـاً، إذ الرسائل منسوبة إلى أكابر أصحاب المذهب القدماء وتواريخها متفاوتة، ثم إنه يلاحظ أنهـا لا تحتوي على كل رسائل الدروز، المشار إليها في هذه الرسائل نفسها. وهذا يدل على أن تقنينها في هذه الصورة المنتظمة الموحدة قد تم في وقت لاحق، من بعده صارت بمثابـة مجموعـة قانونية ثابتة في عددها وترتيبها في داخل المجموعة ولهذا يثور السؤال عمّن قام بهذا التقنين النهائي. وقد ردّ هنز فير على هذا السؤال، في مقال ممتاز[1] بعنوان « حول مؤلفات حمزة في المجموعة القانونية الدرزية » قائلاً ما خلاصته أن الذي قام بذلك هو المقتنى بهـاء الـدين، الوزير الخامس، الذي وكل إليه حمزة في « غيبته » شئون الجماعة، والذي كتب قسماً ضخماً من هذه الرسائل

[1] Hans Wehr: « *Zu den Schiften Hamza's in Drusenkanon* », in ZDMG, B. 96 (1942), pp. 137-207.

القانونية، تشمل المجلدات من الثالث حتى السادس، أي حوالي سبعين رسالة تتسم بالصعوبة في اللفظ والمعنى. واستند في هذا الرأي إلى ما ورد في كتاب لأحد علماء الدروز المتأخرين، عنوانه « **مختصر البيان في مجرى الزمان** »،[1] فقد ورد فيه ما يلي:

« وكانت مدة دعوة المقتنى سبع عشرة سنة. وكان يعرض رسائله على الإمام وهو مستور في مكان يعرفه المقتنى، وأيضاً الحدود الثلاثة ـــ أي النفس والكلمة، والسابق ـــ كانوا مستورين في مكان يعلمه مولاي بهاء الدين. ثم لما غاب المقتنى فجعل رسائله الشريفة مع رسائل قائم الزمان ورسائل حجته النفس الكلية ـــ كلمة توحيدية نائبة عن ظهور أشخاصهم الشريفة قائمة بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم، ومعرفة الفروض والبداية والنهاية، والوعد والوعيد، والثواب والعقاب، والزمان الماضي والزمان الآتي، وغير ذلك، » (ص ٦٧ ـــ ٦٨ من نشرة هنري جيس).

ولكن هذا النص لا يكفي لإثبات ما ذهب إليه هانز فير، ولا بد من حجج أخرى لإثبات دعواه. ومع الأسف لا يسعفنا في هذا الموضوع ما لدينا من مخطوطات، لأنها جميعاً كما قلنا بنفس الترتيب والعدد، ومعظمها حديثة.

وقبل سرد أسماء هذه الكتب، نذكر مخطوطاتها:

[1] نشره هنري جيس في باريس سنة ١٨٦٣. Henri Guys : *Théogonie des Druzes*

المخطوطات

أ ــ مخطوطات المجلد الأول

برلين فيدمان برقم ١٨٧٠، Mq 316، جمعية المستشــرقين الألمانيــة DMG ١٢٧، منشن ٢١٧، مانشستر ريلند ١١٧ أ، كمبردج ١٣٦١، ١٣٦٣، ١٣٦٥، برنستون ــ جاريت ١٦١٣، باريس ١٤٠٨ ــ ١٤١٢، ليدن ١٩٧٨ (١)، لنــدن المتحــف البريطــاني ١١٤٣، لينجراد المتحف الآسيوي ٩٦، أبسالا ٥٠١ (ثورنبرج)، ١٦٣ (زترســتين)، اســتكهلم ٢٠، فاتيكان ٩٠٩، ١٣٤٠، برلين قطع الثُّمن ١٤٠٣، ١٤٠٤، التيمورية (دار الكتب المصــرية) برقم ٢٧٦ عقائد، مكتبة جامعة القديس يوسف ببيروت (راجع المشرق سنة ١٩٠٢ ص ٨١٠ ــ ص ٨١٢).

ب ــ مخطوطات المجلد الثاني

برلين Mq 317، ٣٧٣، ٤٢٣، ٤٧٠، ٥٢٤، فيدمان ١٥٥٠، L b g 2146، قطع الثمن ١٤٠٥ ــ ١٤٠٧، ٢٠٩٩، جمعية المستشرقين الألمانية DMG ١٢٨، جوتــا ٨٥٥، منشــن ٢١٨ ــ ٢٢٠، توبنجن ١٢٩، ليبتسك ٢٩٢، فيينــا ١٥٧٤، الفاتيكــان ٣٧٩، ٧٢١، ٩١٠، ٩٣٣، ١٣٣٢، ١٣٣٥، ١٣٣٧، ١٣٤٨، مانشستر ريلنــد ١١٩، ١٢٢، ليــدن ١٩٧٨ (٢)، المتحف البريطاني ١١٤٤، الملحق ٢١٨، كمبردج ١٣٦٤، أبســالا ٥٠٢، بــاريس ١٤١٥، ١٤٢٣، لينجراد المتحف الآسيوي ٩٧، برنستون ــ جاريت ١٦١٥ ــ ١٦١٦، التيموريــة (دار الكتب المصرية) برقم ٦٧١ (بالتصوير الشمسي) ويشمل ٣٤ رسالة، التيموريــة بــرقم ٦٦٢ عقائد

المخطوط رقم ٧ في مؤسسة كيتاني بأكاديمية لنشاي Acc. Dei Lincei فـي رومـا، مكتبـة جامعة القديس يوسف في بيروت.

جـ ــ مخطوطات المجلد الثالث

برلين نصف الربع Mq ٣١٨، قطع الثمن ١٤٠٨، قطع الربع ٨١٩، منشـن ٢٢١، ٢٢٢، الفاتيكان ٩١١، باريس ١٤٢٧ ــ ٢٨، ليننجراد المتحف الآسيوي ٩٨، مكتبة جامعـة القديس يوسف في بيروت.

د ــ مخطوطات المجلد الرابع

برلين قطع الربع ٨١٥، الفاتيكان ٩١٢، مانشستر ــ ريلند ١٢٠، كمبـردج ١٣٦٢، باريس ١٤٣٠، لندن المتحف البريطاني ١١٤٧، اليس ــ أدورد ٥٦٣٤، اكسفورد (Nic.) ص ٤٢٠ ــ ٤٢٨، ليننجراد المتحف الآسيوي ٩٩، كمبردج الملحق ٦٩٠ أ.

مخطوطات المجلدين الثالث والرابع معاً

باريس ١٤٢٤ ــ ١٤٢٦، مانشستر ــ ريلند ١٢١، أبسالا ٥٠٣.

هـ ــ مخطوطات المجلّد الخامس

باريس ١٤٣٥، أبسالا (ثورنبرج) ٥٠٤.

و ــ مخطوطات المجلد السادس

منشن ٢٢٤، لينجراد (ILO) ٢٨، باريس ٣٤/١٤٣٣، لنــدن المتحــف البريطــاني ١١٤٩.

مخطوطات المجلدين الخامس والسادس معاً

برلين Mq ٣١٩، قطع الثمن ١٤٠٩، مانشستر ــ ريلند ١١٨، باريس ١٤٣٢، لندن المتحف البريطاني ١٣٨، اكسفورد (.Nic) ص ٤٢٨ ــ ٤٣٢، الفاتيكــان ٩١٣، لينجــراد المتحف الآسيوي ١٠٠.

مخطوطات المجلدات من الأول إلى السادس

فينا ١٥٧٣.

المجلدات من الثالث إلى السادس

برلين، قطع الربع ٨١٤.

مخطوطات رسائل الدروز في دار الكتب المصرية بالقاهرة

الأرقام التالية في قسم « عقائد النحل »:

٢٠، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٥٤، ١٣٣، ١٣٨ ــ عقائد النحل.

المجلد الأول من مجموع رسائل الدروز

١ ــ نسخة السجلّ الذي وُجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم. هــذا هو السجل الذي وجد معلقاً في المساجد لدي غيبة الحاكم بأمر الله في سنة ٤١١ ﻫ وتاريخ هذا السجل هو شهر ذو القعدة من سنة ٤١١ ﻫ وقد نشره سلفستر دي ساسي في كتابه « **منتخبات عربيــة** » *Chrestomatie arabe* ج ٢ ص ١٩١، باريس ١٨٠٦ (ط٢ ١٨٢٨) وأعاد طبعه عبد الله عنان: « **الحــاكم بــأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية** » ص ٣٩٧ ــ ٤٠٢ ط ٢ القاهرة سنة ١٩٥٩ على أساس مخطوط دار الكتب رقم ٣٧ عقــائد النحل، ثم عبــد المنعم ماجــد في « **الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه** »، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٥، القاهرة ســنة ١٩٥٩.

وقد اعتقد دي ساسي أن مؤلفه هو حمزة بن علي، ولكن هانز فير (في ZDMG ج ٦ ٩ سنة ١٩٤٢ ص ١٩٢ ــ ١٩٤) يرى غير ذلك لأن فيه عبارات تناقض ما يذكره حمزة في رسائله الأخرى في وصفه للحاكم بأمر الله مثل قول حمزة في رسالة « **البلاغ والنهاية فــي التوحيد** »: ــ أنه من الشرك أن يدعي الحاكم بأمر الله خليفة الله، ولي الله، سلام الله عليــه، الخ. ».

٢ ــ السجلّ المنهي فيه عن الخمر.

تاريخه ذو القعدة سنة ٤٠٠ ﻫ.

وقد نشره دي ساسي في « **منتخبات عربية** » ج ٢ ص ٢٠٢.

٣ ــ خبر اليهود والنصارى.

بدون تاريخ.

٤ ــ نسخة ما كتبه القرمطي إلى مولانا الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين عند وصوله إلى مصر ومعه جواب الحاكم.

وقد نشره دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢٠٥.

٥ ــ ميثاق وليّ الزمان.

نشره دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢٠٦، ونشره عنان في: « **الحاكم بأمر الله** » ص ٤٠٣ القاهرة ط٢ سنة ١٩٥٩.

٦ ــ الكتاب المعروف بالنقض الخفيّ.

والمقصود بالنقض هو نقض الشريعة بمعنييها الظاهر والباطن. وتاريخه شهر صفر سنة ٤٠٨ هـ، السنة الأولى من سنوات حمزة.

٧ ــ الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق.

تاريخها شهر رمضان سنة ٤٠٨ هـ، السنة الأولى من سنوات حمزة. وفيها ورد ذكر الرسالة رقم ٦.

٨ ــ ميثاق النساء.

الغرض منها موجّه إلى تعليم نساء الموحّدين، أي الدروز. وفيها تقرير قواعد الآداب التي ينبغي على رجال الدين أن يتبعوها في تعليمهم النساء، والعهود التي ينبغي أخذها على النساء حتى يحتفظن بالعفاف ويتحلين بالفضائل ويتمسكن بمبادئ التوحيد.

٩ ــ رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد إلى كافة الموحّدين المتبرئين من التلحيد تاريخها شهر المحرم من السنة الثانية لحمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

وفيها كلام عن مآل الكافرين ومصير الموحدين، ويوم القيامة والأخرويات بوجه عام.

١٠ ــ الغاية والنصيحة.

تاريخها شهر ربيع الآخر من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

١١ ــ كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل وفيه تأويل لأفعال الحاكم اليومية وما تنطوي عليه من المعاني الخفية.

وقد نشر معظمه د. محمد كامل حسين في كتابه « **طائفة الدروز** »، ص ٤٥ ــ ٥٠. القاهرة، سنة ١٩٦٢.

١٢ ـــ السيرة المستقيمة.

وهي سيرة الحاكم، وفيها أخبار عديدة عن حياته ويراد من إيرادها البرهنة على ألوهيته وتاريخها شهر جمادى الأولى من السنة الثانية من سنوات حمـــزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

١٣ ـــ كشف الحقائق.

تاريخها شهر رمضان من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

ويقول عنها دي ساسي: « حمزة هو مؤلف هذه الرسالة وفيها يعـــرض آراءه بشأن انتاج وزراء ديانة التوحيد، وأنهم يعتبرون انبعاثـــات مباشـــرة أو غيـــر مباشرة للألوهية، وأنهم يقيمون في أشخاص مختلفين على التوالي، وكذلك رأيه في الوزراء المضادين والأشرار. وفيها عرض لكل مراتب طائفة الـــدروز ». وتبحث في حدود الدين.

١٤ ـــ الرسالة الموسومة بسبب الأسباب وكنزٌ لمن أيقن واستجاب.

وفيها يرد حمزة أحد الدعاة الذين أساءوا فهم بعض كلامه ويتحدث عن الدعاة، وعن سبب تسميته لنفسه باسم « علة العلل ».

المجلد الثاني من مجموع رسائل الدروز

١٥ ــ (الأولى في المجلد الثاني) الرسالة الدامغة للفاسق في الردّ على النصيري لعنه المولى في كل كور ودور.

نشر فصولاً منها دي ساسي في « **المجلة الآسيوية** » المجلد العاشر، ص ٣٢١ وما يتلوها. ويعتقد دي ساسي أن هذه الرسالة وكل الرسائل التالية حتى رقم ٢٢ في هذا المجلد، هي لحمزة، فيما عدا رقم ١٨.

١٦ ــ (الثانية في المجلد) الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم.

تاريخها شهر ربيع الآخر من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ)

وفيها كلام عن نشتكين الدرزي، وتمرده على حمزة، وعن البرذعي الذي ناصر نشتكين.

١٧ ــ (الثالثة في المجلد) رسالة التنزيه.

تاريخها شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

وفيها كلام عن الوزراء الخمسة الكبار في ديانة التوحيد، وأضدادهم الحدود الخمسة الضالّين. وهؤلاء الخمسة الأضداد يسميهم هكذا: ١ ــ عبد الرحيم بن الياس، ٢ ــ عباس بن شعيب، ٣ ــ الداعي ختكين، ٤ ــ جعفر، الملقب بالضرير، ٥ ــ القاضي أحمد بن العوّام.

١٨ ــ (الرابعة في المجلد) رسالة النساء الكبيرة.

لا تحمل تاريخاً، ولكن دي ساسي يقترح أن تؤرخ بالسنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ) إذ ظاهر أنها كُتبت قبل وفاة الحاكم، فقد ورد في نهايتها أنها مقدمة إلى أخاكم.

١٩ ــ (الخامسة في المجلد) الصبحة الكائنة.

فيها ذكر النزاع بين أصحاب التأويل وأصحاب التنزيل. تاريخها شهر شعبان من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

٢٠ ــ (السادسة في المجلد) نسخة سجلّ المجتبى.

وهذا السجل أعطى للداعي أبي إبراهيم إسماعيل التميمي.

والمجتبى هو الحد الثاني في مراتب الدروز، وهو الأول بعد حمزة، ويدعى أيضاً: « النفس » كما يدعى حمزة « العقل ».

٢١ ــ (السابعة في المجلد) تقليد الرضى، سفير القدرة.

والرضى اسم الحد الثالث، وهو الثاني بعد حمزة، ويدعى أيضاً: « الكلمة ». وتاريخها شهر شوّال من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ).

٢٢ ــ (الثامنة في المجلد) تقليد المقتنى.

تاريخها ١٣ شعبان من السنة الثالثة من سنوات حمزة (سنة ٤١٠ هـ).

والمقتنى هـو الداعي أبو الحسن علي بن أحمـد السموقي الملقـب بـ « بهـاء الدين ». ومن ألقابه أيضاً « الجناح الأيسر » وهو الحد الخامس.

والرسالة تتعلق بتعيين المقتنى في رتبته الدينية هذه.

٢٣ ــ (التاسعة في المجلد) مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء.

في هذه الرسالة يدعو حمزة أهل الكدية البيضاء إلى سؤال حسن بن هبة الرفـا عمّا يعنّ لهم من أمور الدين.

٢٤ ــ (العاشرة في المجلد) رسالة حمزة إلى الموحدين من أهل أنصنا تاريخهـا ١٠ جمادى الآخرة من السنة الثالثة لحمزة (= سنة ٤١٠ هـ) وفيهـا يـدعو أهـل[1] أنصنا (= إسنا في صعيد مصر) إلى الصبر والتسليم لقضاء الله.

٢٥ ــ (الحادية عشرة في المجلد) شروط الإمام صاحب الكشف.

نشرها دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢٠٧.

---

[1] ورد في **المنتظم**، لابن الجوزي جـ ٧ ص ٢٩٠ ما يلي: « رجاء بن عيسـى بـن محمـد، أبـو العبـاس الانصناوي، وأنصنا قرية من قرى صعيد مصر ». وفي « **معجم البلدان** » ليـاقوت هـ ١ ص ٣٨١ (نشـرة فستنفلد): **أنصنا**: بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة والنون، مقصور: مدينة أزلية من نـواحي الصـعيد على شرقي النيل... وفيها برابي وآثار كثيرة ».

ويدور موضوعها حول العلاقة الزوجية ومما ينبغي مراعاتــه بــين الــزوج والزوجة في حالة طلاقهما.

٢٦ ــ (الثانية عشرة في المجلد) الرسالة التي أرسلت إلى ولي العهد، عهد المسلمين، عبد الرحيم بن إلياس.

نشرها دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢٠٩. وعبد الرحيم بــن إلياس هو ولي عهد الحاكم بأمر الله على الخلافة.

٢٧ ــ (الثالثة عشرة في المجلد) رسالة إلى خمار بن جيش السليماني العكاوي.

وقد ادعى خمار هذا بأنه أخو الحاكم بأمر الله.

ونشرها دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢١١.

٢٨ ــ (الرابعة عشرة في المجلد) الرسالة المنفذة إلى القاضي.

وقد بعث بها حمزة إلى قاضي القضاة أحمد بن أبي العوام يدعوه فيها إلى خلع نفسه من ولاية القضاء على الموحّدين، لأنه لا يؤمن بألوهية الحاكم بأمر الله.

وتاريخها في شهر ربيع الأول من السنة الثانية من سنوات حمزة (= سنة ٤٠٩ هـ) وقد نشرها دي ساسي في « **منتخبات عربية** » جـ ٢ ص ٢١٣.

٢٩ ــ (الخامسة عشرة في المجلد) المناجاة، مناجاة ولي الحق.

وولي الحق هو حمزة. والمناجاة موجهة من حمزة إلى الحاكم بأمر الله.

٣٠ ــ (السادسة عشرة في المجلد) الدعاء المستجاب.

٣١ ــ (السابعة عشرة في المجلد) التقديس، دعاء السادقين، دعاء لنجاة الموحّدين العارفين.

ويلاحظ أن الدروز في كل كتاباتهم يكتبون مادة: « صدق » ومشتقاتها بالسين، لا بالصاد لأسباب تتعلق بحساب الجُمّل (حساب الأعداد الدالة على حروف الأبجدية) حيث السن = ٦٠ بينما الصاد = ٩٠.

٣٢ ــ (الثامنة عشرة في المجلد) ذكر معرفة الإمام، وأسماء الحدود العلوية روحانياً وجسمانياً.

يرى دي ساسي أن هذه الرسالة الثمينة جداً لأنها مفتاح معرفة الحدود ــ ليست من تأليف حمزة.

٣٣ ــ (التاسعة عشرة في المجلد) رسالة التحذير والتنبيه.

في هذه الرسالة يتحدث حمزة عن عظمة المهمة الموكولة إليه. ويبشر الموحّدين الصادقين بما ينتظرهم من جزاء، ويعلن للعصاة غير المؤمنين ما ينتظرهم من عقاب.

٣٤ ــ (العشرون في المجلد) الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار، الشافية لقلوب أهل الحق من المرض والاحتيار.

موضوعها شبيه بموضوع الرسالة رقم ٣٣، وفيها يحاول حمزة

اجتذاب أولئك الذين انصرفوا عنه وتعلقوا بزعيم آخر كان يلقب بلقب « ابن البربرية ».

٣٥ ـ (الحادية والعشرون في المجلد) رسالة الغيبة.

وهي رسالة موجهة إلى أهل الشام خاصة، بعد غيبة الحاكم بأمر الله بمدة قليلة. وغرضها شخذ إيمان الموحّدين الذين تزعزع إيمانهم بعد غيبة الحاكم، وتذكيرهم بواجباتهم وصرفهم عن الظن أن الألوهية قد انتقلت بعد الحاكم بأمر الله إلى شخص آخر.

٣٦ ـ (الثانية والعشرون في المجلد) كتاب فيه تقسيم العلوم.

تاريخها شهر المحرم من السنة الثالثة من سنوات حمزة (= سنة ٤١٠ هـ).

وقد كتبها، فيما يرى دي ساسي، الحد الذي يتلو حمزة وهو « النفس »، وقد ألفها بأمر من حمزة جواباً عن طلب سائل في هذا الموضوع، موضوع تقسيم العلوم إلى أقسام عدتها خمسة: اثنان موضوعهما الأمور الروحية، واثنان يتعلقان بالأمور الزمانية، والخامس وهو أعلاها: يتعلق بمعرفة التوحيد.

٣٧ ـ (الثالثة والعشرون في المجلد) رسالة الزناد.

ويرى دي ساسي أن من المؤكد أن هذه الرسالة ليست لحمزة، ويعتقد أن مؤلفها هو « النفس ». وقد عُنونت « بالزناد » إذ فيها يشبه الحد الأول، أي «العقل»، وهو حمزة بالحجر، « والنفس »

بالزناد، وفضل الله هو القداحة التي تقدح « العقل » فيندفع منه الشرار، الـذي تتلقاه « النفس ».

وفيها تأويل لكثير من آيات القرآن.

والواقع أن هذه الرسالة هي من تأليف إسماعيل بن محمد التميمي.

٣٨ ــ (الرابعة والعشرون في المجلد) رسالة الشمعة.

هذه الرسالة من تأليف إسماعيل بن محمد التميمي الملقب بـ « النفس » ويقـول دي ساسي إنها لا بد ألفت في حياة الحاكم، لأن المؤلف يقول إنه أهداها إليـه وأنه أمره بإذاعتها. وعنونت بـ « الشمعة » لأن الحدود العليا الخمسة يشـبهون فيها بشمعة مضيئة، أجزاؤها الخمسة هي: الشمع، الفتيـل، والنـار، والشـعلة الرقيقة الزرقاء التي تعلو الجزء الأكبر من الشعلة، والشمعدان.

٣٩ ــ (الخامسة والعشرون في المجلد) الرشد، والهداية.

من تأليف « النفس »، أي إسماعيل بن محمد التميمي، وفيهـا يمجّـد مرتبتـه ويدعو الموحّدين إلى المثابرة وعدم الاستسلام.

٤٠ ــ (السادسة والعشرون في المجلد) شِعْر النّفْس.

قصيدة من نظم « النفس »، أي إسماعيل بن محمد التميمي، وهي موجّهة إلـى أهل جبل السمّاق.

المجلد الثالث من مجموع رسائل الدروز

٤١ ــ (الأولى في المجلد) الجزء الأول من السبعة أجزاء.

وفيها عرض للتعليم الأول من تعاليم ديانة التوحيد.

٤٢ ــ (الثانية في المجلد) الرسالIII الموسومة بالتنبيه والتأنيب والتوبيخ والتوقيف.

تاريخها في السنة الرابعة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٢ ﻫ)، وهي موجّهة إلى معدّ بن محمد وطاهر بن تميم. ويقول دي ساسي إنه يبدو أن هذين الداعيين كان إيمانهما تزعزĭ بغد غيبة الحاكم، والغرض من هذه الرسالة تثبيت إيمانهما وتحريضهما على نشر ديانة التوحيد علناً. وفيها دعوة إلى إظهار ديانة التوحيد في غيبة الحاكم بأمر الله.

٤٣ ــ (الثالثة في المجلد) مَثَلٌ ضربه بعض حكxاء الديانة توبيخاً لمن قصّر عن حفظ الأمانة.

يفترض دي ساسي أن هذا المثل المضروب يتعلق بخلوة حمزة.

٤٤ ــ (الرابعة في المجلد) رسالة إلى بني أبي حمار.

والكلام فيها يهدف إلى إثبات أن الألوهية لم تنتقل من الحاكم بأمر الله إلى ابنه « على »، المعروف « بالظاهر » الذي خلفه في الخلافة الفاطمية. وفيها كلام عن إيمان بني أبي حمار وأنهم في رعاية الله.

٤٥ ــ (الخامسة في المجلد) تقليدُ لاحقٍ: التقليد الأول إلى الشيخ المختار.

تاريخه شهر المحرّم من السنة العاشرة من سنوات حمــزة (= ســنة ٤١٨ هـ) وهذا التقليد يخول له الحق في الدعوة وضم المستجيبين.

٤٦ ــ (السادسة في المجلد) تقليد سكين.

تاريخه شهر جمادى الآخرة من السنة العاشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤١٨ هـ).

٤٧ ــ (السابعة في المجلد) تقليد الشيخ أبي الكتائب.

مرسوم تعيين الشيخ أبي الكتائب داعياً في البيضاء وفي كل الصعيد ويقترح دي ساسي أن البيضاء هي كدية البيضاء المذكورة في الرسالة رقم ٢٣.

٤٨ ــ (الثامنة في المجلد) تقليد الأمير ذي المحامد كفيل الموحدين أبــي الفــوارس معضاد بن يوسف، الساكن بفلجين.

كان أبو الفوارس هذا داعياً تحت الداعي سكين.

٤٩ ــ (التاسعة في المجلد) تقليد بني جرّاح.

كان لبني الجرّاح مكانة كبيرة في الشام، وبخاصة في فلسطين، في أيام العزيز والحاكم بأمر الله. وفي بداية عهد الحاكم خرجوا عليه، بقيادة زعيمهم حسان بن مفرج بن الجراح، واستولوا على

الرملة (في فلسطين) وقتلوا حاكمها من قبل الفاطميين. واستدعوا أمير الحرمين الحسين بن جعفر بن محمد الحسني، الذي يرجع بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ونادوا به خليفة بدلاً من الحاكم، باسم أمير المؤمنين الراشد لـدين الله. وبسط بنو الجرّاح سلطانهم على القسم الجنوبي من الشام. فلما رأى الحاكم شدة بأسهم، راح يستميلهم خصوصاً بعد أن هزموا الجيش الذي أرسله بقيادة يارختكين، حتى استقرت له طاعتهم. (راجع « **الخطط** » للمقريزي ج ٣ ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦، الانطاكي: « **صلة تاريخ أوتيخا** » ص ٢٠١).

٥٠ ــ (العاشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالجُمَيْهرية.

هذه الرسالة موجّهة إلى كثير من الدعاة الذين كانوا شيوخاً في قبيلة تنوخ بوادي التيم وجبل لبنان.

تاريخها شهر جمادى الآخرة من السنة العاشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤١٨ هـ).

٥١ ــ (الحادية عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالتعنيف والتهجين لجماعة من سنهور من كتامة الكاتمين العجيسيين.

تاريخها شهر جمادى الآخرة من السنة العاشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤١٨ هـ). وقد بعث بها بهاء الدين المقتنى إلى قوم من قبيلة كتامة كانوا يقيمون في سنهور، لا يذكر أسماءهم خوفاً عليهم، ويدعوهم إلى التحرز من المضلِّين. وسنهور اسم لأربع بلاد في مصر منها واحدة في البحيرة في مركز دمنهور، والثانية في الغربية وهي المشهور بسنهور المدينة، والثالثة في الشرقية وتُسمّى سنهور السباخ (وقد اندثرت ومكانها يعرف اليوم باسم تل

سنهور في مركز فاقوس) والرابعة في الشرقية أيضاً من حقوق منية مسيفي.

٥٢ ــ (الثانية عشرة في المجلد) رسالة الوادي.

هذه الرسالة موجهة إلى الدعاة في قرية الوادي، إحدى قرى محافظة الشرقية بمصر.

٥٣ ــ (الثالثة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالقسطنطينية المُنفَذة إلى قسطنطين متملك النصرانية.

بعث بها إلى قسطنطين بن أرمانوس Constantin, fils d'Armanous (قسطنطين الثامن ابن رومانوس الثاني) امبراطور القسطنطينية، يدعوه فيها بهاء الدين المقتنى إلى اعتناق مذهب التوحيد هو وشعبه.

وتاريخها ٢٢ صفر من السنة الحادية عشرة من سنوات حمزة. السابعة من غيبة الحاكم (= سنة ٤١٩ هـ). وقد نشرت في MFOB (منشورات الكلية الشرقية اليسوعية في بيروت) جـ ٣، ص ٤٩٣ ــ ٥٣٤، مع ترجمة فرنسية.

٥٤ ــ (الرابعة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالمسيحية وأم القلائد النسكية وقامعة العقائد الشرْكية بعث بها إلى المسيحيين، وفيها يثبت أن حمزة بن علي هو المسيح حقاً.

٥٥ ــ (الخامسة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد.

وهذه الرسالة، مثلها مثل رقمي ٥٣، ٥٤، حافلة بنقول من الأناجيل وبعض الطقوس، وقد أوّلت تأويلاً يتفق مع عقائد ديانة التوحيد. وفيها كما في الاثنتين السابقتين محّاجة للمسيحيين وهجوم عنيف على المسيحية.

وقد بعث بها المقتنى بهاء الدين إلى الأمير ميخائيل (وهو ميخائيل البفلاجوني Michel Paphlagonien زوج زوئيه Zoé بنت قسطنطين الثامن)، صهر قسطنطين الثامن الموجهة إليه الرسالة رقم ٥٣.

٥٦ ــ (السادسة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالإيقاظ والبشارة لأهل الغفلة وآل الحق والطهارة.

تاريخها ١٠ ذي القعدة من السنة الخامسة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٣ هـ).

وهي موجهة إلى سكان العراقين وفارس. وفيها تبشير بقرب ظهور حمزة.

٥٧ ــ (السابعة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالحقائق والإنذار والتأديب لجميع الخلائق. تاريخها شهر جمادى الآخرة من السنة السابعة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٥ هـ).

وهي موجهة إلى أهل جبل لبنان وأنطاكية وقسم من سوريا والعراق. وفيها يشكو بهاء الدين المقتنى من الأباطيل التي غيّرت حقيقة ديانة التوحيد ومن المضللين الذي نشروا هذه الأباطيل.

٥٨ ــ (الثانية عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة بالشافية لنفوس الموحّدين، الممرضة لقلوب المقصّرين الجاحدين.

وفيها تثبيت للموحدين في عقيدتهم وتوكيد إيمانهم.

٥٩ ــ (التاسعة عشرة في المجلد) رسالة العرب.

بعث بها إلى أهل سوريا العليا والسفلى، وأهل الصعيد، والحجاز، واليمن والعراقين، والجزيرة، وخصوصاً إلى كثير من شيوخ العرب، ومن بينهم حسن بن مفرّج، وجابر. وتاريخها ١٠ رجب سنة ٤٢٢ هـ.

٦٠ ــ (العشرون في المجلد) رسالة اليمن وهداية النفوس الطاهرات، ولَمّ الشّمل وَجمْع الشتات.

تاريخها في شهر شوال من السنة السابعة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٥ هـ).

وقد بعث بها إلى أهل اليمن المعتنقين لديانة التوحيد.

٦١ ــ (الحادية والعشرون في المجلد) رسالة الهند الموسومة بالتذكار والكمال إلى الشيخ الرشيد المسدّد المفضال.

تاريخها في السنة السابعة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٥ هـ) وقد بعث بها إلى الموحدين المقيمين في الهند، وخصوصاً إلى الشيخ الرشيد ابن صومار راجابال، حاكم المنطقة الشمالية الغربية في الهند وملتان. ومنها يتبين أنه كان يوجد في هذه المنطقة عدد غير قليل من أتباع المذهب الدرزي. ويذكر فيها أمير اسمه مسعود، وربما كان المقصود به هو مسعود بن السلطان محمود الغزنوي.

٦٢ ــ (الثانية والعشرون في المجلد) الرسالة الموسومة بالتقريع والبيان وإقامة الحجة لولي الزمان. بعث بهذه الرسالة إلى أهل القاهرة والفسطاط.

٦٣ ــ (الثالثة والعشرون في المجلد) الرسالة الموسومة بتأديب الولد العاقّ من الأولاد، الغافل عن تغيير السّوَر (= الصّوَر) العاصية عند الانتقال في دار المعاد ورجوع أنفسها إلى الانسفال بعد العلوّ بمصاحبة الأضداد.

وموضوعها كما هو ظاهر من عنوانها هو تناسخ الأرواح عقاباً لها على عدم إيمانها بألوهية الحاكم بأمر الله.

٦٤ ــ (الرابعة والعشرون في المجلد) الرسالة الموسومة بالقاصعة للفرعون الدّعي، الفاضحة لعقيدة الكذّاب المعتوه الشقيّ.

تاريخها شهر رجب من السنة الثامنة عشرة من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٦ هـ). وفيها رد على من يدعى باسم ابن الكردي الذي ادعى أن روح الحاكم بأمر الله حلّت فيه.

٦٥ ــ (الخامسة والعشرون في المجلد) كتاب أبي اليقظان، وما توفيقي إلاّ بطاعة حدود وليّ الزمان.

بعث المقتنى بهاء الدين بهذه الرسالة إلى الشيخ أبي اليقظان الذي كلفه بزيارة خلوة للموحدين واخباره عما فيها من الأحوال بعد إظهار « سكين » أنه الحاكم بأمر الله.

٦٦ ــ (السادسة والعشرون في المجلد) الرسالة الموسومة بتمييز الموحّدين الطائعين من حزب العصاة الفسقة الناكثين.

٦٧ ــ (السابعة والعشرون في المجلد) رسالة من دون قائم الزمان والهادي إلى طاعة الرحمن.

ويرى دي ساسي أن أسلوب هذه الرسالة يختلف اختلافاً كبيراً عن أسلوب المقتنى بهاء الدين، كما أنها ليست لحمزة، لأنه أينما يرد ذكره يقول: رضي الله عنه.

٦٨ ــ (الثامنة والعشرون في المجلد) رسالة السفر إلى السادة في الدعوة لطاعة وليّ الحق الإمام القائم المنتظر.

هذه الرسالة التي كتبها المقتنى بهاء الدين قد بعث بها إلى كثير من الشيوخ العرب في الأحساء.

وتاريخها شهر صفر من السنة الثانية والعشرين من سنوات حمزة (= سنة ٤٣٠ هـ).

المجلد الرابع من رسائل الدروز

٦٩ ــ (الأولى من المجلد الرابع) الرسالة الموسومة بمعراج نجاة الموحدين، وسُلّم حياة المعرفين.

٧٠ ــ (الثانية من المجلد) الرسالة في ذكر المعاد، والرد على من عبّر بالغلط والإلحاد.

٧١ ــ (الثالثة من المجلد) الرسالة الموسومة بالتبيين والاستدراك،

لبعض ما لم تدركه العقول في كشف الكفر المحجوب من الإلحاد والإشراك.

هذه الرسالة من تأليف المقتنى بهاء الدين، وفيها إشارة إلى الرسالة رقم ٥٥.

٧٢ ــ (الرابعة من المجلد) الرسالة الإسرائيلية الدامغة لأهل اللدَد والمجون، أعني الكفرة من أهل شريعة اليهود.

من تأليف المقتنى، وإنْ لم يذكر اسمه، لأنه يشير إلى الرسالة رقم ٥٥ على أنها من تأليفه ويورد المؤلف فيها عبارات من أسفار التوراة، وسفر أشعيا، وملاخيا، والمزامير.

٧٣ ــ (الخامسة من المجلد) الرسالة الموسومة بأحد وسبعين سؤالاً، سأل بها بعض المدّعين الفسقة الجهال وأئمة الجوْر والضلال.

وفيها يذكر سجلاً موجهاً إلى صالح بن علي الذي كان داعياً بجزيرة الري. ولهذا يفترض دي ساسي أن صالحاً هذا هو الروذباري الذي يرد ذكره في سيرة الحاكم.

٧٤ ــ (السادسة في المجلد) الرسالة الموسومة بإيضاح التوحيد لمن تنبّه مِنْ سِنّة الغفلة وعرف الحق وانتصر، وإثبات الحجة ببرهان الدين والرد على من أشرك بالباري وشك فيه وجحد الحد والحق وأنكر. تاريخها شهر ذي القعدة من السنة الثانية والعشرين من سنوات حمزة (= سنة ٤٣٠ هـ) ويرد اسم مؤلفها وهو بهاء الدين

المقتنى. ويقول دي ساسي إنها من أغرب رسائل الدروز. والمؤلف يورد فيها مقتبسات كثيرة عن مجالس المعزّ. ويشير إلى أمر صادر من الحاكم يسمح لكل شخص بأن يمارس علناً دينه. « ومن العجيب أن المقتنى حين يذكر العزيز والد الحاكم، يلقبه بـ « مولانا » ويُتبعه بالعبارة: « على ذكره السلام » ــ وهذا يدل على أن العزيز والحاكم كانا ــ بحسب رأيه ــ تجسّداً للألوهية وحداً. وأخيراً يخبرنا بأمر لم أجده في مكان آخر، وهو أن الحاكم منع من استعمال العبارة: « آبائه الأكرمين » حين التحدث عن آبائه. ولا شك في أن السبب في هذا التحريم هو أن مثل هذه العبارة لا تليق لياقة كافية بمن حلّت فيهم الألوهية »[1].

٧٥ ــ (السابعة في المجلد) ذكر الرد على أهل التأويل الذين يوجبون تكرار الإله في الأقمصة المختلفة.

٧٦ ــ (الثامنة في المجلد) توبيخ ابن البربرية: الرسالة الموسومة بالدامغة للفاسق النجس، الفاضحة لأتباعه أهل الردّة والبلس.

يرى دي ساسي أن مؤلفها هو المقتنى بهاء الدين، ولكن لم يرد اسمه في الرسالة. ويشير المؤلف إلى رسالة حمزة بن علي الموسومة باسم: « **رسالة الأعذار والانذار** »، وهي رقم ٣٤ في رسائل الدروز. ويشير إلى حوادث وقعت في السنة العشرين من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٨ هـ) بل وإلى أحداث وقعت بعد ذلك.

[1] Sylvestre de Sacy *: Exposé de la religion des Druzes*, I, pp. CCCCXCIX- D. Paris, 1838.

٧٧ ــ (التاسعة في المجلد) توبيخ « لاحق ».

كان « لاحق » يمارس مهمة التفتيش على كثير من « الأقاليم » و« الجزائر » (تقسيمات الأماكن عند الدروز)، وكان يلقب بـ « الكوكب السيّار ». وفي الرسالة رقم ٤٥ تقليده لمهمة الداعي والمؤلف. ويشير المؤلف إلى رسالة لحمزة عنوانها « **رسالة الغيار الدامغة لأهل الكذب والعصيان والأحرار** »، وهي غير واردة بين مجموعات رسائل الدروز هذه. والتوبيخ يتوجه إلى بعض ما نسب إلى لاحق من تصرفات مخالفة لقواعد ديانة التوحيد واتصاله بأحد الدجالين.

٧٨ ــ (العاشرة في المجلد) توبيخ الخائب العاجز « سكين ».

توبيخه على اتصاله بابن الكردي، الدجّال الذي يرد ذكره مراراً في الرسائل أرقام ٦٤، ٦٥، ثم على قتله أحد الرسل الذين أرسلوا إليه (ويقول دي ساسي إن من المحتمل أن يكون هذا الرسول هو ابن عمّار، الذي يشار إليه في الرسالة رقم ٨٠ الآتية)

٧٩ ــ (الحادية عشرة في المجلد) توبيخ ابن أبي حصية.

من تأليف المقتنى بهاء الدين، وموضوعها تحذير الموحدين من آراء شخص يدعى ابن أبي حصية الذي أباح الكثير من المنكرات التي حرّمها حمزة والمقتنى في « **الرسالة القاصعة للفرعون الدعي** » (الرسالة رقم ٦٤) وفي « **رسالة أبي اليقظان** » (الرسالة رقم ٦٥)

٨٠ ــ (الثانية عشرة في المجلد) توبيخ « سهل ».

هذا التوبيخ بعضه نثر وبعضه نظم.

٨١ ــ (الثالثة عشرة في المجلد) توبيخ حسن بن معلاّ.

في هذه الرسالة يبين الكاتب مؤامرات حسن بن معلاّ الذي يلوح أنه اشترك في مقتل ابن عمار الذي بعث به المقتنى، وينسب قتله إلى ابن الكردي.

٨٢ ــ (الرابعة عشرة في المجلد) توبيخ الخائب مُحلّى.

في هذه الرسالة يوبّخ المقتنى بهاء الدين الدعاة على تعلقهم بالدجال المسمى مُحلّى، الذي كان يدعو إلى الإباحة، ويبيح لغيره الاتصال بزوجته.

ولما كان الكاتب يقول إنه يدعو إلى ديانة التوحيد منذ ١٧ سنة ولما كان المقتنى قد عين حداً بلقب « الجناح الأيسر » في سنة ٤١٠ هـ فلا بد أن يكون تاريخ هذه الرسالة هو سنة ٤٢٧ هـ إذا كان الأمر يتعلق بتقليده هذه المرتبة. لكن من المحتمل ــ كما يقول دي ساسي ــ أن يكون المقتنى بهاء الدين قد كان داعياً قبل بلوغه هذه المرتبة، (**الكتاب المذكور** ص ١١١).

٨٣ ــ (الخامسة عشرة في المجلد) رسالة البنات الكبيرة.

٨٤ ــ (السادسة عشرة في المجلد) رسالة البنات الصغيرة.

نشر هاتيْن الرسالتيْن (٨٣، ٨٤) سلڤستر دي ساسي في « **منتخبات عربية** »، ط ٢، جـ ٢.

٨٥ ــ (السابعة عشرة في المجلد) المقالة في الردّ على المنجّمين.

٨٦ ــ (الثامنة عشرة في المجلد) الرسالة الموسومة ببدء الخلق.

مؤلف هذه الرسالة هــو المقتنى، وهو في نهايتها يذكر لقبه: « بهاء الــدين »، « الجناح الأيسر »، « الرابع والأخير »، « وأصغر الحدود ». وهو «الرابع» من حيث عدم حساب حمزة بن علي. وفيها يجيب عن سؤال أحد الموحــدين، الذي سأله عن طبيعة النفس.

٨٧ ــ (التاسعة عشرة في المجلد) [الرسالة] المرسومة بالموعظة. يرى دي ساسي أن المؤلف لا بد أن يكون المقتنى، والمؤلف يؤرخ هذه الرسالة باليوم الخامس من جمادى الأولى من سنة ٢١ من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٨ هـ).

٨٨ ــ (العشرون في المجلد) المواجهة.

هذه الرسالة بعث بها المقتنى بهاء الدين إلى حمــزة يوصـــي فيهــا بـــبعض الأشخاص الذين أرسل معهم إلى حمزة نسخاً من كتب مختلفة ألفها عن ديانـــة التوحيد ورسائل وجهها إلى بعض الدعاة.

ويفترض دي ساسي أن وضعها في المجموعة يؤذن بأن تاريخها

هو نفس تاريخ الرسالة السابقة، أي سنة ٤٢٨ هـ، وأنه يمكن أن يستنتج من ذلك أنه في سنة ٤٢٨ هـ كان حمزة لا يزال يوجه الطائفة التي أنشأ مذهبها، يوجهُها وهو في مختبأه.

٨٩ ــ (الحادية والعشرون في المجلد) مكاتبة الشيخ أبو الكتائب.

راجع الرسالة رقم ٤٧ بعنوان: « تقليد الشيخ أبي الكتائب »، وكان قــد عــيّن داعياً في الكدية البيضاء وكل الصعيد.

٩٠ ــ (الثانية والعشرون في المجلد) منشور إلى آل عبد الله.

ورد في المنشور أنه بتاريخ يوم الجمعة ١٤ ذي القعدة، لكن دون ذكر الســنة! ويرد فيه أن انتصار ديانة التوحيد قريب وأن ثمة بشائر لذلك من ناحية تهامة.

٩١ ــ (الثالثة والعشرون في المجلد) جواب كتاب السادة.

وفيه تبشير بقرب ظهور « قائم الزمان »، أي حمزة بن علي، وأن ذلك ســيقع في أقصى اليَمَن.

٩٢ ــ (الرابعة والعشرون في المجلد) الكتاب المُنفَذ على يد سرايا.

وليس فيه أمور دينية، بل تجارية، إذ يذكر فيه أن أسعار الحبوب رخيصة فــي الفسطاط، وأنه قد راجت أخبار بأن الروم استولوا على صقلية، ويرجو المؤلف ألا تكون هذه الأخبار صحيحة.

٩٣ ــ (الخامسة والعشرون في المجلد) مكاتبة تذكرة.

ليس فيها أمور دينية، ويبدو أنها موجهة ضد مشرف على قرية أو ضيعة اغتصب أموالها.

ويرى دي ساسي أن من الممكن أن يكون رقما ٩٢، ٩٣ ذوي معانٍ تأويلية رمزية.

٩٤ ــ (السادسة والعشرون في المجلد) مكاتبة مضر بن فتوح. وحالتها مشابهة للحالة السابقة في ٩٢، ٩٣، كما يقول دي ساسي.

٩٥ ــ (السابعة والعشرون في المجلد) السجل الوارد إلى نصر. فيه شكوى من ابن المعلّى. راجع الرسالة رقم ٨٠.

٩٦ ــ (الثامنة والعشرون في المجلد) منشور الشيخ أبو المعالي طاهر. وفيها تكليف أبي المعالي طاهر بمحاسبة مشرف غير أمين.

٩٧ ــ (التاسعة والعشرون في المجلد) منشور إلى جماعة أبي تراب. يحمل هذا المنشور اسم المقتنى بهاء الدين بوصفه مؤلفه.

٩٨ ــ (الثلاثون في المجلد) رسالة جَبَل السماق.

من تأليف المقتنى بهاء الدين، وتاريخها شهر ربيع الآخر من السنة ٢١ من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٩ هـ). وقد بعث بها إلى

الموحدين في جبل السماق، يحثهم فيها على عدم اتباع أولئك الذين مزجوا ديانة التوحيد بالضلالات.

ويستدل دي ساسي من هذه الرسالة ومن كثير من الرسائل السابقة أنه حوالي سنة ٤٢٨ ﻫ كان المقتنى بهاء الدين يأمل في خروج حمزة من مخبأة وقيادة الموحّدين.

٩٩ ــ (الحادية والثلاثون في المجلد) منشور إلى آل عبد الله وآل سليمان.

من تأليف المقتنى بهاء الدين، وتاريخها شهر ربيع الآخر من السنة الحادية والعشرين من سنوات حمزة (= سنة ٤٢٩ ﻫ). وقد بعث بها إلى الموحدين.

١٠٠ ــ (الثانية والثلاثون في المجلد) منشور أبا علي.

ويطالب فيه باتخاذ الإجراءات الكفيلة بتوصيل الأموال المستحقة، دون استعمال للشدة. ويبدو أن المنشور قد بعث به المقتنى. وفيه يبين لأبي علي ماذا ينبغي فعله بما تركه شيخ قد اغتيل (هو ابن عمار).

١٠١ ــ (الثالثة والثلاثون في المجلد) منشور رمز لأبي الخير سلامة.

هذا المنشور يتعلق بشئون تجارية، وفيه كلام عن رجل يدعى « حسن »، ضل باتّباعه لآراء شخص يلقب بـ « الشيطان السندي ».

١٠٢ ــ (الرابعة والثلاثون في المجلد) منشور الشرط والبَطّ[1].

وفيه جواب عن شكوى شيوخ، بعبارات غير لائقة، من توبيخ وجه إليهم من المقتنى ويبرر ذلك بأنه قرأ في إحدى رسائل حمزة أن أقل الأدوية تأثيراً وفائدة هي المسَكّنات، وأكثرها فائدة هي الأدوية التي يعافها الذوق، والشرط والبط والحجامة.

١٠٣ ــ (الخامسة والثلاثون في المجلد) مكاتبة إلى الشيوخ الأوّابين.

مؤلفها هو المقتنى بهاء الدين كما ورد في آخرها. وفيها يهنئ الشيوخ الذين بعث بهذه الرسالة إليهم المقتنى بانصرافهم عن المضلّلين الذين ضلّلوهم. ويعلن أن ساعة انتصار ديانة التوحيد قريبة.

١٠٤ ــ (السادسة والثلاثون في المجلد) منشور في ذكر إقالة سعد.

هذا المنشور يتعلق بشيخ اسمه سعد وبأشخاص آخرين، خصوصاً من مدينة البستان، وقد تابوا عن ضلالتهم.

ويذكر في المنشور أن مؤلفه هو المقتنى بهاء الدين.

١٠٥ ــ (السابعة والثلاثون في المجلد) مكاتبة رمز إلى الشيخ أبو المعالي.

هذه الرسالة الرمزية التي تتكلم عن الحراثين والبذور والأوقاف

[1] **البط:** فتح الدمل.

والناظر الخالي من الأمانة والسجلات التي مزقها ــ رسالة ينبغي تأويل كل ما فيها على أساس الدعوة وخيانة بعض الدعاة الذين مزّقوا سجلات المستجيبين.

١٠٦ ــ (الثامنة والثلاثون في المجلد) منشور إلى المحل الأزهر الشريف.

رغم عدم ذكر اسم المؤلف، فإن ما فيها يؤكد أن مؤلفها هو المقتنى. وموضوعها الاعتراف ببراءة كثير من الموحدين، رجالاً ونساءً، ممن اتهموا بأنهم شاركوا في وضع الضلالات في ديانة الموحدين. والمؤلف سجل أسماء كل الشيوخ في « ديوان السعادة »، وحين يكمل هذا الثبت فإن كل هذه الأسماء ستقيد في « ديوان المشيئة ومحلّ الإرادة ».

١٠٧ ــ (التاسعة والثلاثون في المجلد) منشور نصر بن فتوح.

يدلّ هذا المنشور على أن المؤلف ــ ومن المؤكد أنه المقتنى بهاء الدين ــ كان على مكاتبات مع نصر الذي كان يقيم ــ فيما يبدو ــ في البستان، وأنه كان كثير الثقة به. وهو ينصحه بأن يقل من المكاتبة قدر الإمكان، وأن يلتزم بالسريّة التامة.

١٠٨ ــ (الأربعون في المجلد) مكاتبة رمز إلى أبي تراب.

يحذّر المؤلف ــ ولا شك أنه المقتنى بهاء الدين ــ من ابن الكردي الموجود آنذاك في مصر، ومن الجرمقي الذي يعمل بوحي من ابن

الكردي. وفي الرسالة كلام عن الزراعة والتجارة والآفات التي تلحق بأشجار الزيتون والكروم والتين من فعل الجراد. وكل هذا ينبغي تأويله رمزياً، كما ورد في عنوان الرسالة.

١٠٩ ــ (الحادية والأربعون في المجلد) الرسالة الواصلة إلى الجبل الأنور.

من تأليف المقتنى بهاء الدين، وتاريخها شهر رمضان من السنة السادسة والعشرين من سنوات حمزة (= سنة ٤٣٣ هـ). وفيها توبيخ لأولئك الذين أفسدوا ديانة التوحيد بمذاهبهم الإباحية.

١١٠ ــ (الثانية والأربعون في المجلد) مكاتبة الشيخ أبي المعالي.

رد المقتنى بهاء الدين على رسالة وصلته من أبي المعالي. وتاريخها السنة السادسة والعشرون من سنوات حمزة (= سنة ٤٣٣ هـ). وفيها يعتذر للشيخ عن أنه لا يجرؤ على الذهاب لمقابلة الشيخ، نظراً لكثرة عدد اللصوص والأشرار، ولا اعتماد له إلا على الله، وهو يخشى العصاة الذين أفسدوا ديانة التوحيد أكثر مما يخشى المسلمين من أهل السنة.

١١١ ــ (الثالثة والأربعون في المجلد) (رسالة) منسوبة بالغيبة.

في هذه الرسالة يودع المقتنى (ولا يرد اسمه في الرسالة) الموحدين، ويعلن عزمه على الغيبة، ويوصيهم بالتمسك بالآراء التي علّمهم إياها، خصوصاً ما ورد منها في الرسالة إلى أبي اليقظان (الرسالة رقم ٦٥). ويعلن براءته من التعاليم الفاسدة التي أذاعها لاحق

وسكين وأشباههما.

ويفترض دي ساسي أن تاريخها لا بد أن يكون سنة ٤٣٣ هـ.

ملاحظات على هذه الرسائل

١ ــ من المشكوك فيه جداً أن تكون الرسالة رقم ١: « السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد... » هي من تأليف حمزة بن علي، نظراً لأن مضمونها يتنافى مع آراء حمزة في سائر رسائله. ولئن قيل في تبرير هذا التناقض أن هذا « السجل » قصد به العلانية وإشاعة الطمأنينة بعد غيبة (مقتل) الحاكم، كما يشير إلى ذلك خاتمة « السجل »، وهذه العلانية تقتضي ترضي العقائد العامة السائدة ــ فإن هذا الاعتبار لا يكفي. وعلى كل حالٍ فمن الصعب أو المستحيل معرفة من كتب هذا السجل.

٢ ــ الرسائل التي ألفها حمزة بن علي في هذا المجموع كله هي:

أ ــ أرقام ٥ ــ ١٤ (في المجلد الأول).

ب ــ أرقام ١٥ ــ ٣٥ (في المجلد الثاني)[1].

جـ ــ رقم ٤٥ (في المجلد الثالث).

ولكن دي ساسي[2]، وفي إثره هانزفير (ZDMG) جـ ٩٦ سنة

---

[1] سنستعمل الأرقام بحسب تسلسلها العام في كل الرسائل، كما وضعناه، لا بحسب عددها في كل مجلد.

[2] دي ساسي: « **عرض لديانة الدروز** » جـ١ ص ١ CCCCXXVII.

١٩٤٢ ص ١٩٤)، يشكّ في صحة نسبة الرسالة رقم ٣٢: « ذكر معرفة الإمام » إلى حمزة، وفيها ثبت بـ « الأسماء الواقعة على مولاي قائم الزمان » ــ على أساس أن « قائم الزمان » وهو حمزة لا يقول عن نفسه « مولاي »، والرد على هذا سهل: فمن الممكن أن يكون المضاف هو « مولاي » فقط، وأن تكون الرسالة كلها صحيحة، وهو أمر يقع كثيراً من الناسخين التالين، تكريماً للشخص. وإذن فهذه الحجة داحضة.

ومن هذه الرسائل المنسوبة إلى حمزة يرد اسمه صراحة بوصفه مؤلفاً في الرسائل التالية:

رقم ٩ : رسالة البلاغ والنهاية.

رقم ١٠ : الغاية والنصيحة.

رقم ١٧ : رسالة التنزيه إلى جماعة الموحّدين.

رقم ١٩ : الصبحة الكائنة.

رقم ٢٠ : نسخة سجل المجتبي.

رقم ٢١ : تقليد الرضا.

رقم ٢٢ : تقليد المقتنى.

رقم ٢٣ : مكاتبة إلى أهل الكدية البيضاء.

رقم ٢٤ : رسالة إلى (أهل) انصنا.

رقم ٢٦ : الرسالة التي أرسلت إلى وليّ العهد.

رقم ٢٧ : رسالة خمار بن جيش.

رقم ٢٨ : الرسالة المنفذة إلى القاضي.

رقم ٣٤ : الرسالة الموسومة بالإعذار والإنذار.

ومن عنوان رقم ٢٥: « **شرط الإمام صاحب الكشف** » يستخلص أنها لحمزة بن علي.

ويرى هانز فير (**الموضع نفسه** ص ١٩٥) أن ثمة رسائل فيها تجديد في الدين وآراء جديدة عليها أقيم مذهب التوحيد، بحيث لا بد أن نفترض أن مؤلفها هو حمزة. وهذه الرسائل هي:

رقم ٦ : النقض الخفي.

رقم ٧ : بدء التوحيد.

رقم ٨ : ميثاق النساء.

رقم ١٢ : السيرة المستقيمة.

رقم ١٣ : كشف الحقائق.

رقم ١٤ : سبب الأسباب.

رقم ١٦ : الرضا والتسليم.

رقم ١٨ : رسالة النساء الكبيرة.

رقم ٣٣ : رسالة التحذير والتنبيه.

كذلك يمكن أن نفترض، كما فعل[1] دي ساسي، أن الرسالة رقم ٣٥: « **رسالة الغيبة** » هي من تأليف حمزة، وبها تختم رسائل

[1] دي ساسي: **الكتاب المذكور**، جـ ١ ص ٢٠٨.

حمزة، ويتلوها رسائل التميمي. وفي حاشية على مخطوطة اطلع عليها دي ساسي ورد أنهـــا ألفت بعد غيبة الحاكم. كذلك يدل مضمونها على أنها آخر ما كتبه حمزة قبيل غيبتـــه، وفيهـــا تقوية لعزائم أتباعه في الشام وهي نوع بمثابة رسالة وداع. وقد قام حمزة بتأليف هذه الرسائل الثلاثين ــ إذا استبعدنا رقمي ٣٢، ٤٤ ــ في الفترة ما بين سنة ٤٠٨ إلى ٤١١ هـ ومن بين رسائل حمزة هذه نجد ١٣ منها ذكرت فيها تواريخها.

ومن المؤكد أن هذه الرسائل الاثنتين والثلاثين (إن حسبنا رقمي ٣٢، ٤٤) ليست هي كل رسائل حمزة، لأنه هو نفسه يشير إلى رسائل له لم تدخل في هذه الرسائل. فمـــثلاً فـــي الرسالة رقم ١٧: « **رسالة التنزيه إلى جمـــاعة الموحدين** » يشير مرتين إلى ما يسميه باسم « **الكتـــاب المنفرد بذاته** »، وفي الرســـالة رقم ١٥ يشير إلى كتـــاب في الـــزواج عنوانه: « **الشريعة الروحانية في علم اللطيف والبسيط والكثيف** ». وهذان العنوانان لا يوجدان بـــين مجموع رسائل الدروز هذه.

٣ ــ إلى جانب الرسائل الإحدى عشرة ومائة التي أوردنا بيانها، والتي تؤلف رسائل الدروز الحقيقية، هناك رسائل يغلب على الظن أنها محاكيات وتقليدات، ربما كتب بعضها في حياة حمزة بن علي هو نفسه، وهذا يصدق على ما ورد فـــي مخطـــوط فينـــا رقـــم ١٥٧٧ (فهرست فلوجل)، وفيه الرسائل التالية:

١ ــ الرسالة الأولى بغير عنوان ولا اسم مؤلف.

٢ ــ « الرسالة الموسومة بالدرّ المكنون في حقائق الهزل عن الملك المصون مولانا الحاكم » ــ وقد ورد في المخطوط (ورقة ٨ ب) أنها من تأليف حمزة.

٣ ــ الرسالة الموسومة بالدامغة الزهرية في الرد على النصيري وإله النصيرية. ـــ وقد ورد في المخطوط (ورقة ٤٢ ب) أنها من تأليف حمزة.

٤ ــ الرسالة الموسومة بأزهار الرياض في نقض شريعة النصارى الفسقة الأضداد.

وورد في المخطوط أنها من تأليف إسماعيل، أي إسماعيل بن محمد التميمـــي، ثاني الحدود.

٥ ــ الرسالة الموسومة بنور التقريب في الرد على الدرزي الفاسق العطيـــب، لعنـــه المولى في كل طورٍ ودور مجيب.

وهي في الرد على الدرزي، لمخالفة مذهبه لمذهب حمزة. وقد ورد أن مؤلفها هو « حميد الأخ الثالث ». ومن المعروف أن الحد الثالث هو محمد بن وهب.

٦ ــ الرسالة الموسومة بالكنز المورود في أداء ما بقي علينا من نقض شريعة اليهود. ــ وفيها رد على مذهب اليهود عند أبي الخير، الحد الرابع، أي أبي الخير بن سلامه بن عبد الوهاب.

٧ ــ الرسالة الموسومة بالإيجاد والبداية في أول البناء وقبة النهاية. ومذكور أنها من تأليف بهاء الدين (ورقة ٦٧ ب).

٨ ــ الرسالة الموسومة بكنز الاختصاص، والهداية لمن طلب الخلاص.

وقد بعث بها بهاء الدين (ورقة ٧٤ ب) إلى رجل يدعى حبيـــب النجـــار فـــي أنطاكية.

وفيما عدا هذه الرسالة الأخيرة، فإن باقي الرسائل السبع مرسلة إلى آل يونان، الــذين يُوصفون بـ « المقرّبين » لدي مولانا، الأخوان الموحدين الداخلين في دائرة التوحيــد، عُبّــاد مولانا تعالى، المعترفين بربوبية مولانا الحاكم، خلاصة البشر والعالمين المستجيبين ».

ويقدم هانز فير (المقال المذكور، ص ٢٠٣ ــ ٢٠٥) أدلة على أن هذه الرسائل ليست صحيحة بل هي تقليدات ومحاكيات. « وعلينا أن نقول إن المجلد الذي يعده الــدروز اليــوم المجلد السابع من كتبهم المقدسة ليس صحيحاً، بمعنى أنه لم يؤلفه حمزة ولا أحد حدوده. وأود أن أفترض أن هذه الرسائل قد وضعها مؤلف ربما كان مسيحياً قبطياً في الأصل ثم اعتنــق العقيدة الدرزية، وأنه نشرها في مصر على أنها من تأليف حمزة وحدوده. ويمكن أن نستنتج من غزارة علمه بالحاكم وبمذهب الدرزي المقتول في سنة ٤١٠ هـ أنه ربما كــان معاصــراً لحمزة، وأن التواريخ المذكورة فيها صحيحة. وعلى وجــه العمــوم لا شــك فــي أن لهــذه المجموعة قيمة عالية من الناحية التاريخية الدينية » (المقال المذكور في ZDMG جـ ٩٦ سنة ١٩٤٢ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦).

غير أن الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث لمعرفة حقيقة هذه المجموعة من الرســائل الثماني ومن هو مؤلفها، وماذا تمثل بالنسبة إلى معرفة عقائد الدروز.

٤ ــ يوجد في مؤسسة كايتاني Caetani بأكاديمية لنشاى الأهلية Acc. Dei Lincei في روما مخطوط برقم ٨ عنوانه: « **كتاب المناظرات وبهجة المذاكرات وكاشف الاختلافات في مواقع الأسماء والصفات** ».

وهو معجم لمعاني الاصطلاحات المستعملة عند الدروز، مرتب

كترتيب المعاجم العربية الرئيسية هكذا: باب الباء، فصل العين ـــ فمثلاً: **الظمآن**، تـــرد إلـــى ماضي الفعل: **ظمأ**، فيكون الاسم من باب الألف، فصل الظاء. **الحكمة**، ترد إلـــى الماضـــي: **حكم**، فتكون في باب الميم، فصل الحاء.

وقد كتب بألوان حبر مختلفة: فما هو بالحبر الأحمر هو من كلام الحكمة المنصوصة. وما هو مكتوب بالحبر الأسود هو التفسير والبيان. وتذكر أسماء الرســـائل فـــوق الفصـــول المستشهد بها، لإمكان الرجوع إلى مواضعها في الرسائل.

وهذا المعجم مفيداً جداً في فهم ديانة الدروز ورسائلهم، وينبغي الاستعانة بـــه لفهـــم تعاليمهم واصطلاحاتهم.

٥ ـــ وهناك كتاب صغير مخطوط في التيمورية برقم ٥٥٢ عقائد، عنوانه: « **التعاليم الدينية الابتدائية للدروز** » على طريقة السؤال والجواب، يقصد به إلى تعليم « الجهال » من الدروز.

وقد نشر عدة مرات وترجم إلى بعض اللغات الأوربية. راجع:

a) Eichhorn : *Reportorium morgenlandlishe uncit. biblishe Literatur*, XII (1783);
b) Regnault : *« Catéchisme à l'usage des Druses djahels »* in Bulletin de la société de Géographie (Paris), VII (1827), pp. 22-30.

٦ ـــ وقد نشر كرستيان زيبولد رسالة موسومة باسم « **كتاب النقط والدوائر** »، أحـــد رسائل الدروز المقدسة، وألحق به نشر رسالتين هما:

« **الرسالة الموسومة ببدء الخلق،** » و« **رسالة كشف الحقائق** » لحمزة ابن علي ــ وذلــك بالعنوان التالي:

Die Drusenschrift: Kitab Alnoqat Waldawin, heransyeg in Einbertung, Facsimile und anhangen versehen, von Dr. Christian Seybold. 1902.

ويقع في ١٥ ــ ٩٦ صفحة.

الحاكم بأمر الله والدعوة الجديدة

ولا بد لنا من الالماع إلى الحاكم بأمر الله، الذي هو الأساس في ديانة التوحيد هذه.

وقد حار المؤرخون منذ أيامه في تقويم حقيقته، لأنها تستعصى على كل تقويم، نظراً لما اتسمت به تصرفاته من التناقض الشديد. ولنستعرض بعض ما قاله المؤرخون الإسلاميون في ذلك.

قـــال أبو المظفر بن قزأوغلى في « **مرآة الزمان** »، ونقله عنه ابن تغري بردى في « **النجوم الزاهرة** »: « وكانت خلافته **(**أي الحاكم بأمر الله**)** متضادة بين شـــجاعة وإقـــدام. وجُبن وإحجام، ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميلٍ إلى الصلاح، وقتل للصـــلحاء. وكـــان الغالب عليه السخاء، وربما بخل بما لم يبخلْ به أحدٌ قط. وأقام يلبس الصوف ســـبعَ ســـنين، وامتنع من دخول الحمام. وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثم عنّ له أن يجلس فـــي الظلمة فجلس فيها مدة. وقتل من العلماء والكتاب والأماثل ما لا يُحصى. وكتب على المساجد والجوامع سبّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العـــاص ــ رضي الله عنهم ــ في سنة خمسة وتسعين

وثلثمائة، ثم محاه في سنة سبع وتسعين. وأمر بقتل الكلاب، وبيع الفقاع[1]، ثم نهى عنه. ورفع المكوس عن البلاد وعمّا يباع فيها. ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها، ونفى المنجمين، وكان يرصدها، ويخدم زُحَل وطالعه المريخ، ولهذا كان يسفك الدماء، وبنى جامع[2] القاهرة، وجامع راشدة[3] على النيل بمصر، ومساجد كثيرة، ونقل إليها المصاحف المُفضضّة والستورَ الحرير وقناديل الذهب والفضة ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها. وقطع الكروم ومنع من بيع العنب، ولم يبقِ في ولايته كرماً، وأراق خمسة آلاف جرة من عسل في البحر خوفاً من أن تعمل نبيذاً. ومنع النساء من الخروج من بيوتهنّ ليلاً ونهاراً. وجعل لأهل الذمة علامات يعرفون بها، وألبس اليهود العمائم السود، وأمر ألا يركبوا مع المسلمين في سفينة، وألا يستخدموا غلاماً مسلماً ولا يركبوا حمار مسلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حماماً — وجعل لهم حمامات على حِدة. ولم يُبقِ في ولايته ديراً ولا كنيسة إلاّ هدمها. ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه، والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات، وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين — ثم رجع عن ذلك. وأسلم خلقٌ من أهل الذمة خوفاً منه، ثم ارتدوا، وأعاد الكنائس إلى حالها (أورده ابن تغري بردى: « **النجوم الزاهرة** » جـ ٤ ص ١٧٦ — ١٧٨، القاهرة سنة ١٩٣٣).

---

[1] **الفقاع**: شراب يُتخذ من الشعير، يعلوه الزبد والفقاعات، شبيه « بالبيرة ».

[2] يقصد جامع الحاكم، المُسمى أيضاً بالجامع الأنور، وهو ملاصق لباب الفتوح. وكان الذي أسسه هو والده العزيز بالله سنة ٣٨٢ هـ، وأكمله الحاكم سنة ٤٠١ (المقريزي جـ ٢ ص ٢٧٧).

[3] سُمّي بهذا الاسم لأنه بني في خطة راشدة بن أدب بن جديلة. وكان يقع هذا الجامع قبله بين مدينة الفسطاط (مصر القديمة) ودير الطين. وقد زال، وموضعه يعرف الآن بمقام الست راشدة. وقد شرع في عمارته في ١٧ ربيع الأول سنة ٣٩٣، وتولى بناءه الحافظ أبو محمد عبد الغني بن سعيد، وصحح محرابه أبو الحسن علي بن يونس المنجم.

وفي نفس المعنى قـال الذهبي عنه في كتـابه « **تاريخ الإسـلام** » ونقله صـاحب « **النجوم الزاهرة** »:

« كان (أي الحاكم) جواداً سَمْحاً، خبيثاً ماكراً، رديء الاعتقاد، سفاكاً للـدماء. قتـل عدداً كبيراً من كبراء دولته صَبْراً. وكان عجيب السيرة، يخترع كل وقت أمـوراً وأحكامـاً يحمل الرعية عليها: فأمر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمرَ العمّـال بالسبّ في الأقطار في سنة خمس وتسعين وثلثمائة. وأمر بقتل الكلاب في مملكته وَبطّل الفقاع والملوخيا، ونهى عن السمك وظفر بمن باع ذلك فقتلهم. ونهى في سنة اثنتين وأربعمائة عـن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئاً عظيماً فأحرق الكل. ومنع من بيع العنب، وأبـاد كثيـراً مـن الكروم. وأمر النصارى بأن تُعمل في أعناقهم الصّلبان، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته خمسة أرطال بالمصري، وأمر اليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي الخشب في زنة الصلبان أيضاً وأن يلبسوا العمائمُ السود، ولا يكتروا من مسلمٍ بهيمة، وأن يدخلوا الحمّام بالصلبان، ثم أفرد لهم حمّامات. وفي العام أمر بهدم الكنيسة المعروفة بالقمامة[1]. ولما أرسـل إليـه ابـن باديس[2] ينكر عليه أفعاله أراد استمالته فأظهر التفقه وحمل في كمه الدفاتر، وطلب إليه فقيهيْن وأمرهما بتدريس مذهب مالك في الجامع. ثم بدا له فقتلهما صـبراً. وأذن للنصـارى الـذين أكرههم إلى الإسلام في الرجوع إلى الشرك. وفي سنة أربع وأربعمائة منع النساء من الخروج في الطريق، ومنع من عَمَل الخفاف لهن، فلم يَزَلْن ممنوعات سبعَ سنين وسبعة أشهر حتـى مات. ثم إنه بعد مدة أمر ببناء ما كان أمر بهدمه من الكنائس. وكان أبوه

[1] القمامة أو القيامة هي كنيسة القبر المقدس في القدس.

[2] أي المعز بن باديس، وهو المعز بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي.

العزيز قد ابتدأ ببناء جامعه الكبير بالقاهرة (يعني الذي هو دخل باب النصر) فتممه هو، وكان على بنائه ونظره الحافظ عبد الغني بن سعيد. وكان الحاكم يفعل الشيء ثم ينقضه. وخرج عليه أبو ركوة[1] الوليد ابن هشام العثماني الأموي الأندلسي بنواحي برقة، فمال إليه خَلْق عظيم. فجهّز الحاكم لحربه جيشاً، فانتصر عليهم أبو ركوة وَمَلك، ثم تكاثروا عليه وأسروه، ويقال إنه قتل من أصحابه مقدار سبعين ألفاً. وحُمِل أبو ركوة إلى الحاكم فذبحه في سنة سبع وتسعين »[2].

ويقدم ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) عرضاً شبيهاً بعرض الذهبي، ولكنه أدق في التفاصيل. قال في ترجمة الحاكم:

« كان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كثيراً من أماثل دولته وغيرهم صبراً. وكانت سيرته مِنْ أعجب السير، يخترع كل وقتٍ أحكاماً يحمل الناس على العمل بها: منها أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكَتْب سب الصحابة ـ رضوان الله عليهم في حيطان المساجد والمقابر والشوارع، وكتب إلى سائر عمّال الديار المصرية يأمرهم بالسب، ثم أمر بقلع ذلك ونهى عنه وعن فعله سنة سبع وتسعين، ثم تقدم بعد ذلك بمدة يسيرة بضرب من يسب الصحابة وتأديبه ثمّ يشهر. ـ ومنها أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلثمائة ـ فلم يُرَ كلبٌ في الأسواق والأزقة والشوارع إلاّ قُتل. ـ ومنها أنه نهى عن بيع الفقاع والملوخيا والترمس والجرجير والسمك

[1] الركوة الاناء الصغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركوات وركاو. وسُمّي بذلك لأنه كان يحملها دائماً لوضوئه.
[2] نقله، باختصار، ابن تغري بردي في « **النجوم الزاهرة** » جـ ٤ ص ١٧٨ ـ ١٧٩، القاهرة سنة ١٩٣٢.

الذي لا قشر له، وأمر بالتشديد في ذلك والمبالغة في تأديب من يتعرض لشيء منه، وظهر على جماعة أنهم باعوا أشياء منه، فضربهم بالسياط وطيف بهم ثم ضربت أعناقهم. ــ ومنها أنه في سنة اثنتين وأربعمائة نهى عن بيع الزبيب ــ قليله وكثيره ــ على اختلاف أنواعه، ونهى التجار عن حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرق جميعها، ويقال إن مقدار النفقة التي غرموها على إحراقه كانت خمسمائة دينار. وفي هذه السنة منع من بيع العنب، وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا كثيراً من كرومها ورموها في الأرض وداسوها بالبقر، وَجَمع ما كان في مخازنها من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة وحملت إلى شاطئ النيل وكسرت وقلبت في النيل. ــ وفي هذه السنة (أي سنة ٤٠٢) أمر النصارى واليهود إلا الخيابرة[1] بلبس العمائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم الصلبان مما يكون طوله ذراعاً ووزنه خمسة أرطال، وأن يحمل اليهود في أعناقهم قرامي الخشب على وزن صلبان النصارى، ولا يركبوا شيئاً من المراكب (دواب الركوب) المحلاة، وأن تكون ركبهم (أي البراذع) من الخشب، ولا يستخدموا أحداً من المسلمين، ولا يركبوا حماراً لمكارٍ مسلم، ولا سفينة نوتيها مسلم. وأن يكون في أعناق النصارى، إذا دخلوا الحمامَ، الصلبان، وفي أعناق اليهود الجلاجل ليتميزوا عن المسلمين. ثم أفرد حمامات اليهود والنصارى من حمامات المسلمين، ووضع على حمامات النصارى الصلبان، وعلى حمامات اليهود القرامي، وذلك في سنة ثمان وأربعمائة. وفيها (أي سنة ٤٠٨ هـ) أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة، وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأرباع والأحباس لجماعة من المسلمين. وتتابع

[1] أي المنحدرين من يهود خيبر.

إسلام جماعة من النصارى. وفي هذه السنة (سنة ٤٠٨ هـ) نهى عن تقبيل الأرض له وعن الدعاء والصلاة عليه في الخطب، وأن يجعل عَوض ذلك: « السلام على أمير المؤمنين ». وفي سنة أربع وأربعمائة أمر أن لا يُنجم أحد ولا يتكلم في صناعة النجوم، وأن ينفى المنجمون من البلاد. فحضر جميعهم إلى القاضي مالك بن سعيد، الحاكم (= القاضي) بمصر، وعقد عليهم توبة، وأعفوا من النفي. وكذلك أصحاب الغناء. وفي شعبان من هذه السنة (سنة ٤٠٤ هـ) منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً. ومنع الأساكفة (جمع: اسكافي) من عمل الخفاف للنساء، ومحيت صُوَرهن من الحمامات. ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج إلى أيام ولده الظاهر... وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر. وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمائة تنصّر جماعة ممن كان أسلمَ من النصارى. وأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم وردّ ما كان قد أخذ من أحباسها »[1].

ويقول عنه المكين ابن العميد في تاريخه المُسمّى « **تاريخ المسلمين** »: « وكان رديء السيرة، فاسد العقيدة، مضطرباً في جميع أموره. يأمر بالشيء ويبالغ فيه، ثم يرجع عنه ويبالغ في نقضه »[2].

وهذه الأحكام التي أطلقها عليه المؤرخون تؤيدها الوقائع التاريخية:

١ ــ الإسراف في القتل، خصوصاً في الحكام والعلماء والأعيان والقواد:

[1] ابن خلكان: « **وفيات الأعيان** » جـ ٤ ص ٣٧٩ ــ ٣٨١، القاهرة، سنة ١٩٤٨.

[2] المكين ابن العميد: « **تاريخ المسلمين** »، ص ٢٥٩، طبع لندن سنة ١٩٢٥، بتحقيق وترجمة أرنبيوس.

أ ــ وقد بدأ بقتل برجوان، الذي وطّد ملك الحاكم وهو لا يزال صبياً، وذلك بأن دبّر مع ريدان حامل المظلة اغتياله حين يأتي إلى بستان قصر اللؤلؤة بعد استدعائه له. فلما أتى برجوان، وثب عليه ريدان وضربه بحديدة على قلبه، وأقبل الحاكم هو نفسه وطعنه برمحه، وانقض عليه جماعة من الخدم بالسيوف حتى أجهزوا عليه، وذلك في ١٦ ربيع الثاني سنة ٣٩٠ هـ (ابريل سنة ١٠٠٠م).

ب ــ وثنى عليه بقتل الحسن بن عمار، زعيم كتامة التي بفضلها قامت الدولة الفاطمية، فدبر له جماعة من الترك قتلوه وحملوا رأسه إلى الحاكم، في ١٤ شوال سنة ٣٩٠ هـ (اكتوبر سنة ١٠٠٠م).

جـ ــ وفي أواخر سنة ٣٩١ قتل الحاكم مؤدبه أبا التميم سعيد بن سعيد الفارقي بينما هو يسامره في مجلسه.

د ــ وفي المحرم من سنة ٣٩٢ هـ قتل الحاكم ابن أبي نجدة متولي الحسبة.

هـ ــ وفي المحرم سنة ٣٩٣ هـ قتل أبا علي الحسن بن عسلوج وأحرقه.

و ــ وفي جمادى الأولى سنة ٣٩٣ هـ قتل وزيره فهد بن إبراهيم النصراني، الملقب بالرّيس، وهو الذي تولى الوزارة بعد مقتل برجوان، ثم أخاه أبا غالب.

ز ــ وعين الحاكم بدلاً من فهد ــ أبا الحسن علي بن عمر العداس ولكنه ما لبث أن قتله بعد أقل من ثلاثة أشهر، في شهر

شعبان سنة ٣٩٣ ه، وأحرقه بالنار. وكان قد تولى الوساطة (= الوزارة) من قبل العزيز بالله بعد ابن كلّس.

ح ــ وفي أواخر ذي الحجة من العام نفسه سنة ٣٩٣ ه قتل أبا الفضل ريدان، الخادم الصقلبي الذي استعان به الحاكم في قتل برجوان، وكان صاحب مظلة.

ط ــ وفي سنة ٣٩٤ ه (سنة ١٠٠٥م) قتل الحاكم جماعة كبيرة من الأعيان ذكرهم المقريزي[1]، ومنهم:

أبو علي تلسلوج الديباجي، وإسماعيل بن سوار، وابن أبي خريطة، والعسكري، الذي كان منجمه، وعلي بن المندوفي الشاعر، وابن المغازني المنجم، وسهل بن كلس أخو يعقوب ابن كلّس وزير أبيه العزيز، والقائد أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازياء، وجماعة من زعماء كتامة منهم المقداد ابن جعفر، وعلي بن سلمان وأخوه يحيى، وخلف بن عبد الله وابن سمود الكتامي، ومحمد بن علي بن فلاح، كما قتل عدداً كبيراً من الغلمان والجند والخاصة.

ى ــ وفي المحرم من سنة ٣٩٥ قتل الحسين بن النعمان، قاضي القضاة، الذي شغل منصب القضاء منذ سنة ٣٨٩ وكان أديباً وفقيهاً.

يا ــ وفي شوّال سنة ٤٠٠ ه (١٠٠٩م) قتل صالح بن عليّ الروذباري وكان قد عيّنه ولقبه ثقة ثقات السيف والقلم، ثم عزله وألزمه داره ثمانية أشهر.

---

[1] « **اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء** »، مخطوط أحمد الثالث.

يب ــ وفي ١٢ جمادى الآخرة سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠م) قتل الحسين بن جوهر الصقلي، ابن فاتح مصر للفاطميين، كما قتل أولاده الذين فروا إلى الشام، وقتل عبد العزيز بن النعمان، وأحاط بأموالهما، وكان عبد العزيز قد تولى القضاء والدعوة في المحرم سنة ٤٩٤ هـ.

يج ــ وفي المحرم من سنة ٤٠١ هـ (١٠١٠م) قتل أحمد بن محمد القشوري الكاتب في الوساطة والسفارة بعد عشرة أيام فقط من تعيينه في هذه الوظيفة.

يد ــ وفي ربيع الآخر سنة ٤٠٥ هـ قتل مالك بن سعيد الفارقي، قاضي القضاة، بعد أن ظل في هذا المنصب ست سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

يه ــ وفي جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ هـ قتل الحسين بن طاهر الوزان أمين الأمناء، فكانت مدة نظره في الوساطة (= الوزارة) سنتين وشهرين و٢٠ يوماً.

يو ــ وفي نفس السنة قتل ابني أبي السيد بعد أن توليا النظارة ٦٢ يوماً.

يز ــ ثم قلّد الوساطة فضل بن جعفر بن الفرات ثم قتله في اليوم الخامس من ولايته.

تلك وقائع تاريخية لا محل للشك فيها. إذ شهد بها مؤرخون قريبون من عصر الحاكم، وتتعلق بأشخاص معروفين، وأكثر من هذا وذاك اعترف بها أتباع الحاكم الذين ألّهوه، بل رأوا فيها دلائل على ألوهيته، إذ وجدوها كلها حكمة بالغة! فقد قال حمزة بن علي المؤسس الحقيقي لديانة التوحيد، في رسالته التي عنوانها: « **كتاب**

فيه حقائق ما يظهر قدام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل »، مخاطباً « إخوانه الموحدين »:

« معاشر الإخوان الموحّدين، أعانكم المولى على طاعته!

إنه وصل إليّ من بعض الإخوان الموحّدين ــ كثّر المولى عددهم، وزكّى أعمالهم، وَحسّنَ نياتهم! ــ رقعةٌ يذكرون فيها ما يتكلم به المارقون عن الدين، الجاحدون لحقائق التنزيه، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل الرديّة، وما تميل إليه أدنانهم الدنية ــ فيما يظهر لهم من أفعال مولانا ــ جلّ ذكره، ونطقه، وما يجري قدّامه من الأفعال التي فيها حكمة بالغة شتى، فما تغني النذر. ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا ــ جلّ ذكره! ــ كلها حكمة بالغة، جدّاً كانت أم هزلاً، يخرج حكمته ويظهرها بعد حين... ولو نظروا إلى أفعال مولانا ــ جلّت قدرته ــ بالعين الحقيقية، وتدبّروا إشارته بالنور الشعشعاني، لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية والسلطان الأبدي، وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغويّة، ولتصور لهم حكمةُ ركوب مولانا ــ جلّ ذكره ــ وأفعاله، وعلموا حقيقة المحصن في جِدّه وهزله، ووقفوا على مراتب حدوده، وما تدل عليه ظواهر أموره ــ جلّ ذكره ــ وعزّ اسمه، ولا معبود سواه.

فأول ما أظهر من حكمته ما لم يعرف له (نظير) في كل عصر وزمان ودهر وأوان، وهو ما ينكره العامة من أفعال الملوك: من تربية الشّعْر، ولباس الصوف، وركوب الحمير بسروج غير محلاّة لا بذهب ولا فضة. والثلاث خصال معنى واحدٌ في الحقيقة: لأن الشعر دليل على ظواهر التنزيل، والصوف دليل على ظواهر التأويل، والحمير دليل على النطقاء، لقوله لمحمد: « يا بُنَيّ أقِم الصلاة، وآت الزكاة، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، إن ذلك من

عزم الأمور. ولا تصعّر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً. كل ذلك كان عند ربك شيئاً مَحْذُوراً. وانقص من مشيك، واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »[1]. والعامة يروون أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده، فكذبوا وحرّفوا القول، وإنما هو السابق، وهو سلمان. فإنما سمّي الناطق لولده لحدّ التعليم والمادة، إذ كان سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المبدع الأول وهو سلمان. فقال سلمان لمحمد: « أقمْ الصلاة » ـــ إشارة إلى توحيد مولانا، جلّ ذكره، « وآت الزكاة » ـــ يعني طهّر قلبك لمولانا، جلّ ذكره، ولحدوده ودُعائه، « وأمر بالمعروف » ـــ وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، « وانهَ عن المنكر » ـــ يعني شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف، « إن ذلك من عزم الأمور » ـــ وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، « وانهَ عن المنكر » ـــ يعني شريعته يعني الحقائق وما فيها من نجاة الأرواح من نطق الناطق، « ولا تصعّر خدك للناس » ـــ الخد: وجه السابق، وتصعيره: ستر فضيلة،

[1] هذا مزيج من آيات قرآنية متفرقةس هي: (أ) « يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ١٩ (٥) (**سورة لقمان آيات**، ١٧ ـــ ١٩)، (ب) « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (في سورة كثيرة، منها **البقرة** ٤٢، **الحج** ٧٨، **المزمل** ٢٠) لكن لم تأتِ بصيغة المفرد: آت الزكاة، (ج) « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » (**الاسراء** ٣٧)، (د) « إن عذاب ربك كان محذوراً » (**الاسراء** ٥٧) والتحريف في الآية هنا كثير، وكذلك حرف النص في العبارة التالية: « وانقص من مشيك » إذ في القرآن: « اقصد في مشيك ».

ويُلاحظ أنّ تحريف الآيات القرآنية في كتب الدروز كثير جداً، وكذلك في كتب الإسماعيلية وإن كان بنسبة أقل قليلاً. وربما يرجع إلى انصرافهم عن قراءة القرآن إلى قراءة كتبهم المقدسة.

« ولا تمش في الأرض مرحاً » ــ فالمرح هو التقصير واللعب في الدين، والأرض هاهنـــا: هي الجناح الأيمن الداعي إلى التوحيد المحض، « واغضض من صوتك » ــ يعنـــي بـــذلك اخفض وانقص واستر نطقــك بالشريعة، « إن أنكر الأصوات » ــ يعني الـــدعوة الظاهرة، « لصوت الحمير » ــ يعني بذلك أن شرّ كلام وأفحشه وأنكره: نطقُ الشرائع المذمومة فـــي كل عصر وزمان.

فأظهر مولانا ــ جلّ ذكره ــ لُبْسَ الصوف، وتربية الشّعْر وهو دليل على ما ظهـــر من استعمال الناموس الظاهر وتعلّق أهل التأويل بعلي بن أبي طالب وعبادته. وركوبُ الحمير دليلٌ على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء. وأما السّرْج بلا ذهب ولا فضة فـــدليل علـــى بطلان الشريعتيْن: الناطق والأساس، واستعمال حلى الحديد على السروج دليلٌ على إظهـــار السيف على سائر الشرائع وبطلانهم. واستعمال الصحراء في ظاهر الأمر وخروج مولانا ــ جلّ ذكره ــ اليوم من السرداب إلى البستان، ومن البستان إلى العالم، دون ســـائر الأبـــواب: فالسرداب والبستان اللذان يخرج مولانا منهما ليس لأحد إليهما وصولٌ ولا له بهما معرفةٌ إلاّ أن يكون لمن يخدمهما أو خواصهما، وهو دليل على ابتداء ظهـــور مولانـــا ــ ســـبحانه ــ بالوحدانية ومباشرته بالصمدانية، بالحدّين اللذين كانا خفيين عن سائر العالمين إلاّ لمن يعرفهما بالرموز والإشارات وهما الإرادة والمشيئة. والإرادة هو ذو معة، والمشـــيئة تاليـــه. فلـــيس يعرفهما إلاّ الموحّدون لمولانا جلّ ذكره. ومن السرداب يخرج إلى البستان: كذلك العلم يخرج من ذي معة إلى ذي مصة، الذي هو بمنزلة الجنة صاحب الأشجار والأنهار. ثم يخرج منهما إلى النفس. فأول ما يلقى بستان برجران، وهو المعروف بالحجازي، فلا يدخلـــه ولا يـــدور حوله في مضيّه، وهو دليل على الكلمة الأزلية. ثم يمضي

إلى البستان المعروف بالدكة، وهو دليل، على السابق، هو دكة العالم، وعلومهم منه. وهذا البستان المعروف بالدكة[١] على شاطئ البحر، كذلك علم التأويل ممثوله البحر، والمستجيب للعهد إذا بلغ علم السابق ومعرفته حَسِبَ أنه قد بلغ الغاية والنهاية في العبادة. وبستان الدكة، مع جلالته، ملاصقٌ لموضع الفحشاء والمنكر، دون سائر البساتين ــ (وهو) دليل على أن علم السابق واصلٌ بالنطقاء الذين هم معادن النواميس الفانية الحشوية والأعمال الفاحشة الدنية. والمقس[٢] دليل على الناطق. وما في النفس من الفحشاء والمنكر دليلٌ على شريعته. والنساء الفاسدات اللواتي فيه دليلٌ على دعاة ظواهر شريعته، وارتكابهم الشهوات البهيمية في طاعته. ثم إنه ــ علينا سلامه! ــ يخرج إلى الصناعة، ويدخل من بابها ويخرج من الآخر. والصناعة دليلٌ على صاحب الشريعة. والصناعة ممنوعةٌ من دخول العالم فيها. فدخول مولانا ــ جلّ ذكره ــ فيها من باب، وخروجه من باب: دليلٌ على تحريمه الشريعة وتعطيلها. ثم إنه ــ علينا سلامُه ورحمته ــ يدور حول البستان المعروف بالحجازي، وهو دليلٌ على الكلمة الأزليّة.

[1] كان ساحل النيل حينئذ بالمقس (المقريزي: **الخطط** جـ ٢ ص ٣٦٨ س ٦ من أسفل). وقال ابن عبد الظاهر: « الدكة بالمقس كانت بستاناً » (نقله المقريزي جـ ٢ ص ٣٦٨، القاهرة سنة ١٣٢٦).

وقال المقريزي: « كان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة، لها بستان عظيم بجوار المقس، فيما بينه وبين أراضي اللوق، وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكر مكان البستان، وصار خطة تعرف إلى اليوم بخط الدكة... والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغني عن وصفها » (**الموضع نفسه**).

[2] **المقس:** قديم، وكان في الجاهلية قرية تعرف بأم دنين، وهي الآن محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي، وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل. وبه أنشأ الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الصناعة... وبه أيضاً أنشأ الامام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ــ جامع المقس الذي تسميه عامة أهل مصر في زمننا بجامع المقسي وهو الآن يطل على الخليج الناصري... وأدركنا المقس خطة في غاية العمارة بها عدة أسواق » (**المقريزي**، جـ ٣ ص ١٩٦ ــ ٢٠٢).

والدوار حوله بلوغٌ إلى الكشف بلا سترةٍ تحوط الدين. ثم إنه يبلغ إلى القصور، وهما قصران عظيمان خرابان: دليل على بطلان الشريعتين[1] وخرابهما. ثم إنه يدخل من باب البستان المعروف بالمختص، وهو دليل على التالي، إذ كان التالي مختصاً بعلمه، وأكثر العالم يميلون إليه (إذ) هو هيولي العالم الجرماني. ومن الشيعة من يعتقد ويعبد التالي. ومن الشيعة من يقول بأن التالي مولانا، وهذا هو الكفر والشرك وإنما هو التالي الذي عجز الناس عن معرفته. و(هو) الجنة المعروفة بالمختص متصلة بالجنة المعروفة بالعصار. والعصار دليلٌ على الناطق، لأنه يعصر علم التالي، فيخرج منه الحقيقة والتوحيد، فيكتمه عن العالم الغبيّ ويظهر لهم الثفل[2]، وهو الكسب الذي لا ينتفع به غير البهائم. وكذلك البستان المعروف بالعصّار، وهو شرابٌ من الفواكه والأشجار والرياحين والأثمار. وبستان المختص عامر بالفاكهة والأزهار والرياحين والأشجار. ومنه يخرج الماء إلى الحوض الذي تشرب منه البهائم. والماء هو العلم والحوض هو المادة الجارية من التالي. والدوابُّ هم النطقاء والأسس. وكذلك العلم يخرج من التالي إلى الأساس في كل عصر وزمان. والسابق ممدّ الناطق. وهذان البستانان بين المسجدين المعروفين بمسجد تبر ومسجد ريدان[3]. فمسجد ريدان مُحاذي بستان العصار، ومسجد تبر محاذي بستان المختص. ومسجد

---

[1] أي شريعة التنزيل (السنية) وشريعة التأويل (الاسماعيلية).

[2] **الثفل**: العكارة، ما يبقى من الكدورات في إناء الشراب.

[3] **مسجد تبر**: « هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق. عُرف قديماً بالبئر والجميزة، وعُرف **بمسجد تبر**. وتسميه العامة: **مسجد التبن**، وهو خطأ. وموضعه خارج القاهرة قريباً من المطرية... وتبر هذا أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور الاخشيدي » (المقريزي: « **الخطط** » جـ ٤ ص ٢٧١).

تبر دليل على الناطق، والتبر دليلٌ على الذهب، والذهب دليل على ذهاب شريعته. وهذا المسجد لم يُصلّ فيه صلاة جماعةٍ قط ـ دليل على أن ليس للناطق ولا لمن يَتبعه اتصال بالتوحيد. ومسجد ريدان دليل على حجة الكشف القائم بالسيف والعنف، الداعي إلى التوحيد المنكر عند سائر العالمين: فبإزاء الباطل الذي هو جنة العصار، وهو دليل على الناطق حتى يُرفع، وهو مسجد ريدان، وهو ذو معة. وبإزاء الحق الذي هو جَنّة المختص، وهو التالي: باطلٌ يطلب فساده هو مسجد تبر، وهو الناطق. وريدان خمسة أحرف: دليل على الخمسة حدود: النفسانيين، والنورانيين، والروحانيين، والجرمانيين، والجسمانيين، وهي ذو معة العقل الكلي النفساني، وذو معة النفس الروحاني والجناح الرباني، والأيمن الباب الأعظم، وهو السابق والتالي معدن العلوم. وما من المساجد مسجد سقطت قبّته وهوى بكماله غيرُ مسجد ريدان. فأمر مولانا سبحانه بإنشاء قبته، وزاد في طوله وعرضه وسُمُوه: دليل على هدم الشريعة الظاهرة على يد عبده الساكن فيه[1]، وأنشأ توحيد مولانا ـ جلّ ذكره ـ فيه بالحقيقة ظاهراً مكشوفاً. ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبه آخر محاذى باب المسجد: دليل على تغيير الشريعة وإثبات التوحيد وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن أحمد. ونزوله إلى الأرض مُحاذى باب المسجد إشارة منه إلى عبده، باب حجابه على خلقه. ونزوله عن الحمار وركوبه آخر: كان في نفس أذان الزوال. وصلاة الزوال دليلٌ على الناطق. وتغيير مولانا الحمار في نفس وقت الأذان: دليل على إزالة الظاهر. ثم إن مولانا لا بد له في كل ركبة من الإعادة إلى البستانين المعروفين بالمقس: دليل على إظهار النّشءِ الثالث الخارج من الكفر

[1] كان حمزة بن علي يسكن في مسجد ريدان.

والشرك، وهما الظاهر والباطن، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره. ودخوله إلى القصر من الباب الذي يخرج منه والسرداب بعينه: دليلٌ على إثبات الأمر وكشف الطرائق. وأما نزوله في ظاهر الأمر إلى مصر وما شاهدناه، ففيهما تمكن الشيطانُ الغويّ من قلوب العامة الحشوية والعقول السخيفة الشرعية مما يسمعونه من ألسن الركابية قُدّام مولانا، بما يستقرّ في عقولهم السخيفة من كلام الهزل والمزاح، ولم يعرفوا أن فيه حكمةً بالغة:

فأول مسيره إلى المشاهد الثلاثة، وليس فيها أذان ولا إقامة ولا صلاة جماعة إلاّ في الأوسط.

ثم إنه يسير إلى راشدة، وهي أيضاً ثلاثة مساجد متفاوتات البنيان. وأحسن ما فيها وأعلاها وأفضلها الذي يُصَلّي الخطيب فيه يوم الجمعة، وتُصَلّى فيه خمسُ صلوات على دائم الأيام، وهو الوسطاني: وهو دليل على توحيد مولانا وإثبات خمسة حدود علوية فيه. والمسجدان اللذان معه متفاوتان في البناء: دليل على الناطق والأساس أعظم شأناً في ترتيب الباطن، ورموزه من الناطق في المعقولات والبيان.

فلما ظهر التوحيد زالت قدرتهما جميعاً. وسميت « راشدة »، لأن بمعرفتهم الحجة وهدايته والأخذ منه يُرْشد المستجيبين. ثم إنه ــ علينا سلامَهُ ورحمته ــ يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الأمر: دليلٌ على التأييد لعبده. وقُدّام المسجد عَقَبَةٌ صعبة الصعود لمن يسلكها. وليس إلى القرافة محجّة إلاّ على هذه العَقَبة: دليلٌ على البراءة من الأبالسة أصحاب الزخرف والناموس. وأما ما

يرونه من وقوفه في الصوفية واستماعه لأغانيهم والنظر إلى رقصهم فهو دليل على ما استعمل من الشريعة، التي هي الزخرف واللهو واللعب، وقد دنا هلاكهم. وأما لعب الركابية بالعصي والمقارع قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ فهو دليلٌ على مكاسرة أهل الشرك والعامة وتشويههم بين العالم وإظهار أديانهم المغاشم وتكشف زيفهم، أما الصراع فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض. وقد كان للعالم في قتل سويد والحمام عبرة لمن اعتبر لأنهما كانا رئيسين في الصراع ولكل واحدٍ منهما عشيرةٌ تحميه وأتباع. وهما دليلان على الناطق والأساس. وقتلهما دليل على تعطيل الشريعتين: التنزيل والتأويل، والهوان بالطائفتين من أهل الكفر والتلحيد.

وأما ما ذكره الركابية من ذكر الفروج والأحاليل فهما دليلان على الناطق والأساس. وقوله: « أرني قمرك، » يعني اكشف عن أساسك، وهو موضع يخرج منه القذر: دليل على الشرك. فإذا كُشِف عن أساسه قبله ــ أي عبادة أساسه ــ نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده. ومن شك هلك ».

كذلك يؤكده حجة العراقين أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرماني في كتابه « **مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله** » وقد قصد منه إلى بيان المكانة العظمى التي للحاكم بأمر الله، وكان الكرماني قد وفد على مصر سنة ٤٠٨ هـ لما ظهرت الديانة الجديدة التي دعا إليها محمد الدرزي وحمزة بن علي واضطربت بسبب ذلك أحوال الدعوة الإسماعيلية في مصر، فجاء الكرماني ليُحدّ من غلو هذين في دعوى ألوهية الحاكم، وفي الوقت نفسه رفع منزلة الحاكم فوق منزلة البشر. يقول الكرماني في الفصل السادس من هذه الرسالة:

« ثم إن أول الدلائل على ما ذكرناه ظهور آثار ما نص الله تعالى عليه في كتابه بقوله: « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس. هذا عذاب أليم » **(سورة الدخان، آية ١٠)** مخاطبةً لمحمد (ص)، والمعنى للتابعين له من جهة أساسه وأئمة دوره: أي: انتظروا من الأئمة التي هي أيام الله ــ الإمامَ الذي يكون مِنْ أفعاله أفعالٌ مظلمة تحير العقول. وتلك الأفعال عذابٌ وامتحانٌ لأهل الدعوة عظيم. ففي زمانه، عَقِب الفترة ينجز اللهُ وعدَه وتتكشف الظلمة ويعود الحق بكليته إلى بيت النبوّة، وذلك قوله: « فارتقب ». فأيُّ إمامٍ ظهر من أفعاله ما ظهر من الإمام (عليه السلام) من الأفعال التي قد تحيّرت وأظلمت المقاصد في البحث عن الغرض فيها! وأيّ دخان أعظم مما عمّ المؤمنين! وهل ذلك إلاّ امتحانٌ به يهلك الفاسق، ويثبت عليه الصادق ــ! فوجود ما قيل فيه وقيامه مقام الصدق، على سابق الشواهد وتوافقها ــ مِنْ أمارات الحق[1] ».

ومن هنا نرى أن أصحاب الحاكم هم أنفسهم أوّل من يقرون بأنه ارتكب « أفعالاً مظلمة تحير العقول »، وأتى من الأمور الغريبة ما جعل داعيته الأول في الديانة الجديدة، حمزة بن علي، يلتمس لها تلك التأويلات البالغة الغرابة التي رأيناها في رسالة حمزة هاتيك.

وإذن فلا يشك أحدٌ سواء من أنصار الحاكم وأتباعه المعاصرين له، وخصومه، في أن أفعاله غريبة شاذة. والفارق بين كلا الفريقين هو في طريقة تأويل هذه الغرابة في السلوك: وفي هذا التأويل نجدهما على طرفي نقيض: فبينما أنصاره ودعاته يتخذون من ذلك دليلاً على ألوهيته

[1] الكرماني: « **مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله** » نشرها د. محمد كامل حسين في ثنايا كتابه « **طائفة الدروز** »، ص ٦٤ ــ ٦٥. القاهرة، سنة ١٩٦٢.

أو سموّ مكانته، نرى خصومه يتخذون منها دليلاً على هَوَسه وجنونه.

ومنذ عصره ونحن نجد من يفسّرها تفسيراً قائماً على أساس علم الأمراض العقليـــة. فإن يحيى بن سعيد الأنطاكي يرجع هوس تصرفات الحاكم بأمر الله إلى إصابته المبكرة بنوع من أنواع المالنخوليا. قال يحيى بن سعيد الأنطاكي وهو يتحدث عن الحاكم:

وكان سببَ بَغْيه في جميع ما يقصده من هذه الفعال العجيبة المتضادة التي تقوم فـــي نفسه ويفعلها شيئاً بعد شيء ــ صنفٌ من سوء المزاج المرضيّ في دماغه، أحدثَ له ضـــرباً من ضروب المالنخوليا وفساد الفكر منه منذ حداثته. فإن من المتعارف في صناعة الطب أنه قد يكون، فيمن يعتريه هذا المرض، أنه يقوم في نفسه أوهام، ويتخيل أموراً وعجائب، ويكون كل واحد منهم لا يشكّ أنه على الصواب فيما يتصوره في جميع أفعاله، ولا يثنيه عن ذلك ثانٍ ولا يردّه رادٌ. وأن قد يكون منهم من يظن بنفسه أنه نبي. ومنهم من يتوهم أنه الإلّه بنفسه ــ تعالى كثيراً ــ ويكون يقوم من هؤلاء من اختلاط الكلام ظاهراً واختلاله ما ينكشف (به) حاله عند مَنْ يشاهده ويحادثه، وتزول الشبهة فيه من أول وهلة. وربما كان تخليط أحدهم في الكلام مستوراً، وتكون هذه التخيلات والخواطر الرديئة تعْرِض له في أمور مستورة عـــن العـــوام، فتكون صورته عندهم صورة العقلاء، وحُسْنُ ظنهم به ونظرهِم إليه كنظرهم إلـــى أفاضـــل الناس. فإذا أطالوا اختبارهم بان لهم ما انطوى عنهم في نقضهم. وهذه صورة الحاكم: فـــإن نقضه كان يتبين لمن تطول صحبته له. وأما من هو بعيد عنه فإن أفعاله كانت توضحه لـــه. وقد يستدل على حقيقة هذا المرض المستحوذ عليه أنه كان قد عَرَض له في حداثته تشنّج، من سوء مزج يابسٍ في

دماغه، وهو مزاج المرْضى الذي يحدث في المالنخوليات، واحتاج في مداواته منه ــ مع ماكان يعالج به ــ إلى جلوسه في دُهْن البنفسج وترطيبه به. وإن كثرة سهره أيضاً وشغفه بمواصلة الركوب والهيمان الدائم مما يقتضيه هذا السوء المقدّم ذكره. وإن أبا يعقوب اسحق بن إبراهيم بن نسطاس لما خدمه استماله إلى أن تسامح في شرب النبيذ وسماع الأغاني بعد هجره لها ومنع الكافةِ منها، فانصلحت أخلاقه وترطب مزاج دماغه، واستقام أمر جسمه. ولما مات أبو يعقوب، وعاد إلى الامتناع عن شرب النبيذ ومن سماع الغناء، رجع إلى ما كان فيه[١]. »

ويحدد النويري[٢] تاريخ إصابة الحاكم بهذا المرض ــ بتاريخ سنة ٣٩٣ ﻫ، والحاكم في الثامنة عشرة من عمره. ويؤكد المقريزي[٣] نفس الخبر فيقول: « ويقال إنه (أي الحاكم بأمر الله) كان يعتريه جفاف في دماغه، فلذلك كثر تناقضه. وما أحسن ما قال فيه بعضهم: كانت أفعاله لا تعلل، وأحلام وساوسه لا تؤول ».

ونستطيع أن نستقري الأعراض المرضية العقلية عند الحاكم في تصرفاته التالية:

١ ــ كان مولعاً بقتل الناس وقتل خواصه بنفسه، وتعذيب خواصه بالنار. ذكر ابن اياس ما يلي: « كان (أي الحاكم) يركب على حماره الأشهب المدعو بالقمر. فينزل عنه عند باب جامعه (= جامع

---

[1] يحيى بن سعيد الأنطاكي: « **صلة تاريخ أوتيخا** » ص ٢١٨ ــ ٢١٩. تحقيق ل. شيخو، بيروت سنة ١٩٠٥.

[2] النويري: « **نهاية الأرب** » جـ ٢٦ ص ٥٢، مخطوط مصور في دار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة.

[3] المقريزي: « **الخطط** » جـ ٤، ص ٧٤، القاهرة سنة ١٣٢٦ ﻫ.

الحاكم) الذي عند باب النصر، ويأخذ بيد من يختار من غلمانه، فيرقده ويشق بطنه بيده، ثـــم يخرج مصارينه بيده فيرميها إلى الكلاب، ويترك المقتول مكانه حتى يدفنه أهله. وكان يعذب جماعة من خواصه بالنار. وقتل جماعة كثيرة من العلماء، منهم أبو أسامة، وكان من كبـــار العلماء، ومنهم جبارة اللغوي، قيل إن الشيخ جبارة هذا كان يعرف للكلب في اللغة ثلثمائة اسم في لغات العرب، ومنهم الهروي، وغير ذلك من العلماء[1] ».

ولا شك في أن هؤلاء الضحايا لم يرتكبوا ذنباً يستحقون عليه العقوبة، حتى يقال إنه كان يقتل عبرة للناس وعقاباً على جرائم ارتكبوها، كما يزعم بعض من يتصدون لتبرير أفعال الحاكم.

فإن كانت هذه الأخبار صحيحة، فهي تدل على نزعة ســادية sadisme فـــي أعلـــى درجات الخطورة المرضية. وعلى الذين يقصدون للدفاع عنه، أن يبدأوا فيثبتـــوا أولاً عـــدم صحة هذه الأخبار. يضاف إلى ذلك هذا الثبت الطويل من ضحاياه الذي أتينا عليه من قبـــل (ص ٥٦٣ ــ ٥٦٥)، وكلهم كانوا من كبار القواد وأرباب الدولة والقضاء الذين عينهم هـــو نفسه، والذين منهم من كان له الفضل الأكبر في انقاذ عرشه. ومن غير المعقـــول أن يكـــون عقاب هؤلاء، حتى لو كانوا قد ارتكبوا جرائم، القتل والتمثيل بهم، خصوصاً وقد كان يفعـــل ذلك بهم ولم يمض على الواحد منهم في منصبه غير أشهر قليلة، بل عشرة أيام!

ولا وجه للاحتجاج ها هنا بأن الطغاة في كل العصور سفاكون للدماء في غير احتياط ولأقل الأسباب، لأن الأمر فيما يتعلق بالحكم

---

[1] ابن اياس: « **بدائع الزهور في وقائع الدهور** »، جـ ١ ص ٥٣، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ.

على تصرفات الحاكم بأمر الله لا ينصب على سفكه لدماء بعض رجال الدولة، بل لأنه في ذلك لم يتخذ قاعدة واحدة يسير عليها في ذلك، ولم يكن يصدر في معظم الأحوال عن أسباب سياسية أو جرائم ارتكبوها في أداء وظائفهم، بل صدرت أحكامه بالقتل لغير سبب في غالب الأحيان. فإذا فعل هؤلاء العلماء أو أولئك الخواص حتى يفتك بهم على هذا النحو البشع، إن صحّت الأخبار المتعلقة بمصارعهم؟!

كما لا محل أيضاً للقول بأن قتله لبعض رجال الدولة كان بهدف توفير العدالة والضرب على أيدي المستغلين لمناصبهم الظالمين لعامة الناس، تحقيقاً لمنافع شخصية لهم. ذلك أنه لو صحّ أن هؤلاء قد ارتكبوا هذه المظالم والجرائم، فإن عقوباتهم ليست قتل النفوس. وإذا قيل إنه بهذا قد أرهب موظفي الدولة وحملهم على الأمانة والنزاهة، وتوفير العدل بين الناس، فإن توالي هذا القتل في متولى الوظائف العامة يدلّ على أن الدرس الذي أراد أن يعلّمه إياهم لم يأت بأية ثمرة.

وإذن فتصرفاته هذه لا يمكن أن تدخل في باب العدل. وهذا ما لاحظه يحيى بن سعيد الأنطاكي فقال:

« وأظهر (أي الحاكم) من العدل ما لم يسمع به: ولعمري إن أهل مملكته لم يزالوا في أيامه آمنين على أموالهم، غير مطمئنين على نفوسهم »[1] فهو يقول إن عدله من أغرب أنواع العدل: يعدل فيما يتعلق بالأموال، ولكنه لا يعدل فيما يتعلق بالنفوس والأرواح.

وصحيح أن الحاكم تعفف عن أموال ضحاياه، وكان أحياناً كثير الجود والعطايا. شهد بهذا المؤرخون، فقال الأنطاكي: « ولم تمتد

---

[1] يحيى بن سعيد الأنطاكي: « **صلة تاريخ اوتيخا** » ص ٢٠٦. نشرة شيخو، بيروت سنة ١٩٠٥.

يده قط إلى أخذٍ من مالٍ (من) أحد، بل كان له جود عظيم وعطايا جزيلة وصـــلات واســـعة. ولقد قتل من رؤساء دولته وأهلِ مملكته، ممن لهم الأموال العظيمة، ما لا يقع عليه الإحصاء لكثرته، فلم يتعرض لأخذ مال أحدٍ منهم لا سيما مَنْ كان له وارث، ومَن لا وارث لهم كانت تركتهم تستوهب منه فيهبها على الأكثر، وأسقط جميع الرسوم والمكوس التي جـــرت العـــادة بأخذها، وتقدّم إلى كل من قبض منه شيء من العقار والأملاك بغير واجب، أو في مصادرة، في أيامه وأيام أبيه وجده ــ أن يُطلَق ما قبض منه[1] ». ثم إنه كان في جولاته اليوميـــة فـــي القاهرة « يجزل الصلات والعطايا: ما بين دور ودراهم وثياب »، وأنه في رمضـــان ســـنة ٤٠٥ هـ « خرج الحاكم عن المعهود في كثرة العطاء والإقطاعات حتى أقطع النوتيـــة الـــذين يجذفون به في العشارى، وأقطع المشاعلية، وكثيراً من الوجوه والأقارب، وبنى قرة، فكان مما أقطع: الاسكندرية والبحيرة ونواحيها »[2]. كذلك قام بأعمال برّ عظيمة منها إنشاء دار الحكمة (سنة ٣٩٥ هـ)، واتمام بناء الجامع الذي سُمّي باسمه، وإنشاء جامع راشدة (سنة ٣٩٣) فـــي خطة راشدة قرب مصر القديمة، وإنشاء جامع المقس في منطقة المقـــس، ورصـــد النفقـــات لصيانة المساجد التي لا أوقاف لها، ثم وقفه لبعض أملاكه في الفسطاط على الجامع الأزهر.

ولكن علينا، ونحن نقدر هذا الجود، أن نتذكر ما يلي:

أ ــ أن ثروة الحاكم بأمر الله كانت كبيرة جداً، كما يشهد بذلك

---

[1] يحيى بن سعيد الأنطاكي، الموضع نفسه.

[2] المقريزي: « **اتعاظ الحنفاء** » لوحة ٦٧ أ، ب من مخطوط أحمد الثالث

ابن تغري بردي[1] وغيره من المؤرخين.

ب ــ أنه بوصفه الخليفة الفاطمي كان يملك مدينة القاهرة المعزية كلها، وكانت تشمل حينئذ قرابة عشرين ألف منزل، كل منها كان يؤجر في المتوسط بمقدار أحد عشر ديناراً في الشهر، وكان فيها ما يقرب من عشرين ألف دكان وكلها يملكها الخليفة، وكان إيجار الدكان في المتوسط ستة دنانير فكان دخل الخليفة من هذه الإيجارات حوالي أربعة ملايين وثمانين ألف دينار في العام[2]. هذا فيما يتصل بحصيلة إيجارات البيوت والدكاكين في القاهرة المعزية وحدها. أضف إلى هذا ما كان يملكه في أنحاء القطر المصري من الضياع والبساتين التي لا تدخل تحت حصر، وما كان يرد إليه من المغرب والشام من عشور ومكوس وأتاوات. فما قيمة هذه العطايا التي كان يمنحها وهو يتجول في القاهرة بالنسبة إلى هذه الثروة الهائلة والريع الضخم! ولم يذكر لنا واحد من المؤرخين ــ سنياً كان أو شيعياً أو درزياً ــ

---

[1] ابن تغري بردي: « **النجوم الزاهرة** » ج ٤ ص ١٩٢: « وأما ما خلفه الحاكم من المال فشيء كثير. قيل: إنه ورد عليه أيام خلافته رسول ملك الروم، فأمر الحاكم بزينة القصر. قالت السيدة رشيدة عمة الحاكم: فأخرج أعدالا مكتوباً عن بعضها: الحادي والثلاثون والثلثمائة، وكان في الأعدال الديباج المطرز بالذهب فأخرج ذلك، وفرش الديوان وعلق في حيطانه حتى صار الإيوان يتلألأ بالذهب. وعلق في صدره صورة العسجدة، وهي درقة من ذهب مكللة بفاخر الجواهر يضيء لها ما حولها، إذا وقعت عليها الشمس لا تطيق العيون النظر إليها. وأيضاً مما يدل على كثرة ماله ما خلفته ابنته « ست مصر » بعد موتها، فخلفت شيئاً كثيراً يطول الشرح في ذلك: من ذلك ثمانية آلاف جارية ــ قاله المقريزي وغيره ــ ونيف وثمانون زيراً صينياً مملوءة جميعاً مسكاً، ووجد لها جوهر نفيس، من جملته قطعة ياقوت زنتها عشرة مثاقيل. وكان اقطاعها في السنة خمسين ألف دينار ». وهذا يدل على أن ثروة الحاكم قد بقيت حتى وفاته ثروة هائلة جداً، ما دامت بنته كانت تملك هذا كله! فأين هذا من الزهد والتقشف المنسوبين إليه؟!.

[2] ذكر ذلك ناصر خسرو في رحلة، « **سفر نامه** » الترجمة العربية التي قام بها د. يحيى الخشاب، ص ٨٨ ــ ٨٩ ط ٢، بيروت سنة ١٩٧٠.

أنه تنازل عن هذه الثروة أو تصرف في هذا الريع على المحتاجين والمعوزين، وما أكثرهم بين رعيته!

جـ ــ أنه كان في بعض الأوقات يرفع المكوس، أي يبطلها، كما فعل في سنة ٣٩٨ هـ حينما توقفت زيادة النيل وقلّت الأقوات، وفي سنة ٤٠٣ حين اشتد الغلاء ــ أي أن الظروف العسيرة والكوارث العامة هي التي كانت تحمله على ابطال بعض المكوس، اتقاءً لهياج عامة الناس واضطراب الأحوال نتيجة لذلك. فلم يكن إبطاله لهذه المكوس في بعض الأحيان إذن عن إيمان بمبدأ تخفيض الضرائب والتخفيف عن كاهل الناس والسعي لتخفيض الأسعار بتقليل رسوم الصادر والوارد التي كانت تؤخذ على البضائع الواردة والمصدّرة عند الموانى (تنيس، دمياط، الاسكندرية، الخ) بنسبة خمس البضاعة.

٢ ــ ومن الأعراض المَرَضية الشاذة ما ورد في رسالة حمزة بن علي المعنونة « **بكتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل** » ــ وهي من رسائل الدروز من إشارته إلى ما كان يحدث للحاكم بأمر الله مع الركابية من « ذكر الفروج والأحاليل... وقوله: أرني قمرك، يعني اكشف عن أساسك، وهو موضع يخرج منه القذر » ــ مما ورد في تلك الرسالة التي أوردنا نصّها فيما سبق. ومهما يكن من تأويل حمزة لهذه الأفعال والأقوال، فإن ما يورده يدل على أن الحاكم بأمر الله كان يطلب من الركابية أن يكشفوا عوراتهم أمامه.

كذلك ما كان يأمر به الحاكم عقاباً لمن يغشّون في البضائع. ورد في ابن اياس ما يلي: « كان (أي الحاكم) يلبس جبة صوف أبيض، ويركب على حمارٍ عالٍ أشهب يسمى القمر، ويطوف في

أسواق مصر[1] والقاهرة، ويباشر حسبة البلد بنفسه. وكان معه عبدٌ أسود طويل عريض يمشي في ركابه، يقـــال له « مسعود ». فإن وجد أحداً من السوقة غش في بضاعته أمر ذلك العبـــد « مسعوداً » بأن يفعل به الفاحشة العظمى، وهي اللواط، فيفعل به علـــى دكانـــه، والنـــاس ينظرون إليه حتى يفرغ من ذلك والحاكم واقفٌ على رأسه[2] ». فواعجباً من هذه الطريقة في العقاب!

كذلك موقفه من النساء موقف غريب يحتاج إلى تحليل. فإنه « منع النساء من المشي في الطرقات، فلم تُرَ امرأة في طريقٍ البتة، وأغلقت حمامـــاتهن. ومنـــع الاســـاكفة (جمـــع: اسكافي) من عمل خفافهن[3] » وقد بقيت النساء على هذه الحال حتى وفاة الحـــاكم فـــي ســـنة ٤١١، وكان قرار المنع هذا قد أصدر في سنة ٤٠٤.

٣ ــ ومن الأعراض أيضاً « أنه صار يَقِد الشمع في مجلسه ليلاً ونهاراً. ثم إنه صار يجلس في الظلام، واستمر على ذلك مدة طويلة.

ومنها أنه أمر الناس بأن يغلقوا الأسواق بالنهار ويفتحوها بالليل. وجعل الليـــل مقـــام النهار في جميع أحوال الناس، فامتثلوا منه ذلك، واستمروا عليه دهراً طويلاً... ثم أعاد الناس إلى ما كانوا عليه في الأول يتابعون أشغالهم بالنهار »[4].

كل هذه الأعراض تدل على شخصية غير سويّة. ومن هنا اضطر أنصاره إلى تأويلها تأويلات مغرقة، كما شاهدنا في رسالة حمزة بن علي، وكما فعل حميد الدين الكرمـــاني فـــي رسالة « **مباسم البشارات** ». أما غير أنصاره فقد وصفوه بما أوردنا من نعوت.

---

[1] كان اسم « مصر » يُطلق حينئذ على الفسطاط، أي ما يعرف حالياً بمصر القديمة.

[2] ابن اياس: « **بدائع الزهور في وقائع الدهور** » جـ ١ ص ٥٣، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ.

[3] المقريزي: « **الخطط** » جـ ٤ ص ٧٣؛ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ.

[4] ابن اياس: « **بدائع الزهور في وقائع الزهور** » جـ ١ ص ٥٢؛ طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ.

كيف بدأت ديانة الدروز

ولا بد أن بداية دعوة الدروز كانت قبيل سنة ٤٠٨ بقليل، لأن حميد الدين الكرمـــاني وفد على مصر سنة ٤٠٨ هـ فوجد الأحوال مضطربة بأمر دعوة جديدة تدور حـــول الحـــاكم بأمر الله وقد أحدثت بلبلة شديدة في نفوس أصحاب الدعوة الإسماعيلية الفاطمية بمصر. يقول الكرماني في رسالة « **مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله** »:

« لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً، وللسدّة العلوية زائراً، ورأيت السماء قد أظلّت بسحاب عميم، والناس تحت ابتلاءٍ عظيم، والعهد في الرسوم السالفة قد نقض، وعن أوليـــاء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض، والرسمَ في عقد مجلس الحكمة جرياً منهم بالإحســـان قـــد رفض، والعالي قد افتضح، والسافل منهم قد ارتفع. وشاهدت أولياء الدعوة الهادية (= الدعوة الإسماعيلية) ــ بَسَطَ الله أنوارها، والناشئين في عصمة الإمامة وألي ولائها قد حيّـــرهم مـــا يطرأ عليهم من هذه الأحوال التي تشيب لها النواصي، وبهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي لا يهلك بها إلا أولو النفاق والمعاصي، وهم يومئذ يموج بعضهم في بعض، ويرمي كل منهم صاحبه بفسق ونقض، تتلاعب بهم الأفكار الرديّة،

وتتداولهم الوساوس المردية، ثم لا يعلمون ما أظلهم من الدخان المبين، ولا ما ألم بهم من الامتحان المستبين، فصار البعض منهم في الغلوّ مرتفعين إلى ذراه، والبعض في النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعُراه، والقليل منهم قد تزعزع أركانُ اعتقادهم. وما قبلوه من الدين باختيارهم وارتيادهم، وهم على شفا انحلالٍ وحؤول واختلال، وأعناق أولي الطرفين من الأبالسة إلى اختلافهم ممتدة، وهممها في اصطيادهم عن اعتقادهم مُحتَدّة، والآحاد منهم قد رضوا من أنفسهم لأنفسهم، إذ تخلصت نفوسهم مكتفين بقول الله تعالى: « لا يضركم مَنْ ضَلّ إذا اهتديتم » (**المائدة: ١٠٥**) ــ حملني[1] فرطُ الشفقة في الدين على أن أناجي الإخوان المستضعفين، مِنْ دون مَنْ فَسَد جوهرُه بما حدث فيه من المقال... بما يكون تغذية لعقولهم وتثبيتاً لأقدامهم: من بيان إمامة الإمام الحاكم بأمر الله وصدقها، والبشارات الواردة من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ وإشاراتهم بحقها... والكلام على الأسباب العارضة وأنها لست إلا لما يريد الله من تصديق قول أنبيائه بقيام ما قالوه مقام الصدق »[2].

من هذه الديباجة يتبين:

أ ــ أنه حين ورد الكرماني، حجة العراقين، وأكبر مفكري الإسماعيلية، إلى مصر ــ وكان ذلك في سنة ٤٠٨ هـ، وجد الناس يخوضون في دعوى « تشيب لهولها النواصي » على تعبيره، وبسببها رمى الناس بعضهم لبعض بالفسق والمروق، وكانت دعوى ارتقت

---

[1] جواب قوله « لما وردت... » في أول النص.

[2] الكرماني: « **رسالة مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله** »، منشورة ضمن « **طائفة الدروز** » للدكتور محمد كامل حسين، ص ٥٥، ٥٦. القاهرة، سنة ١٩٦٢.

في الغلوّ إلى ذراه. وتسبب عنها حيرة أصحاب الدعوة الهادية، أي الدعوة الاسماعيلية.

ولا بد أن تصرفات الحاكم بأمر الله، تلك التصرفات التي أثارت الناس ضد الحكم الفاطمي، ومن ثم ضد الدعوة الاسماعيلية بوجه عام، قد شككت أصحاب الدعوة الاسماعيلية أنفسهم في حقيقة إمامة الحاكم وصدقها. وهذا هو ما دعا حميد الدين الكرماني أن يكتب قبل رسالة « **مباسم البشارات** » رسالتيْن هما: « **المصابيح في الإمامة** » و« **الرسالة الكافية في الرد على الهاروني** » ــ ليثبت صحة إمامة الحاكم بأمر الله، « وكونه صادقاً في سفارته » (**رسالة مباسم البشارات**، الكتاب نفسه، ص ٥٩). وقد يستدل من هذا على أن أصحاب الدعوة الإسماعيلية في مصر وفي غير مصر هالهم تصرفات الحاكم وما جرّته من ويلات على الدعوة الإسماعيلية، فشككوا في صحة إمامته، وربما فكروا أيضاً في خلعه من الإمامة. ولعل الحاكم بأمر الله هو نفسه قد استدعى حميد الدين الكرماني ــ وهو حجة العراقين، وكبير الدعاة ــ ليقنع أصحاب « الدعوة الهادية » في مصر بصحة إمامة الحاكم، وليدافع عنه ضد ما قامت ضده من حملات تشهيرية.

دفاع الكرماني عن الحاكم بأمر الله

وفي دفاع الكرماني عن الحاكم نراه يغلو فيه، وإن كان غلوه أقل درجة من غلوّ حمزة بن علي ومحمد الدرزي. إذ هو ينعت الحاكم بأمر الله بأنه:

أ ــ إمام في وقته،

ب ـــ قائم في زمانه،

جـ ـــ قائد لأهله،

د ـــ شفيع للمتعلقين بحبله،

هـ ـــ وعلى الرغم من أنه لم يكن سابعاً في دوره، فله من القوة والتأييد الواصلين إليه من جهة الله ما يجعله ذا مكانة عالية جداً.

ثم يسوق البشارات التي بشرت بالحاكم بوصفه هو المسيح أو المهدي الذي بشّر بـــه النبي ايشاعيا (اشعيا) في التوراة، حيث يقول:

גִּילִי מְאֹד בַּת־צִיּוֹן הָרִיעִי בַּת יְרוּשָׁלַםִ הִנֵּה מַלְכֵּךְ
יָבוֹא לָךְ צַדִּיק וְנוֹשָׁע הוּא עָנִי וְרֹכֵב עַל־חֲמוֹר
וְעַל־עַיִר בֶּן־אֲתֹנוֹת׃

أي: « افرحي واشكري يا بنت صهيون ـــ واصرخي فرحاً يا بنت بيت المقدس، فإن ملكك قد جاءك صادقاً مطهّراً من الأدناس، زاهداً وراكباً على حمار الوحش، والأتن ».[†]

وقد ذكر الكرماني الآية بنصها العبري مكتوباً بحروف عربية[1]، لكن يلاحـــظ علـــى ترجمته للآية ما يلي:

أ ـــ أنه أضاف كلمة « رعاة » وجعل « بنتاً » جمعاً هكذا: رعاة بنات صهيون.

ب ـــ ولعلّ سبب ذلك التأويل الذي يسوقه للآية، إذ يقول: « فهل الرعاة إلاّ الـــدعاة، وهل « البنات » إلاّ المؤمنون، وهل « بيت المقدس » إلاّ الإمام، وهل ما قاله مـــن العلامـــة بشارة للدعاة بقوله:

[†] [النص من **العهد القديم**، زكريا: ٩/٩.]

[1] في نشر محمد كامل حسين وردت الآية العبرية محرفة جداً، وصواب رسمها هو: **جيلـــي مئـــود بـــت ـــ صهيون هريجي بت ـــ يروشالم هنه ملكن يبوءا لك صديق ونوشع هوا عانى وروكب عل ـــ خمود وعل ـــ عير بن أتونيم.**

« فإن ملكك قــد جاءك صادقاً مطهّراً من الأدناس زاهداً راكبــاً على الحمار وعلى العيــر الأتن » ــ إلاّ ما عليه حال الإمام (ع) ــ ؟ »[1].

فكأن الكرماني إذن قد حرّف في الآية الواردة في سفر أشعيا ــ بحسب قوله (وصوابه في سفر زخريا إصحاح ٩ آية ٩) ــ لكي تتلاءم كلها مع أحوال الحاكم بــأمر الله والــدعوة الإسماعيلية. وكأن المسيح (أو المهدي) الذي بشر به أشعيا هو بعينه الحاكم بأمر الله، والدليل على ذلك أن الحاكم كان زاهداً، ويركب الحمار في ركوبه.

وهنا قد يردُّ على الكرماني بأن المقصود من بشارة أشعيا هو عيسى ابن مريم، ولهذا يتدارك الكرماني هذا الاعتراض بالرد فيقول: « نقول: قد يقع الظن بأن الذي قاله ايشاعيا (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بعيسى (ع) بكونه راكباً للحمار، زاهداً ــ مــن دون غيره. ــ

والذي يبين أن الإشارة بقوله ذلك في هذا الموضع هي بالإمام (ع) من دون عيســى (ع) ويؤيد الحكم ويقطعه: قول ايشاعيا ثانياً إنه يهلك المفسدين، ويفنيهم بريح شفتيه، حيــث يقول مخبراً عن أفعال الزاهد الراكب الحمار الذي بشر به:

ــ ويقضي بالصدق والعدل للضعفاء والفقراء ويريح الخواص المتواضعين:

ــ ويضرب الأرض بعصا فمه وبريح شفتيه، ويميت المفسدين. ثم كون عيســى (ع) من هذه الأفعال خالياً (هو) من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به، إذ لم يبقَ فــي قومــه فيقال إنه يحكم بالصدق والعدل، ولم يقتل أحداً، ولا أمات مفسداً ولا أمر بذلك فيقال إنه قتَــل وأمات. وإذا كان ذلك كذلك، وخلا عيسى من أحكام هذه

[1] الكرماني: « **مباسم البشارات** »، الموضع المذكور، ص ٦١ ــ ٦٢.

الأفعال، خلصت هذه القضايا التي حكم اشاعيا (ع) بها للحاكم (ص) بقيام أماراتها فيه: إذ هو الزاهد الراكب الذي أفنى المفسدين ويفنيهم أبداً بحركة شفتيه بقوله: خذوا رأس فلان، أو اقتلوه ــ بعصيانهم وإفسادهم، ولم تصحّ إلا فيه. إن ذلك لشيء عُجاب »[1].

وكثيراً ما لجأ الإسماعيلية[2] إلى اقتباس آيات عبرية من التوراة للاستدلال منها على عقيدة أو قضية يريدون إثباتها.

ثم يسوق الكرماني بعد ذلك دلائل أخرى على مكانة الحاكم:

أ ــ منها ما هو مستخلص من خواص الأعداد، فالحاكم كان السادس عشر من الأئمة، والعدد ١٦ محصول ضرب الأربعة الشريفة من الأئمة في ذاتها، مما يجعل الحاكم بأمر الله « يتم له في الإسلام ما لم يتم لأحدٍ ممن تقدمه، وبمناسبته للاثنين بكونه ثانياً من الأسبوع الثالث ــ يدل على هلاك أمم على يده، كما هلك من أصحاب نوح (ع) الذي هو ثاني النطقاء » (الموضع نفسه، ص ٦٤).

ب ــ ومنها أنه فسر حديثاً مفاده ما يلي: « اطلبوا ليلة القدر في العشر الثالث من الصوم، فإن فيها تفتح أبواب السماء وتضيء الدنيا ويسجد الشجر والمدر والحائط والرابط »، بأنه يخرج من ذرية النبي محمد من الأسبوع الثالث من يطيعه أهل الإسلام: وليّهم وعدوهم، وقد تأمل الكرماني ذلك ووجد أن ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان هي المنصوص عليها بأن يسجد فيها كل شيء على السادس عشر من الأئمة، « فكان ذلك دليلاً ناطقاً بانتقال أمر الإسلام والمسلمين إلى الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وانتظام الأمر في ذرية محمد (ص)

---

[1] **الكتاب نفسه**، ص ٦٢.

[2] راجع مقالا لباول كراوس في هذا الموضوع.

بالكلية وطاعة الأمة، وليها وعدوها، له بأسرها » (**الموضع نفسه**، ص ٦٤).

جـ ــ وأعجب هذه الحجج تلك التي يوردها في الفصل السادس، ويبنيها على غرائب الأفعال وشواذ التصرفات الصادرة عن الحاكم بأمر الله مما يرى فيه تفسيراً للآية الكريمة: « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين، يغشى الناس، هذا عذاب أليم » (**الدخان** آية ١٠ ــ ١١) فهو يفسرها بأنها « مخاطبة لمحمد (ص) والمعنى للتابعين له من جهة أساسه وأئمة دوره، أي: انتظروا من الأئمة التي هي أيام الله ــ الإمام الذي يكون من أفعاله أفعالٌ مظلمة تحيّر العقول. وتلك الأفعال عذابٌ وامتحان لأهل الدعوة عظيم. ففي زمانه، عقب الفترة، ينجز الله وعده، وتتكشف الظلمة، ويعود الحق بكليته إلى بيت النبوة، وذلك قوله: « فارتقب ». فأيّ إمام ظهر من أفعاله ما ظهر من الإمام (ع) من الأفعال التي قد حيّرت العقول وأظلمت المقاصد في البحث عن الغرض فيها! وأيّ دخان أعظم مما عمّ المؤمنين! وهل ذلك إلا امتحان به يهلك الفاسق، ويثبتُ عليه الصادق! فوجودُ ما قيل فيه، وقيامه مقام الصدق، مع سابق الشواهد وتوافقها ــ من أمارات الحق »[1].

والأعمال التي حيّرت العقول وخفيت على الناس المقاصد منها حتى عم المسلمين دخانٌ فلم يفهموا كيف تصدر عن إمام ــ هي تصرفات الحاكم بأمر الله الشاذة. وهذا الموضع يؤكد ــ إلى جانب رسالة حمزة بن علي المرسومة باسم « **كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل** » ــ نقول إن كلا الموضعين يؤكد

[1] الكرماني: « **مباسم البشارات** »، في كتاب « **طائفة الدروز** »، ص ٦٤ ــ ٦٥. وقد صححنا بعض الأخطاء في النص.

صحة ما نسب إلى الحاكم من تصرفات شاذة، لأن كليهما كان على اتصال وثيق بالحاكم وكان من أشد أنصاره تحمساً، فلا يعقل أن يفتريا عليه شيئاً منها. لهذا فمن السخف كل السخف أن يزعم بعض الكتاب[1] المعاصرين أن هذه التصرفات قد افتراها خصوم الحاكم من أهل السنّة.

د ــ ثم يعود الكرماني إلى الاستشهاد بالكتاب المقدس، فيورد ما ذكر فـــي « **ســـفر دانيال** » من العهد القديم من الكتاب المقدس (آية ١٢ الإصحاح الثاني عشر من **سفر دانيال**): « طوبى لمن ينتظر ويصل إلى ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثين يوماً ». يقول الكرماني:

« لما كانت الدلائل على ما بيناه أن الإمام الحاكم بأمر الله أمير المـــؤمنين (ع) هـــو الذي ينجز الله وعده به لمحمد (ص)، وعلى يده يعود الأمر كلياً إلى بيت النبوة ــ تأملنا بحثاً عن الوقت والمدة في ذلك ليكون ما يقوم به من الشهادة بذلك مؤكداً لما سبق من الشـــهادات والبشارات به، فوجدنا ما يحقق قولنا في قول[2] دانيال النبي (ص) في المدة التي أومأ إليها من أيامه التي هي تاريخ الاسكندرية، بشارةً حيث يقول[3]: **اشرى هامحكى ويجيع ليـــاميم ايلـــو شلوش مئوت شلشيم وحمشه.**

أيْ: « طوبى للموحدين في زمن ألف وثلثمائة وخمس وثلاثين

---

[1] خصوصاً د. عبد المنعم ماجد في كتابه: « **الحاكم بأمر الله، الخليفة المفترى عليه** »، القاهرة سنة ١٩٥٩. وقد بالغ في الدفاع المتعصب عن تصرفات الحاكم حتى زعم أنه كان في سلوكه مثل عمر بن الخطـــاب! أي والله عمر بن الخطاب الذي لم يقتل في خلافته أحداً، بينما سفك الحاكم الدماء بغير سبب أو لأوهن الأسباب!

[2] هكذا صواب كتابته، لا كما ورد في النص المطبوع: ذي ينال.

[3] صححنا الرسم العربي للنص بحسب الأصل العبري. وفي المطبوع: « **أسرى هام حكى ويكيح ليفي مـــيم ايلو وشوش مادب طوبى لأولئك الموحدين لأيام ألف وثلثماية وشلوشيم واخمشوا** ».

سنة من زماني ». وذلك يصدّق ما ذكرناه من جهة كوننا من هذا التاريخ في ألف وثلثمائة وسبع وعشرين سنة التي بقي إلى الوقت المبشر به تسع سنين، واستحكام الأمر ببقاء الإمام (ع) إلى وقت الشيخوخة وبياض اللحية التي تستغرق فيها هذه المدة »[1].

ويحسب الكرماني، للوصول إلى سنة ١٣٥٠، أن حد البلوغ في الحكمة والعلم هو ٤٠ سنة، كما ورد في قوله تعالى: « فلما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة آتيناه حكماً وعلماً » ــ ويلاحظ هنا التحريف في الآية، إذ ما أورده هو مزيج من آيتين، هما: « ولما بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً » (**سورة يوسف**، آية ٢٢) ثم « حتى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال... » (**الأحقاف**، ١٥) ــ ويقول: « فتأملنا ووجدنا مولد أمير المؤمنين (ص) كان في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة، فكان الباقي لتمام المدة التي يستعلي أمره فيها من جهة الله تعالى كلياً ــ مقارباً للمدة المُبشّر بها مَنْ كان فيها من جهة دانيال. وتوافق ذلك (هو) من أكبر الدلالة على صحة ما قلنا » (**الموضع نفسه** ص ٦٨).

ويمكن أن نستنبط من هذا أيضاً أن دعاة الإسماعيلية كانوا يديمون الاطلاع على **أسفار النبوّات** *Livres prophétiques* في العهد القديم من « **الكتاب المقدس** »، خصوصاً سفر اشعيا وسفر دانيال، لأنهما يتحدثان كثيراً عن المسيح أو المهدي المنتظر، مما يعطي مادة وفيرة للدعاة الاسماعيليين في دعاويهم المهدوية. وحرص الكرماني على إيراد الأصل العبري (بحروف عربية) يدل دلالة قاطعة على هذه الغاية الشديدة التي بذلها الاسماعيلية لاستغلال ما يفيدهم في أسفار النبوات في « **الكتاب المقدس** ».

[1] الكرماني: « **مباسم البشارات** »، الموضع نفسه، ص ٦٧ ــ ٦٨.

أولية تأليه الحاكم بأمر الله

ويؤرخ لنا الكرماني في رسالته هذه ــ « **مباسم البشـــارات** » بداية ما يسميه بالفتوح للحاكم ــ يؤرخها بسنة سبع وأربعمائة، فيقول: « إن ابتداء الفتوح لولي الله من ســنة ســبع وأربعمائة إلى تتمة المدة الموعود بها[1] ».

ونعلم من ناحية أخرى أن تقويم حمزة بن علي يبدأ بسنة ٤٠٨ ه. واستهلال رســالة الكرماني « **مباسم البشارات** » يدل دلالة قاطعة على أنه حين وفد على مصر ــ والمرجّح أن ذلك كان سنة ٤٠٨ ه ــ كانت الدعوة الجديدة قد أثارت الفتنة بين الإسماعيلية أنفسهم.

ومن الطبيعي أن تكون الدعوة قد بدأت تسري ويهمس بها أصحابها قبل سنة ٤٠٨ ه بمدة.

غير أننا لا نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يدل على بداية هذه الدعوة[2]. واستمر الحاكم يؤدي المظاهر الخارجية الدينية منذ توليه الخلافة حتى نهاية حياته، فيما عدا بعــض مرات كان ينيب فيها غيره للصلاة بالناس في عيدي الفطر والأضحى، إذ أناب عنه مالك

---

[1] الكرماني: « **مباسم البشارات** »، الموضع نفسه، ص ٧١.

[2] يقول محمد كامل حسين: « ومن حسن الحظ أننا عثرنا على نص طريف في الكتب المقدسة للدروز يُفهــم منه أن الحاكم بأمر الله أظهر لاهوته لأول مرة سنة ٤٠٠ ه » (**طائفــة الــدروز**، ص ٧٤؛ القــاهرة ســنة ١٩٦٢)، لكنه لا يشير إلى الرسالة التي وجد فيها هذا النص ولا ما هو محتواه. ولهذا لا نستطيع أن نقيم وزناً لهذه الدعوى. اللهم إلا أن يكون قد قصد ما ورد في الأسئلة والأجوبة ولكن هذا لا يــدل علــى مــا يريــد استنتاجه.

ابن سعيد في سنة ٣٩٩ ﻫ وسنة ٤٠١ وسنة ٤٠٢، ولكنه حضرها في سنة ٤٠٠، وفيما يتلو سنة ٤٠٢ إلى آخر أيام خلافته. فقد صلى بالناس في رمضان سنة ٤٠٣، وصلى جمعة من جمع رمضان سنة ٤٠٤ في جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة، وكل ما هنالك أن موكبه صار أقلّ فخامة وبهاءً، مما اعتاد عليه الخلفاء الفاطميون وسار عليه هو نفسه حتى سنة ٤٠٣ ﻫ. وكانت أول جمعة حضرها للصلاة بالناس هي في رمضان سنة ٣٨٨ وذلك في الجامع الأزهر.[1]

فهل يحق لنا أن نربط بين بداية تقليله من مظاهر الخلافة في القيام بالصلاة في الأعياد الكبرى ـــ وبين بداية انشغاله بالدعوة الجديدة إلى تأليهه؟ لكن ما العلاقة بينهما؟!

الواقع أن حل مشكلة بداية الدعوى الجديدة يكمن في معرفة تاريخ الدعاة الكبار الذين بثوها، وعلى رأسهم: حمزة بن علي بن أحمد الزوزني ويعرّف باللباد، ثم حسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم، ثم محمد بن إسماعيل الدرزي، المعروف بـ « أنوشتكين البخاري ».

لكن الأمر ليس بهذه السهولة. أولاً لأن معلوماتنا عن هؤلاء الثلاثة قليلة جداً، وثانياً لأن ترتيب أسبقيتهم في الدعوة الجديدة مضطرب فبعضهم يجعل البداية لحمزة، والبعض الآخر يجعلها لمحمد الدرزي. فيحيى بن سعيد الأنطاكي يجعل الأسبقية لمحمد الدرزي، ويقول إن حمزة ظهر بعده. والدروز يجعلون الترتيب بالعكس، خصوصاً وقد وقعت المنافسة بينهما وحمل حمزة في رسائل الدروز المقدسة على الدرزي. أما الأخرم فهو تارة تلميذ حمزة، وتارة أخرى يلعب دوراً عنيفاً منذ

[1] المقريزي: « **اتعاظ الحنفاء** »، المخطوطة المصورة في دار الكتب المصرية عن مكتبة أحمد الثالث باستانبول، لوحة ٥٦٦، ٢٦٨.

بداية إظهار الدعوة الجديدة. ولنورد هنا بعض أقوال المؤرخين في هذا الصدد:

١ ــ يقول شمس الــدين أبو المظفر بن قِزَأوُغلي في تــاريخه: « **مرآة الزمــان** »: « رأيت في بعض التواريخ بمصر أن رجلاً يُعرف بالدرزي قَدِمَ مصر. وكان من الباطنيــة القائلين بالتناسخ. فاجتمع بالحاكم وساعده على ادعاء الربوبية، وصنّف له كتاباً ذكر فيــه أن روح آدم ــ عليه السلام ــ انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلــى أبــي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم. فَنَفَق على الحاكم، وقرّبه وفوّض الأمور إليه، وبلغ منه أعلــى المراتب، بحيث أن الوزراء والقوّاد والعلماء كانوا يقفون على بابه ولا ينقضي لهم شــغلٌ إلاّ على يده. وكان قصدُ الحاكم الانقياد إلى الدرزي المذكور، فيطيعونه. فأظهر الدرزيّ الكتــاب الذي فعله، وقرأه بجامع القاهرة. فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم. وأنكر الحــاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعث إليه في السرّ مالاً، وقال: اخرُج إلى الشام وانشُرْ الــدعوة فــي الجبال، فإن أهلها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبــة، غربــيّ دمشق، من أعمال بانياس. فقرأ الكتاب على أهله (أي أهل الوادي)، واستمالهم إلى الحــاكم، وأعطاهم المال. وقرر في نفوسهم الدرزيّ التناسخ، وأباح لهم شُرْب الخمر والزنا، وأخذ مال مَن خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه. وأقام عندهم يبيح لهم المحظورات إلى أن انتهى[1] ».

---

[1] « **مرآة الزمان** » كما نقله ابن تغري بردى: « **النجوم الزاهرة** » جـ ٤ ص ١٨٤. القاهرة، ســنة ١٩٣٣. وقوله: « نفق على الحاكم » أي خال كلامه على الحاكم فراج سوقه عنده وصار أثيراً لديه. ويذكر ابن العماد في « **شذرات الذهب** » جـ ٣ ص ١٨٦ أن الدرزي (وهكذا يجب أن يصحح) قتل في ســنة ٤٠٨ « وقطــع لكونه ادعى ربوبية الحاكم ».

وهذه الرواية ــ كما هو واضح ــ تجعل الدعوة الجديدة من وضع محمد بن إسماعيل الدرزي. ومحمد بن إسماعيل الدرزي اسمه الأصلي نشتكين أو أونشتكين (كما في النويري)، وكان تركياً وأصله من بخارى. ثم جاء إلى مصر في سنة ٤٠٧ أو ٤٠٨ هـ (١٠١٧ أو ١٠١٨م) واتصل بالحاكم وحَسّن له فكرة ادعاء الألوهية. ولعل الحاكم قد وافقه على ذلك سرّاً، وترك له أمر إذاعة ذلك دون أنْ يورّط نفسه علناً. فلما أذاع الدرزي هذه الدعوة إلى تأليه الحاكم، وذلك في الجامع الأزهر بالقاهرة، وثار عليه الناس وقصدوا قتله، أظهر الحاكم براءته منه. وفي نفس الوقت حماه، وسهّل له الفرار إلى وادي التيم في الشام، حيث بث دعوته بين سكان هذا الوادي، فلقي استجابة منهم.

وهذا يفسّر لنا التسمية: « درزي » و« درزية » التي تطلق على أتباع هذه الدعوة. وإذا كان البعض منهم لا يحبها، فإما أن يكون ذلك بتأثير حمزة بن علي الذي هاجم الدرزي في رسائله، خصوصاً الرسائل الثلاث التالية: « **الغاية والنصيحة** »، « **الرضا والتسليم** »، « **الصبحة الكائنة** »، وإما لما ارتبط بهذا الاسم من تاريخ، فآثر أتباع المذهب الدرزي، خصوصاً في أوقات اضطهادهم، أن يلقبوا أنفسهم باللقب الآخر: « الموحّدون »، « وديانة التوحيد ».

ومن الغريب أن حمزة في إحدى رسائله يتهم محمد الدرزي بأن هذا الأخير لا يقرّ إلا بإنسانية الحاكم بأمر الله، دون ألوهيته، مستنداً في هذا إلى أن الدرزي يقول إن روح علي بن أبي طالب انتقلت إلى الحاكم، وعليّ هو الأساس، والأساس هو مجرد إمام، وليس إلهاً.

وحمزة يأخذ على محمد الدرزي اتخـــاذه لقب « سيف الإيمان »، ثم لقــب « ســيد الهادين »، مدعياً أن محمد الدرزي هو من أتباعه، وأن أحد أتباعه وهو علي بن أحمد الحبّال ــ هو الذي هداه إلى الدعوة الجديدة، وإنْ كان الحبّال صار بعد ذلك من أتباع الدرزي ممـــا جعل حمزة يهاجمه في إحدى رسائله.

ومصير محمد الدرزي مجهول تماماً. ففي رأي سبط بن الجوزي « **مرآة الزمـــان** » في النص الذي أوردناه أن حياته انتهت مع أتباع الدعوة الجديدة في وادي التيم فـــي الشـــام. ويذهب بعض شرّاح رسائل الدروز إلى أن الدرزي قد توفي فـــي ســـنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ ــ ١٠٢١م)، ويومئون إلى أن قتله كان بتدبير من حمزة عند الحاكم الذي أمر بقتله. ولكن هـــذه الرواية غير محتملة، ولم تشر إليها المصادر التاريخية.

وأما الكتاب الذي صنّفه محمد الدرزي وأشار إليه سبط بن الجوزي فلا نـــدري مـــا عنوانه.

٢ ــ والرواية الثانية تتعلق بدور الأخرم. وقد أوردها ابن تغري بردي هكذا:

« ثم عنّ له (أي الحاكم) أنْ يدّعي الربوبية. وقرّب رجلاً يُعرف بالأخرم، ساعده على ذلك. وضمّ إليه طائفة بَسَطهم للأفعال الخارجة عن الديانة. فلما كان في بعض الأيام، خـــرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه. وقصد مصر (= مصـــر القديمـــة، الفسطاط) ودخل الجامع (= جامع عمرو بن العاص) راكباً

دابّته، ومعه أصحابه على دوابّهم، وقاضي القضاة ابن أبي العوام[1] جالسٌ فيه ينظر في الحكم. فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابهم، وسلّموا للقاضي رقعة فيها فتْوى وقد صدرت « باسم الحاكم الرحمن الرحيم ». فلما قرأها القاضي رفع صوته منكراً، واسترجع[2]. وثار الناس بالأخرم، وقتلوا أصحابه. وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه (أي الحاكم) الربوبية، وتقرّب إليه جماعةٌ من الجهّال، فكانوا إذا لقوه (أي الحاكم) قالوا: « السلام عليك يا واحد، يا أحد، يا محيي، يا مميت ». وصارت له دعاةٌ يدعون أوباش الناس ومَنْ سَخُفَ عقله إلى اعتقاد ذلك. فمال إليه خلقٌ كثير طمعاً في الدنيا والتقرب إليه[3] ».

ونجد في « **شذرات الذهب** » لابن العماد رواية أدق وأوسع عمّا فعله الأخرم، قال:

« في شهر رجب سنة تسع وأربعمائة ظهر رجلٌ يُقال له: حسن بن حيدرة الفرغاني الأخرم: يرى حلول الإلَه في الحاكم، ويدعو إلى ذلك. ويتكلم في إبطال الثواب، وتأويل جميع ما ورد في الشريعة فاستدعاه الحاكم، وقد كثر تبعه، وخلع عليه خلعاً سَنية، وحمله على فرس مُسْرَج في موكبه، وذلك في ثاني رمضان منها (أي من سنة ٤٠٩ هـ). فبينما هو يسير في بعض الأيام، تقدم إليه رجلٌ من الكرخ، على جسر[4] طريق المقياس وهو في الموكب، فألقاه عن

[1] هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام، تولى القضاء في أيام الحاكم وابنه الظاهر. وتوفى سنة ٤٦٨ هـ.

[2] أي قال: « إنا لله وإنا إليه راجعون ».

[3] نقله ابن تغري بردى في « **النجوم الزاهرة** » ج ٤ ص ١٨٣.

[4] أي الجسر الموصل من مصر القديمة إلى الروضة.

فرسه. وتوالى العربُ عليه حتى قتله. فارتجّ الموكب، وأمسِك الكرخي فأمِر به فقُتِل في وقته. ونهب الناس دار الأخرم بالقاهرة، وأُخِذ جميع ما كان له. فكان بين الخلع عليه وقتله ثمانية أيام. وحُمِل الأخرم في تابوت، وكُفّن بأكفان حَسَنة. وَحَمل أهلُ السنّة الكرخي ودفنوه، وبنوا على قبره. ولازم الناس زيارته ليلاً ونهاراً. فلما كان بعد عشرة أيام أصبح الناس فوجدوا القبر منبوشاً، وقد أُخذت جثته ولم يعلم ما فعل بها »[1].

وهذه الرواية تثير مسألة العلاقة بينه وبين حمزة من ناحية، وبينه وبين محمد الدرزي من ناحية أخرى. وهل كان في هذه العملية يعمل لحساب نفسه، أو لحساب واحد من هذين؟ لا تذكر لنا الأخبار شيئاً، ولكن يظهر من رسائل حمزة أنه لم يكن ضد الأخرم، كما كان ضد الدرزي. فربما كان متعاوناً مع حمزة، والواقع أن ما نسب إليه في هذه الرواية يجعل مذهبه في الدعوة الجديدة أقرب إلى مذهب حمزة ــ وهو تأليه الحاكم بحيث يعده « الرحمن الرحيم » ــ منه إلى مذهب محمد الدرزي الذي كان قد اكتفى بالقول بأن روح آدم انتقلت إلى عليّ، وأن روح علي انتقلت إلى الحاكم.

٣ ــ أما الرواية الخاصة بحمزة بن علي بن أحمد الزوزني، المعروف باللّباد، فنجدها في المصادر التالية:

أ ــ أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر.

[1] ابن العماد: « **شذرات الذهب** » جـ ٣ ص ١٩٤ ــ ١٩٥، القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ. والغريب أنه يقول عقب ذلك: « انتهى ما أورده ابن خلكان ملخصاً »؛ ولكننا لم نجد ذلك في ابن خلكان في ترجمة الحاكم بأمر الله (برقم ٧١٣، جـ ٤ ص ٣٧٩ ــ ٣٨٣، القاهرة سنة ١٩٤٨) فهل في النسخ المطبوعة من ابن خلكان نقص أو هو وهم من ابن العماد؟ أمر يحتاج إلى تحقيق.

وقد نشر بعض فصوله المتعلقة بالفاطميين ف. فستنفلد في جتنجن سنة ١٨٨١

F. Wüstenfeld*: Geschichte der Fatimiden-Chalifen*, pp. 202, Sqq Göttingen, 1882.

وقد نقل النويري في « **نهاية الأرب** » بعض هذه النصوص.

ب ــ تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي.

نشره لويس شيخو، وكارا دي فو وحبيب الزيات، بيروت سنة ١٩٠٩، ص ٢٢٠ وما يتلوها.

والغريب أن ابن تغري بردي في « **النجوم الزاهرة** » ــ وقد نقل معظم المصادر التاريخية ــ لا يذكر حمزة بن علي ولا ينسب إليه أي دور في دعوى تأليه الحاكم.

وحمزة بن علي بن أحمد أصله من زوزن (بضم الزاي وقد يفتح) وزوزن كورة واسعة بين نيسابور وهراة. ورستاق زوزن كان يشتمل على ١٢٤ قرية (راجع ياقوت: « **معجم البلدان** »، جـ ٢ ص ٩٥٨، نشرة فستنفلد).

ولا ندري متى وفد على مصر. ولكن نشاطه، بوصفه داعياً للدعوة الجديدة، يُؤرخ بسنة ٤٠٨ هـ إذ بهذه السنة يبدأ عند الدروز سنوات حمزة أي تقويم حمزة. وكان يقوم بنشاطه في الدعوة الجديدة بجامع ريدان الذي كان قائماً قرب باب النصر خارج أسوار القاهرة آنذاك.

وإذا صحت الرسالة رقم ٢٨ بين مجموع رسائل الدروز، وتاريخها شهر ربيع الأول من السنة الثانية من سنوات حمزة، أي سنة ٤٠٩ هـ،

وهي التي عنوانها: « **الرسالة المنفذة إلى القاضي** » وقد بعث بهـا ـ إنْ صـحّت ـ إلـى قاضي القضاة أحمد بن أبي العوام يدعوه فيها إلى التخلي عن محاكمة الموحّدين وإرسالهم إلى حمزة ليحكم عليهم « بحكم الشريعة الروحانية التي أطلقها أمير المؤمنين » أي الحاكم بـأمر الله ـ نقول إنْ صحّت هذه الرسالة، فإنها تدل على مدى المكانة التي بلغها حمزة فـي ذلـك التاريخ وعلى الحماية التي كان يلقاها من الحاكم حتى يجرؤ على أن يخاطب قاضي القضـاة بهذه اللهجة ويطلب منه هذه المطالب. يقول حمزة في هذه الرسالة:

« توكلت على أمير المؤمنين ـ جلّ ذكره، وبه أستعين في جميع الأمور، مُعِلّ علّـة العلل، صفات (!) العلة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد أمير المؤمنين ومملوكه ـ حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين بسيف أمير المؤمنين وشدة سلطانه، ولا معبود سواه ـ إلى أحمد بن محمد بن (أبي) العوام الملقب بقاضي القضاة.

أما بعد:

فقد تقدمَتْ لنا إليك رسالة نسألك (فيها) عن معرفتك بنفسك. فقصّرْتَ عن الإجابة: قلة علمٍ منك بالحق وإهجاناً به. وكيف يجوز لك أن تدّعي هذا الاسم الجليل ـ وهو: « قاضـي القضاة » ـ وليس لك علمٌ بحقائق القضـايا والأحكام؟! فقد صحّ بأنك مُدّعٍ لما أنـت فيـه. فيجب عليك أن تعلّم نفسك وتدربها. فإن كنت قد جهلتها فأنت فرعون الزمان، وفعلك لاحـقٌ بعثمان بن عفان. فيجب عليك أن تُقلع عما أنت عليه، وتتبع سير أصحابك المتقـدمين: أبـي بكر،

وعُمَر، وتزيل تلثيمة[1] البياض عن رأسك، والعمامة والطيلسان، وتلبس[2] دفية طويلة سوداء بشقائق صُفْر طُوال مدلاة على صدرك، وتلبس دُرّاعة بلا جيب، بل تكون مشقوقة الصدر وتكون مرقعةً بالأحمر والأصفر والأديم الأسود الطائفي، وتكون قصيرة عليك لتلحق في الشكل بعمر بن الخطاب، وتكون لك درّة على فخذك لتقيم بها الحدود على من تجب عليه وأنت جالسٌ في الجامع، ويكون لك في كل سوقٍ صاحب يتزيّا، وبيده درّة يقيم بها في سوقه الحدود على من وجبت عليه: مثل الزاني والسارق والقاذف وشارب الخمر ممن هو من أهل مِلّتك، وتكون تتولى الخطبة بنفسك وتطلع على المنبر بلا سيف تتقلد به، ويكون ممرُّك ومجيئُك من دارك إلى الجامع وأنت ماشٍ حافياً لتكون في ذلك لاحقاً بأصحابك المتقدمين: أبي بكرٍ وعُمَر.

وإياك، ثم إياك أن تنظر لموحّدٍ في حكم، لا أنت ولا رجالتك، في شهادة نكاح ولا طلاق، ولا وثيقة، ولا عِتقْ، ولا وصيّة. ومنْ جلس بين يديك على حكم فتسأل عنه (لعله) أن يكون موحداً فترسله إليّ مع رجالتك لأحكم أنا عليه بحكم الشريعة الروحانية التي أطلقها أميرُ المؤمنين، سلامُه علينا. فانظر لنفسك، فقد أعذرتك مرة بعد أخرى وأنذرتك »[3].

---

[1] تلثيمة البياض: نوع من القماش الأبيض كان يلبسه مع العمامة والطيلسان قاضي القضاة في العهد الفاطمي ــ راجع دوزى: « **تكملة المعاجم العربية** »، جـ ٢ ص ٥١٦ عمود ١. وراجع عن الدراعة: دوزى: الملابس العربية ص ١٧٧.

[2] كذا ينبغي أن تقرأ: والدفية (بكسر الدال والفاء المشددتين) رداء طويل فضفاض من الصوف الأسود، راجع دوزى « الملابس العربية » ١٨٣؛ تكملة المعاجم » جـ ١ ص ٤٤٧.

[3] نشر هذه الرسالة دي ساسي في « **منتخبات عربية** »، جـ ٢ ص ٢١٣؛ وأعاد طبعها محمد كامل حسين في كتابه « **طائفة الدروز** »، ص ٨٠ ــ ص ٨١. وقد صححنا هنا بعض الأخطاء: و« الوثيقة » هي العقد (بيع، شراء، ملك الخ) وصاحب الوثائق هو كاتب العقود « أو كاتب العدل »، « وعلم الوثائق » هو علم كتابة العقود.

وإلى هذه الرسالة يشير حمزة في رسالة « **البلاغ** »، ويقــول « إن القاضـــي أبـــى واستكبر، وكان من الكافرين ». كما يقول بعد ذلك مباشرة إنه اجتمعت على غلمانه ورســـله زهاء مائتين من العسكرية والرعية « وما منهم رجلٌ إلاّ ومعه شيء من السلاح. فلم يقتل من أصحابي إلاّ ثلاثة نفر وسبعة عشر رجلاً من الموحدين في وسط مائتين من الكافرين فلم يكن لهم إليهم سبيل حتى رجعوا إلى عنده سالمين ».

وهذه العبارات الأخيرة تدلّ على أن حمزة لم تكن لتدفعه حماية الحاكم له، فقد كـــان الناس ساخطين على دعوته، وكان الجند كذلك ساخطين. كما أننا نعرف من رسائل حمزة أنه تحصن بعد ذلك في مسجد تبر، وهو بعيد عن القاهرة، قرب ضاحية المطرية الحالية، وجعل فيه سرداباً لا يفطن إليه إلاّ أخصّ خواصه، يستعمله حين يقع هجوم على المسجد، ويفضـــي إلى مكان أمين لا يصل إليه أحد، له باب من الحجر القوي، هو خوخة ضيقة لا يستطيع أحدٌ أن يدخلها إلاّ إن كان من أصحابها وأربابها.

غير أن مصير حمزة بعد مصرع (أو غيبة) الحاكم بأمر الله في ليلة ٢٧ شوال ســـنة ٤١١ هـ مجهولٌ تماماً: فليست لدينا أية معلومات تاريخية عما فعل بعد ذلك، كمـــا أن جميـــع رسائل حمزة « **في مجموع رسائل الدروز** » مما ورد فيه تاريخ إنما ألّف في الفترة ما بـــين سنة ٤٠٨ إلى ٤١١ هـ، ولا نجد منها رسالة واحدة مؤرخة بما بعد سنة ٤١١ هـ. وإذن لا نجد في المصادر الدرزية ولا غير الدرزية بيانات عن مصير حمزة بن علي بعد مصرع الحـــاكم بأمر الله.

لكن تولى الدعوة بعده مَنْ سيكون له أكبر دور في تشكيل مضمون عقائد الدروز، ألا وهو المقتنى بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي، المعروف بـ « الضيف ». وقد كان في مرتبة الجناح الأيسر أو التالي، ومهمة صاحب هذه المرتبة القيام على شئون الدعوة. وإليه تنسب مجموعة ضخمة من رسائل الدروز. وقد قلده حمزة بن علي هذه الرتبة في ١٣ شعبان سنة ٤١٠ هـ، كما تدل على ذلك الرسالة رقم ٢٢ وعنوانها: « **تقليد المقتنى** ». وآخر تاريخ ورد في رسائل المقتنى بهاء الدين هو تاريخ سنة ٤٣٣ هـ (راجع الرسالة رقم ١٠٩ ورقم ١١٠).

ونشاط بهاء الدين في الدعوة وترتيبها وتعيين الدعاة لها في الجزر (أي مختلف الأقاليم) نشاط هائل طوال هذه الفترة، أعني من سنة ٤١١ هـ حتى سنة ٤٣٣ هـ:

١ ــ فهو يقلد « سكين » داعياً في الشام سنة ٤١٨ هـ (الرسالة رقم ٤٦).

وسكيّن ادعى بعد ذلك أنه هو الحاكم بأمر الله وقد رجع من « غيبته ». يقول ابن الأثير في حوادث سنة ٤٣٤ هـ:

« في هذه السنة في رجب خرج بمصر إنسان اسمه سكين، كان يشبه الحاكم صاحب مصر. فادعى أنه الحاكم وقد رجع بعد موته. فاتبعه جمع ممن يعتقد رجعة الحاكم. فاغتنموا خلوّ دار الخليفة بمصر من الجند وقصدوها مع سكين نصف النهار. فدخلوا الدهليز. فوثب مَن هناك مِن الجند. فقال له أصحابه إنه الحاكم. فارتاعوا لذلك ثم ارتابوا به. فقبضوا على سكين ووقع الصوت، واقتتلوا. فتراجع

الجند إلى القصر، والحرب قائمة. فقُتِل من أصحابه جماعةٌ وأسِر الباقون، وصـــلبوا أحيـــاءً، ورماهم الجند بالنشاب حتى ماتوا[1] ».

ونقل هذا الخبر مختصراً أبو الفداء في تاريخه (ج ٢ ص ١٧٥، القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ). ومن هذا الخبر نستنتج:

أ ــ أنه كان لا يزال في مصر في سنة ٤٣٤ هـ مَنْ لا يزال يعتقد في رجعة الحـــاكم بأمر الله. ولا بد أن هؤلاء كانوا من أتباع الدعوة إلى تأليهه.

ب ــ وارتياع الجند يدل على أن مسألة اختفاء الحاكم كانت موضوع شبهة عند الناس عامةً في مصر.

٢ ــ ويبعث رسالة إلى قسطنطين بن أرمانوس (الرسالة رقم ٥٣)، وهو قســطنطين الثامن، ابن رومانوس الثاني، امبراطور بيزنطة، يدعوه فيها إلى اعتناق مذهب التوحيد، هـــو وشعبه، وتاريخ الرسالة ٢٢ صفر من سنة ٤١٩ هـ.

ويثني عليها برسالة أخرى عامة (الرسالة رقم ٥٤) موجّهة إلى عامـــة المســـيحيين، وفيها يثبت أن حمزة بن علي هو المسيح حقاً كما يبرهن على بطلان المسيحية.

وثلث عليهما برسالة (رقم ٥٥) يبعث بها إلى الأمير ميخائيـــل البفلاجـــوني Michel Paphlagonien زوج زؤيه Zoé بنت قسطنطين الثامن الذي سبق أن وجه إليه الرسالة الأولى (الرسالة رقم ٥٣)، وفيها يهاجم العقائد المسيحية ويجادل المسيحيين مستنداً إلى الأناجيل نفسها وبعض الطقوس المسيحية، مما يدل على علمه الواسع بالمسيحية، شأنه شأن

[1] ابن الأثير: « **الكامل في التاريخ** » ج ٩ ص ٢١٤. القاهرة، سنة ١٣٠١، المطبعة الأزهرية.

كثير من كبار الدعاة الاسماعيليين، كما رأينا من قبل فيما يتصل بحميد الدين الكرماني. والواقع أن هؤلاء الدعاة كانوا واسعي الاطلاع على الأديان والمذاهب الأخرى، وكان هذا أيضاً شأن كل المتكلمين المسلمين السنيين الذين جادلوا أهل الأديان الأخرى، مثل الباقلاني والغزالي وابن حزم والقرّافي الخ.

٣ ــ ثم نجد مجموعة كبيرة من رسائله الموجهة إلى الجهات المختلفة:

أ ــ الرسالة رقم ٥٧ موجهة إلى أهل جبل لبنان وأنطاكية وقسم من سوريا والعراق وتاريخها سنة ٤٢٥ هـ.

ب ــ الرسالة رقم ٥٩ وقد وجهها إلى أهل سوريا العليا والسفلى، وأهل الصعيد في مصر، وأهل الحجاز واليمن والعراقين والجزيرة. وتاريخها سنة ٤٢٢ هـ.

جـ ــ الرسالة رقم ٦٠ وقد بعث بها إلى المؤمنين بديانة « التوحيد » من أهل اليمن، وتاريخها سنة ٤٢٥.

د ــ الرسالة رقم ٦١، وتاريخها سنة ٤٢٥ هـ، وقد أرسلها إلى « الموحدين » المقيمين في الهند، وخصوصاً إلى الشيخ الرشيد ابن صومار راجابال، حاكم المنطقة الشمالية الغربية في الهند والمولتان، مما يدل على أنه كان هناك طائفة من الدروز في تلك المناطق النائية.

هـ ــ والرسالة رقم ٦٢ موجهة إلى أهل القاهرة والفسطاط (مصر القديمة).

و ــ والرسالة رقم ٦٨ وبعث بها إلى كثير من الشيوخ العرب في الأحساء، بتاريخ صفر سنة ٤٣٠ هـ.

٤ ــ ويوجه رسائل توبيخ إلى من يقصرون في حق الدعوة أو

يخرجون عليها ويتنكرون لها، ومنها:

أ ــ رسالة إلى ابن الكردي الذي ادعى أن روح الحاكم بأمر الله قد حلّت فيه، وتاريخها سنة ٤٢٦ هـ وهي الرسالة رقم ٦٤ في مجموع رسائل الدروز.

ب ــ الرسالة رقم ٧٧ وفيها توبيخ موجه إلى « لاحق »، الذي كان مكلفاً بالتفتيش على كثير من الأقاليم والجزائر.

جـ ــ الرسالة رقم ٧٨ يوبخ فيها سكين لاتصاله بابن الكردي.

د ــ الرسالة رقم ٧٩ يوبخ فيها أبي حصيلة.

هـ ــ الرسالة رقم ٨٠ يوبخ فيها من يدعي « سهلاً ».

و ــ الرسالة رقم ٨١ يوبخ فيها حسن بن معلاً الذي يبدو أنه اشترك في قتل ابن عمار الذي كان المقتنى قد بعث به، وقتله ابن الكردي.

ز ــ الرسالة رقم ٨٢ يوبخ فيها من يدعي « مُحلى »، وكان محلى هذا يدعو إلى الإباحية، ويبيح لغيره الاتصال بزوجته. والغالب على الظن أن تاريخها سنة ٤٢٧ هـ.

وثم عدة رسائل هي:

٥ ــ منشورات موجّهة إلى المسئولين عن الدعوة يبث إليهم فيها توجيهاته وإرشاداته فيما يتعلق بأمور الدعوة، أو يوصي فيها ببعض الأشخاص.

٦ ــ على أن من هذه الرسائل المنسوبة إلى المقتنى بهاء الدين مجموعة في إيضاح بعض العقائد، ونخص بالذكر منها الرسائل التالية:

أ ــ رقم ٨٣، ورقم ٨٤ تتعلق بالبنات وتعليمهن.

ب ــ رقم ٨٦ تتعلق بطبيعة النفس.

جـ ــ رقم ٧٠ تتعلق بالمعاد.

د ــ رقم ٧٤ تتناول كثيراً من مسائل عقائد ديانة التوحيد.

هـ ــ رقم ٧٥ تتناول مشكلة التناسخ.

٧ ــ والرسالة رقم ١٠١ هي رسالة الوداع، ولئن لم يرد ذكر اسم المقتنى فيها، فإن الغرض منها وداع الموحدين لأنه عزم على الغيبة عنهم، وفيها يبث الحمية فيهم للتمسك بالديانة التي علّمهم إياها، ويعلن تبرؤه من التعاليم الفاسدة التي أذاعها الضالّون من المنتسبين إلى مذهب التوحيد، أمثال سكين، ولاحق، وغيرهما. ويغلب على الظن أن تاريخها سنة ٤٣٣.

٨ ــ ومن الرسائل رسالة (رقم ٢٦) وجهها حمزة بن علي إلى ولي العهد، الذي ولاه الحاكم العهد سنة أربع وأربعمائة، واسمه الياس وقيل: عبد الرحيم، وقيل: عبد الرحمن بن أحمد، وكنيته القاسم ويُلقب بالمهدي. وهو ابن عم الحاكم، والاسم الأكثر شيوعاً هو عبد الرحيم بن الياس، وكان يقيم في دمشق، ولما قُتل (أو غاب) الحاكم كتبت ست الملك إليه بالقدوم، ولما وصل إلى تنيس قبض عليه صاحب تنيس، وبعث به إلى ستّ الملك، وأمرت بقتله، فقتل في سنة ٤١١ هـ. ويقول القضاعي في قصة موته ما يلي: « إن ست الملك (أخت الحاكم، التي دبّرت قتله في أرجح الروايات) لما كتبت إلى دمشق بحمل وليّ العهد إلى مصر، لم يلتفت إلى ذلك. واستولى (أي ولي العهد) على دمشق، ورخّص للناس ما كان الحاكم

حظره عليهم من شرب الخمر وسماع الملاهي، فأحبه أهل دمشق. وكان بخيلاً ظالماً، فشرع في جمع المال ومصادرة الناس. فأبغضه الجند وأهلُ البلد. فكتبت أخت الحاكم (= ست الملك) إلى الجند فتتبّعوه حتى مسكوه وبعثوا به مقيداً إلى مصر. فحُبس في القصر مكرّماً، فأقام مدة. وحمل إليه يوماً بطيخ ومعه سكين، فأدخلها (أي السكين) في سُرّته حتى غابت. وبلغ ابن عمّه الظاهر بن الحكم (= وهو الذي تولى الخلافة بعد الحاكم) فبعث إليه القضاة والشهود. فلما دخلوا عليه اعترف أنه الذي فعل ذلك بنفسه. وحضر الطبيب فوجد طرف السكين ظاهراً، فقال لهم: لمْ تُصادف مقتلاً. فلما سمع وليّ العهد ذلك وضع يده عليها، فغيبها في جوفه فمات »[1].

وقد كان المقتنى بهاء الدين يدّعي أنه على اتصال بحمزة في المكان الذي استتر فيه. ولكننا لا نعلم أين كان بهاء الدين نفسه يقيم، ومن ثم يبعث رسائله هذه. ولكن الأرجح هو أن تكون إقامته في وادي التيم، أو في نواحي حلب حيث كان أتباعه.

---

[1] أورده ابن تغري بردي **في « النجوم الزاهرة »** جـ ٤ ص ١٩٤. القاهرة، سنة ١٩٣٣.

نهاية الحاكم بأمر الله

ولقد انتهى الحاكم نهاية لم يستطع أحد معرفتها على وجه التحقيق:

فأرجح الروايات هي أن أخته ست الملك قد دبّرت اغتياله وهو في جولته الليلية المعتادة على سفح جبل المقطم. ودفعها إلى تدبير اغتياله أمران:

أ ــ الأول أنها لما رأت أعمال الحاكم الشنيعة خافت أن يخرب بيت الخلافة الفاطمية على يديه، فقد كرهته قبيلة كتامة صاحبة الفضل الأكبر في قيام الدولة الفاطمية في المغرب، والتي كانت لها مكانة عالية في مصر بعد فتحها، بسبب إعدامه لكثير من وجهائها وحدّه من نفوذها، كما كرهه الشعب المصري لتصرفاته الشاذة التي أتينا على ذكرها بالتفصيل من قبل، وكرهه الجند أيضاً بسبب تصرفاته مع قوادهم ومعهم هم أنفسهم.

ب ــ والثاني أنها خافت على نفسها من بطشه، إذ اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال. وما أيسر أن ينفذ وعيده لها! لهذا آثرت أن تقضي عليه قبل أن يقضي عليها.

وقد أورد بعض المؤرخين هذه الأسباب. قال ابن الصابي وغيره ــ

فيما نقله ابن تغري بردي في « **النجوم الزاهرة** » (ج ٤ ص ١٨٥ وما يتلوها):

« إن الحاكم لما بدت عنه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه. وكان لـه أختٌ يُقال لها: سِتّ الملك، مِنْ أعقل النساء وأحزمهنّ. فكانت تنهاه وتقول: يا أخي! احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك. فكان يُسْمعها غليظ الكلام، ويتهدّدها بالقتل، وبعث إليها يقول: رَفَع إليّ أصحاب الأخبار أنك تدخلين الرجال إليك وتمكّنينهم مِنْ نفسك. وعَمِل على إنفاذ القوابل لاستبرائها[1]، فعلمت أنها هالكةٌ معه. وكان بمصر سيفُ الدولة بن دَوّاس من شيوخ كتامة، وكان شديد الحذر من الحاكم وممتنعاً من دخول قصره ولقائه إلاّ في المواكب على ظهر فرسه. واستدعاه الحاكم مرةً إلى قصره فامتنع. فلما كان يوم الموكب عاتبه الحاكم على تأخره. فقال له سيف الدولة المذكور: قد خدمتُ أباك، ولي عليكم حقوقٌ كثيرة يجب لمثلها المراعاة، وقد قام في نفسي أنك قاتلي، فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي، وليس لك حاجةٌ إلى حضوري في قصرك. فإن كان باطن رأيك في مثل ظاهره، فدعني على حالي، فإنه لا ضرر عليك في تأخري عن حضوري قصرك. وإنْ كنت تريد بي سوءاً فَلأَنْ تقتلني في داري بين أهلي وولدي، يكفّنونني ويتولّونني، أحبَّ إليّ من أن تقتلني في قصرك وتطرحني تأكل الكلاب لحمي. فضحك الحاكم وأمسك عنه.

وراسلت ستُ الملك، أختُ الحاكم، ابنَ دواس هذا مع بعض خدمها وخوّاصها وهي تقول:

---

[1] **استبرأ الجارية:** طلب براءتها من الحمل. وهنا المقصود هو اختبار بكارتها وهل لا تزال بكراً.

لي إليك أمرٌ لا بد لي فيه من الاجتماع بك: فإمّا تنكّرْتَ وجئتني ليلاً، أو فعلتُ أنا ذلك. فقال: أنا عبدُك، والأمر لك. فتوجهت إليه ليلاً في داره متنكرةً، ولم تصحب معها أحداً. فلما دخلت عليه قام وقبّل الأرض بين يديها دفعات، ووقف في الخدمة. فأمرته بالجلوس، وأخلي المكان. فقالت: يا سيف الدولة! قد جئتُ في أمرٍ أحرس به نفسي ونفسك والمسلمين، ولك فيه الحظّ الأوفر، وأريد مساعدتك فيه. فقال: أنا عبدك. فاستحلفته واستوثقت منه، وقالت له،: أنت تعلم ما يقصده أخي فيك، وأنه متى تمكن منك لم يُبقِ عليك، وكذا أنا، ونحن على خطر عظيم. وقد انضاف إلى ذلك تظاهره بادعائه الإلهية وهتكه ناموس الشريعة وناموس آبائه، وقد زاد جنونه. وأنا خائفة أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، وتنقضي هذه الدولة أقبح انقضاء.

فقال سيف الدولة: صدقت ما مولاتنا، فما الرأي؟

قالت: قتله، ونستريح منه. فإذا تم لنا ذلك أقمنا ولده موضعه، وبذلنا الأموال، وكنت أنت صاحب جيشه ومدبّره، وشيخ الدولة والقائم بأمره. وأما امرأة من وراء حجاب، وليس غرضي إلاّ السلامة منه، وأني أعيش بينكم آمنة من الفضيحة.

ثم أقطعته[1] إقطاعات كثيرة، ووعدته بالأموال والخلع والمراكب السنية.

فقال لها عند ذلك: مُري بأمرك.

[1] يقصد: وعدته باقطاعه إقطاعات كثيرة.

قالت: أريد عبديْن من عبيدك تثق بهما في سرِك، وتعتمد عليهما في مهماتك.

فأحضر عبديْن ووصفهما بالشهامة. فاستحلفتهما ووهبتهما ألف دينار، ووقعت لهما بثياب وإقطاعات وخيل وغير ذلك. وقالت لهما: « أريد منكما أن تصعدا غداً إلى الجبل، فإنها نوبة الحاكم في الركوب، وهو ينفرد ولا يبقى معه غير القرافيّ[1] الركابي، وربما ردّه، ويدخل الشّعْبَ وينفرد بنفسه. فاخرجا عليه فاقتلاه واقتلا القرافي والصبي إن كانا معه ».

وأعطتهما سِكّينين من عمل المغاربة، تسمى الواحدة منهما « يافورت » ولها رأس كرأس المبضع الذي يَقْصِد به الحجّام. ورجعَتْ إلى القصر وقد أحكمت الأمر وأتقنته.

وكان الحاكم ينظر في النجوم. فنظر مولده، وكان قد حكم عليه بالقطع في هذا الوقت. فإن تجاوزه عاش نيّفاً وثمانين سنة. وكان الحاكم لا يترك الركوب بالليل وطوْف القاهرة. فلما كان تلك الليلة، قال لوالدته: « عليّ في هذه الليلة وفي غدٍ قَطْع عظيم. والدليل عليه علامة تظهر في السماء وطلوع نجم سمّاه، وكأني بك وقد انتُهكتِ وهلكتِ مع أختي، فإني ما أخاف عليك أضرّ منها. فتسلّمي هذا المفتاح، فهو لهذه الخزانة، وفيها صناديق تشتمل على ثلثمائة ألف دينار، خُذيها وحولّيها إلى قصرك تكُنْ ذخيرة لك. » فَقبّلَتْ الأرض وقالت: « إذا كنت تتصور هذا فارحمني واقضي حقي وَدْع ركوبك الليلة ». وكان يحبها، فقال: « أفعلُ... ».

[1] حارس المقابر في « القرافة »، وهي مقابر القاهرة حتى اليوم.

ولم يزل يتشاغل حتى مضى صدر من الليل. وكان له قوم ينتظرونه كل ليلة على باب القصر، فإذا ركب ركبوا معه، ويتبعه « أبو عروس »، صاحب العَسَس. ومِنْ رَسمه أن يطوف كلّ ليلة حول القصر في ألف رجل بالطبول الخفاف والبوقات البحرية. فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة، قال له: « ارجع وأغْلِق الأبواب » فلا يفتحها (أي أبو عروس) حتى يعود الحاكم.

وَضجرَ الحاكم من تأخره عن الركوب في تلك الليلة. ونازعته نفسه إليه. فسألته أمه وقالت: نمْ ساعةً. فنام ثم انتبه وقد بقي من الليل ثلثه، وهو ينفخ ويقول: إنْ لم أركب الليلة وأتفرّج، وإلاّ خرجت روحي. ثم قام، فركب حماره، وأخته تُراعي ما يكون من أمره. وكان قصرها مقابل قصره، فإذا ركب، عَلِمَتْ.

ولما ركب، سار في دربٍ يقال له درب السباع[1]. وردّ صاحب العَسَس ونسيماً الخادم صاحب السّتر والسيف، وخرج إلى القرافة ومعه القرافي الركابي والصبي. فحكى أبو عروس، صاحب العسس، أنه لما صَعِد الجبل وقف على تل كبير ونظر إلى النجوم وقال: « إنّا لله وإنّا إليه راجعون! » وضرب بيدٍ على يدٍ، وقال ظهرت يا ميشوم[2]! ثم سار في الجبل. فعارضه عشرة فرارس من بني قُرّة، وقالوا: « قد طال مقامنا على الباب، وبنا من الفاقة والحاجة ما نسأل معه حسنَ النظر والإحسان ». فأمر الحاكمُ القراف

---

[1] في التعليق الوارد في نشرة دار الكتب ما يلي: « قال ابن دقماق في **كتاب الانتصار** (ج ٤ ص ١٢٥) ما نصه: « هذا الدرب عن المصلى القديم. وإنما وسم بدرب السباع، لأن بيت السباع كان هناك أيام الأمراء في دار الامارة. » ومحله اليوم شارع الأشرف، الواقع بين شارعي الخليفة والسيدة نفيسة، بقسم الخليفة بالقاهرة. »

[2] أي يا أيها النجم المشؤوم.

أن يحملهم إلى صاحب بيت المال ويأمره أن يعطيهم عشرة آلاف درهم. فقالوا له: « لعل مولانا ينكر تعرّضنا له في هذا المكان فيأمر بنا بمكروه. ونحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقفنا إلاّ من الحاجة. » فأعطاهم الأمان وردّ القرافي معهم، وبقي هو والصبي. فسار إلى الشّعْب الذي جرت عادته بدخوله، وقد كَمَن العبدان الأسودان له، وقد قرُب الصباح. فوثبا عليه وطرحاه إلى الأرض، فصاح:

« ويلكما! ما تريدان؟ » فقطعا يديه من رأس كتفيه، وشقّا جوفه وأخرجا ما فيه، ولفّاه في كساء. وقتلا الصبي. وحملا الحاكم إلى ابن دوّاس، بعد أن عرقبا[1] الحمار. فحمله ابن دواس مع العبدين إلى أخته ست الملك، **فدفنته في مجلسها وكتمت أمره.** وأطلقت لابن دواس والعبدين مالاً كثيراً وثياباً. وأحضرت خطير الملك الوزير[2] وعرّفته الحال، واستكتمته واستحلفته على الطاعة والوفاء. ورسمت له بمكاتبة وليّ العهد، وكان مقيماً بدمشق نيابةً عن الحاكم، بأن يحضر إلى الباب، فكتب إليه بذلك. وانفذت عليّ بن داود، أحد القواد إلى الفرما (وهي مدينة على ساحل البحر) فقال له: إذا دخل وليّ العهد فاقبض عليه، واحمله إلى تنيس، وقيل غير ذلك، كما سيأتي ذكره. ثم كتبت إلى عامل تنيس عن الحاكم بإنفاذ ما عنده من المال، فأنفذه، وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم، خراج ثلاث سنين. وجاء وليّ العهد إلى الفرما، فقبض عليه وحُمِل إلى تنيس.

[1] **عرقب الدابة:** قطع عرقوبها؛ والعرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها، أي بين مفصل الوظيف والساق.

[2] وهو رئيس الرؤساء خطير الملك أبو الحسين عمار بن محمد؛ وكان يتولى ديوان الإنشاء أيام الحاكم؛ وهو الذي تولى البيعة للإمام الظاهر، خليفة الحاكم. راجع ابن الصيرفي: « **الإشارة إلى من نال الوزارة** » ص ٨٠، القاهرة ١٩٢٥، مطبوعات المعهد الفرنسي بالقاهرة.

وفَقَدَ الناسُ الحاكمَ في اليوم الثاني. وَمَنع أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظاراً للحاكم، على حسب ما أمره به. ثم خرج الناس في اليوم الثالث إلى الصحراء، وقصدوا الجبل، فلم يقفوا له على أثر. وأرسل القواد إلى أخته وسألوها عنه، فقالت: « ذكر لي أنه يغيب سبعة أيام، وما هنا إلاّ الخير ». فانصرفوا على سكونٍ وطمأنينة.

ولم تزل أخته في هذه الأيام ترتب الأمور وتفرق الأموال وتستحلف الجند. ثم بعثت إلى ابن دوّاس المذكور، وأمرته أن يستحلف الناس، لابن الحاكم، كُتامة وغيرها، ففعل ذلك.

فلما كان في اليوم السابع ألبَسَتْ أبا الحسن عليّ بن الحاكم أفخَرَ الملابس، واستدعتْ ابن دوّاس وقالت له: « المعول في قيام هذه الدولة عليك، وتدبيرها موكّل إليك. وهذا الصبي ولدك، فابذل في خدمته وُسعَك ». فقبّل الأرض، ووعدها بالطاعة ـــ ووضعت التاج على رأس الصبي، وهو تاجٌ عظيم فيه من الجواهر ما لا يوجد في خزانة خليفةٍ، وهو تاج المعزّ جد أبيه. وأركبته مركباً من مراكب الخليفة. وخرج بين يديه الوزيرُ وأرباب الدولة. فلما صار إلى باب القصر، صاح خطير الملك الوزير: « يا عبيد الدولة! مولاتنا السيدة تقول لكم: هذا مولاكم فسلّموا عليه ». فقبّلوا الأرض بأجمعهم. وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل. ولقبوه: « الظاهر لإعزاز دين الله. » وأقبل الناس أفواجاً فبايعوه. وأطلق المال، وفرح الناس، وأقيم العزاء على الحاكم ثلاثة أيام ».

ويتمم القضاعي هذه الرواية في مضمونها، لا في تفاصيلها، ثم يذكر كيف أن جماعة من الكتاميين والأتراك والقضاة والعدول خرجوا

في يوم الخميس أخر شوال ٤١١، خرجوا بحثاً عن الحاكم « فبلغوا دير القصـــير[1] (المكـــان المعروف بحلوان)، وأمعنوا في الجبل. فبينما هم كذلك بصروا بالحمار الذي كان راكبه، على قَرْن الجبل قد ضربت يداه بسيف فقطعتا، وعليه سرجه ولجامه. فتتبعوا الأثر: فإذا أثر راجلٍ خلف الحمار، وأثر راجلٍ قدّامه. فقصّوا الأثر حتى أتوا إلى البركة التي شرقيّ حلوان. فنزلها بعض الرجالة، فوجد فيها ثيابه، وهي سبع جباب مزرّرة لم تحـــل أزرارهـــا، وفيهـــا أثـــر السكاكين، فتيقنوا قتله. وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وولايته على مصر خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً ».

ثم يذكر القضاعي كيف غدرت ست الملك في الغداة بابن دواس الذي دبّـــرت معـــه اغتيال الحاكم، فقال: « ثم أمرت ست الملك بخلع عظيمة ومالٍ كثير ومراكب ذهب وفضـــة للأعيان. وأمرت ابن دواس أن يشاهدها في الخزانة، وقالت له: « غداً نخلع عليك ». فقبّـــل ابن دوّاس الأرض وفرح وأصبح من الغد، فجلس عند الستر ينتظر الإذن حتى يأمر وينهـــى. وكان للحاكم مائة عبد يختصون بركابه، ويحملون السيوف بين يديه، ويقتلون مـــن يـــأمرهم بقتله. فبعثت بهم ستُ الملك إلى ابن دوّاس ليكونوا في خدمته. فجاءوا في هذا اليوم ووقفـــوا بين يديه. فقالت ست الملك لنسيم، صاحب السّتر: اخرج قف بين يدي ابن دوّاس وقل للعبيد: يا عبيد! مولاتنا تقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فاقتلوه. فخرج نسيم فقال لهم ذلـــك. فمـــالوا على ابن دوّاس بالسيوف فقطعوه، وقتلوا العبدين اللذين قتلا الحاكم.

[1] وكان موقعه فوق جبل المقطم في الاتجاه الشرقي لمحطة المعصرة الحالية، ويُسمّى: دير بحنس القصـــير، نسبةً على بحنس هذا وكان راهباً قصير القامة. وسمي أيضاً دير هرقل، ودير البغل.

وكل من اطّلع على سرّها قتلته. فقامت لها الهيبة في قلوب الناس. انتهى كلام القضاعي.

وقال ابن الصابئ: « لما قتلت ستّ الملك ابن دوّاس قتلت الوزير الخطير ومَنْ كانت تخاف ممن عرف بأمرها »[1].

إذن قتلت ست الملك ابن دوّاس والعبديْن اللذين توليا قتل الحاكم، وكذلك قتلت الوزير الخطير، أي خطير الملك أبا الحسن عمار بن محمد، لأن هؤلاء الأربعة كانوا يعلمون السرّ، وهو أنها هي التي دبّرت قتل أخيها. ولا بدّ أنْ يكون قتلها لابن دوّاس بعد تولي علـي بـن الحاكم (الملقب بالظاهر لاعزاز دين الله) الخلافة بعد الحاكم، وذلك في يوم عيد النحـر (١٠ ذي الحجة) سنة ١٤١١ هـ، وكانت سنه آنذاك ١٦ سنة و٨ أشهر وخمسة أيام. وكـان مقتـل الحاكم في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة[2] وأربعمائة، فكأن منصـب الخلافـة الفاطمية ظل شاغراً ٤٢ يوماً، تضاربت فيها الظنون عن مصير الحاكم بأمر الله وكان للعثور على حماره الأشهب، المدعو بالقمر، قرب دير القصير ما أطلق العنان للأساطير عند الكتاب النصارى مما هو محض أكاذيب[3] لا تحتمل حتى مجرد ذكرها.

ومن الفروض المجانية المبالغة في الخيال ما افترضه أوجست مُلر[4]

---

[1] نقله ابن تغري بردي في « **النجوم الزاهرة** » جـ ٤ ص ١٩١ ــ ١٩٢. القاهرة، نشرة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٣٣م.

[2] كما في « **وفيات الأعيان** » لابن خلكان جـ ٤ ص ٣٨٢، القاهرة سنة ١٩٤٨ م.

[3] مثلما في كتاب أبي صالح عن الكنائس والأدعية في مصر، طبع أكسفورد سنة ١٨٩٥، نشرة وترجمة إيفتز Evetts ؛ وما في كتاب ابن العبري، في الأصل السرياني.

[4] A. Muller : *« Der Islam in Morgen und Abendland»*, Berlin 1885, I, p. 633.

من أن الحاكم إنما اعتزل العالم في خلاء المقطم لما رأى استحالة تحقيق أفكاره!! وإلاّ فلماذا لم يعثر على جثته؟ ولماذا عثر على ثيابه على النحو الذي ذكره القضاعي وابن خلكان وغيرهما؟

أما الدروز فيقولون « بغيبة » الحاكم بأمر الله، وهذا يتمشى مع اعتقادهم أن الألوهية قد حلّت في ناسوته. وفي هذا القول « بالغيبة » يتفقون مع الشيعة الاثنا عشرية الذين قالوا « بغيبة » الامام الثاني عشر، محمد بن الحسن العسكري وبأن له غيبتيْن « صغرى » من سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) إلى حوالي سنة ٤٢٩ هـ (سنة ٩٤١ م) وكان فيها على اتصال بأتباعه بواسطة « سفراء » يتصلون به ويقومون مقامه عند الشيعة، ولكن رابع هؤلاء « السفراء » لم ينص على من يخلفه، ومن هنا ابتدأت بعد وفاة السفير الرابع ما عرف باسم « الغيبة الكبرى »، وفيها لا يتصل بالامام الغائب أحد، لكنه بقي حياً مستوراً عن الأنظار، وربما يراه الناس بين الحين والحين، وربما تلقى رسائل موضوعة على قبور كبار الأئمة الشيعة، ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن هذا الامام الثاني عشر المستور في الغيبة الكبرى يحضر موسم الحج في مكة، دون أن يلحظه أحد، وذلك لامتحان قلوب المؤمنين. ونظراً « لغيبة » الامام فإن الشيعة الإثنا عشرية لا يقيمون صلاة الجماعة، لعدم وجود الامام حاضراً مشاهداً[1].

وقد عرض حمزة بن علي نظرية الدروز في الغيبة في « **رسالة**

[1] راجع عن نظرية الغيبة عند الشيعة الاثنا عشرية: ابن بابوية القمي: « **كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة** »، نشرة ارنست ميلر ١٩٠١ Ernst Muller: *Beitrage zur Mahdilehre des Islam*, I, Heidelberg, 1901. ، وراجع جولدتسيهر: « **محاضرات في الإسلام** » ص ٢٣٢ وما يتلوها، وص ٢٦٩ من الأصل الألماني.

الغيبة » من **مجموع رسائل الدروز** (رقم ٣٥).

ويشير شمس الدين الذهبي إلى معتقد الدروز في غيبة الحاكم فيقول « ولمَّا قُتل الحاكم صار جماعة من الجهال المغفلين، من وادي التيم من نواحي الشام، يعتقدون حياة الحاكم إلى الآن ويقولون: لا بدّ أن يظهر في آخر الزمان ويعود إلى الخلافة، وأنه هو المهدي لا محالة، ويحلفون إلى الآن بغيبة الحاكم »[١].

ويقول ابن القلانسي في « **ذيل تاريخ دمشق** »[٢] بعد ذكره كيف رتبت أخت الحاكم، ست الملك، مقتل أخيها: « ورتبت (أي ست الملك) له من اغتاله في بعض مقاصده، وأخفى مظانه فأتى عليه، وأخفى أمره إلى أن ظهر في عيد النحر من سنة ٤١١. وقال المغالون في المذهب إنه غائبٌ في سرّه، ولا بد أن يؤوب، ومستترٌ في غيبه ولا بد أن يرجع إلى منصبه ويثوب ».

---

[1] نقله ابن اياس: « **بدائع الزهور في وقائع الدهور** » ج ١ ص ٥٨، طبع بولاق، القاهرة سنة ١٣١١ هـ.

[2] تاريخ أبي يعلى حمزة ابن القلانسي المعروف بـ « **ذيل تاريخ دمشق** »، ص ٧٩ ــ ٨٠: بيروت سنة ١٩٠٨ هـ. وقد توفي ابن القلانسي في ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ.

دعوة « الموحدين » بعد مصرع الحاكم

قلنا إنه بعد وفاة الحاكم لم يظهر أثرٌ في مصرٍ لأتباعه، وعلى رأسهم حمزة. وكل ما هنالك من أثر هو ما يُقال من أن حمزة بن علي هو الذي حرر « السجل الذي وُجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم بأمر الله ».

ونحن نعتقد أن هذا السجلّ ليس من وضع حمزة بن علي، لأنه يخالف كل العقائد التي دعا إليها حمزة بن علي:

١ ــ فهو ينعت الحاكم بأنه « وليُّ أمركم، وإمام عصركم، وخَلَف أنبيائكم وحجة باريكم، وخليفة الشاهد عليكم بموبقاتكم »، وأنه وليّ الله، و« خليفته في أرضه » و« أمير المؤمنين » ــ وهذه الصفات هي التي يخلعها الاسماعيلية على كل الأئمة أعني الخلفاء الفاطميين وتتنافى مع ما ذهب إليه حمزة في رسائله، وخصوصاً في « ميثاق وليّ الزمان »، حيث نعت الحاكم بأنه « مولانا الأحَد، الفرد الصمد، المنزّه عن الأزواج والعدد ». ولهذا فلا يمكن أن يكون هذا « السجل » من وضع حمزة، حتى لو كان في ذلك قد أراد الحيلة والخداع للناس في الفترة العصيبة التي تلت اختفاء الحاكم.

٢ ــ إن هذا « السجل » يمجد في الحاكم بأمر الله أنه أحيا « سنة الإسلام والإيمان، التي هي الدين عند الله، وبه شرفتم وظهرتم في عصره على جميع المذاهب والأديان، ومُيِّزْتم من عبدة الأوثان، وأبانهم عنكم بالذلة والحرمان، وهَدَم كنائسهم ومعالم أديانهم، وقد كانت قديمة من أقدم الأزمان، وانقادت « الذمة » (= أهل الذمة) إليكم طوعاً وكرهاً، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وبَنى الجوامع وشيدها وَعَمَرَ المساجد وزخرفها، وأقام الصلاة في أوقاتها، والزكاة في حقها وواجباتها، وأقام الحجّ والجهاد، وَعَمر بيت الله الحرام، وأقام دعائم الإسلام ».

كيف يتفق تمجيد الحاكم بسبب احيائه سنن الإسلام والسهر على أداء أركانه، مع ما يذهب إليه حمزة بن علي، في « ميثاق وليّ الزمان » من أن من يدخل في ديانة « التوحيد » التي دعا إليها فعليه أن يتبرأ « من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته (أي عبادة الحاكم بأمر الله) أحداً مضى أو حضر أو ينتظر » الخ.

إن كل ما في هذا « السجل » تكذيب لكل ما دعا إليه حمزة بن علي. فليس من المعقول إذن أن يكون هو كاتبه، مهما كانت هناك من أسباب للتقية والتمويه تدعوه إلى ذلك.

وإذن فمن كاتب هذا « السجل »؟

إن الكاتب يدافع عن تصرفات الحاكم من وجهة نظر دينية إسلامية صريحة، ويأخذ على الناس ما خاضوا فيه من فساد، تسببَ عنه غضب

الحاكم وسخطه عليهم، ومن دلائل غضبه عليهم: « غلق باب دعوته، ورفع مجالس حكمتـــه، ونقل جميع دواوين أوليائه وعبيده من قصره، ومنعه عن الكافة سلامَه وقد كان يخرج إلـــيهم من حضرته، ومنعه لهم عن الجلوس على مصاطب سقائف حرمه، وامتناعه عن الصلاة بهم في الأعياد وفي شهر رمضان، ومنعه لمؤذنيه أن يسلموا عليه وقـــت الأذان، ولا يذكرونـــه، ومنعه جميع الناس أن يقولوا: مولانا، ولا يقبّلوا له التراب، وذلك مفترض على جميع أهـــل طاعته، وإنهاؤه جميعَهم عن الترجل له من ظهور الدواب، ثم لباسه الصوف علـــى أصـــنافه وألوانه، وركوبه الأتان، ومنعُه أولياءه وعبيده الركوبَ معه، حســـبَ العـــادة، فـــي موكبـــه، وامتناعه عن إقامة الحدود على أهل عصره. »

وكأنه بهذا يصف بالزهد والتواضع للناس، والرأفة بالرعية، والبعد عن كل مظـــاهر الفخفخة وأبهّة الملك. وهذه كلها أوصاف لا يلجأ إليها إلا من يريد أن يـــدافع عـــن الحـــاكم بوصفه عبداً زاهداً سليم الإيمان موصوفاً بالفضائل الإسلامية التي يسعى إلـــى التحلـــي بهـــا الصوفية المتواضعون لله. فأين هذا كله من دعوى تأليه الحاكم؟!

ثم إن « السجل » قد وجد معلقاً على المساجد، أي أريد به أن يكون منشوراً علناً يعمّم على جميع الناس. وأكثر من هذا نجده يذكر في آخره الحث على استنساخه ونشره بين كافـــة الناس وقراءته لهم، فقد ورد: « ولا يمنع أحدٌ من نسخها وقراءتها، نفع الله من وُفق للعمل بما فيها من طاعة الله وطاعة وليه أمير المؤمنين، سلام الله عليه. حرامٌ حرامٌ على من لا ينسخها ويقرؤها على التوابين في جامع أسفل، وحرامٌ حرامٌ على من قدر على نسخها وَقصّر ».

فمثل هذه العلانية التامة لا يمكن أن تخطر ببال حمزة بن علي وأتباعه.

ولما كان تاريخ هذا « السجل » هو، كما ورد في آخره، « شهر ذي القعدة سنة إحدى عشرة وأربع مائة »، ولما كان اختفاء الحاكم في ٢٧ شوال من نفس السنة، فإذن كتب هذا السجل وعلّق في الأيام التالية مباشرة لوفاة الحاكم أو اختفائه.

ولهذا نفترض نحن أن هذا « السجل » قد كتب في الأيام التي كان لا يزال البحث فيها جارياً عنه في منطقة جبل المقطم وعند المعصرة وقرب حلوان. ونفترض أنه صدر أو أمر بكتابته من كان يهمه بقاء الحاكم خليفة، ويخشى من أن يجيء بعده من ينتزع منه سلطانه لدى الحاكم.

لهذا نرى أن صاحب المصلحة في ذلك، وهو في نظرنا خطير الملك أبو الحسين عمار بن محمد الذي كان يتولى ديوان الإنشاء أيام الحاكم، أو من شابهه، لا بد أنه هو الذي أمر بكتابة هذا « السجل » وتعليقه على المساجد إعلاناً عاماً للناس طمأنة لهم وتخويفاً في نفس الوقت، خصوصاً وهو يعلم أن الناس كانوا يكرهون الحاكم وأن وفاته ستحدث اضطراباً في الأمن واختلالاً في أحوال الدولة. لهذا سارع بإصدار هذا البيان إلى أن تنجلي الأحداث ويكشف السرّ عن اختفاء الحاكم بأمر الله.

والشواهد على هذا كثيرة في التاريخ، حينما يختفي سلطان أو ملك أو حاكم، ولا يدري الناس أين مصيره. فدرءاً لما ينجم عن اختفائه من اضطرابات يصدر القائمون على الدولة أمثال هذه البيانات.

أما كون هذا « السجل » قد وضع في صدر « كتب الدروز » فلا ينهض شاهداً على شيء مخالف لهذا الفرض.

موقف الخليفة الظاهر من دعوة « التوحيد »

ويبدو أن خليفة الحاكم بأمر الله على خلافة الفاطميين في مصر، وهو ابنه أبو هاشم، وقيل: أبو الحسن، علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور، وهو الذي تولى الخلافة، في يوم عيد النحر (١٠ ذي الحجة) سنة ٤١١ هـ، نقول: يبدو أن الخليفة الظاهر هذا قد ألغى القرارات التي أصدرها الحاكم « وعَدَل في الرعية وأحسن السيرة، وأعطى الجند والقوّاد الأموال، واستقام له الأمر مدة... وكان الظاهر لإعزاز دين الله كثير الصدقات منصفاً من نفسه، لا يدّعي دعاوى والده وجدّه في معرفة النجوم وغيرها من الأشياء المنكرة[1] ».

ويهمنا خصوصاً رواية ذكرها الهلال بين الصابئ ونقلها ابن تغري بردي **في** « **النجوم الزاهرة** » عن موقف الخليفة الظاهر من دعاوى الغلوّ الشيعية في أيامه. يقول هلال بن الصابئ: « وجدتُ كتاباً كُتب من مصر في سنة أربع عشرة وأربعمائة على لسان المصريين (= الخلفاء الفاطميين) وهو كتاب طويل، فمنه: « وذهبت طائفة من النصيرية إلى الغلوّ في أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، غَلَتْ وادّعت فيه ما ادعت النصارى في المسيح. ونجمت

---

[1] أبو المظفر في « **مرآة الزمان** »، نقله ابن تغري بردي في « **النجوم الزاهرة** » ج ٤ ص ٢٤٨، طبعة دار الكتب المصرية.

من هؤلاء الكفرة فرقة سخيفة العقول ضالّة يجهلها عن سواء السبيل، فغلوا فينا غلواً كبيــراً، وقالوا في آبائنا وأجدادنا منكراً من القول وزوراً. ونسبونا بغلوهم الأشنع، وجهلهم المســتفظع ـــ إلى ما لا يليق بنا ذكره وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضُلاّل. ونســأل الله أن يحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا بــه جــدّنا المصطفى، وأبونا علي المرتضى، وأسلافنا البررة أعلام الهدى. ـــ وقد علمــتم يــا معشــر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر هؤلاء الكفر الفسّاق، والفجرة المرّاق، وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرّق. فظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين. وكان من جملــة من دعاه الخوف منهم إلى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثــوَل (= أحمــق)، ضــال مضلّ، سار مع الحجيج إلى مكّة ـــ حرسها الله ـــ فرقاً من دفع الحسام، وتستر بــالحج إلــى بيت الله الحرام، فلما حصل في البيت المفضل المعظم، والمحل المقدس المكرم، أعلن بــالكفر وما كان يخفيه من المكر، وحمله لممٌ في عقله، على قصد الحجر الأسود حتى قصده وضربه بدبّوسٍ ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وُصلتْ بعد ذلك. ثم إن هذا الكافر عُوجل بالقتل على أسوأ حاله وأضلّ أعماله، وأُلحق بأمثاله من الكفرة الورادين موارد ضلاله، ذلــك لهــم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم.

ولعمري إن هذه لمصيبة في الإسلام قادحة، ونكاية فادحة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. لقد ارتقى هذا المعلون مرتقى عظيماً ومقاماً جسيماً، أذكر به ما كان أقدم عليه غــلام ثقيــف المعروف بالحجاج ـــ لعنه الله ـــ من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنيانه وردمه.

ثم ذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى، يطول الشرح في ذكره.

انتهى كلام الصابئ »[١].

وقد وقع هذا الحادث في يوم الجمعة بعد العيد الأضحى في شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة وأربعمائة.

وعلى الرغم من عدم ذكر الدروز أو دعاة مذهب « التوحيد »، أو أي وصف واضح من هذا القبيل، فإنه يغلب على الظن أن كلام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله في هذا المنشور عن الفرقة التي غلَتْ في الخلفاء الفاطميين (« فغلوا فينا غلواً كبيراً ») هو إشارة إلى دعوة حمزة بن علي إلى تأليه الحاكم بأمر الله، أبيه. وأنه لهذا فرّق أصحابها في البلاد كل مفرّق، حتى « ظعنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين »، وأن الرجل الذي فعل تلك الفعلة بالحجر الأسود أثناء موسم الحجّ في شهر ذي الحجة سنة ٤١٣ ﻫ هو من أتباع هذه الفرقة. وإلى هذا يشير ابن الجوزي، وابن تغري بردي (جـ ٤ ص ٢٤٩): « وقيل إن الرجل الذي فعل ذلك كان من الجهّال الذين استغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم. فلما بلغ الظاهر ذلك شقّ عليه، وكتب كتاباً في المعنى » وهو هذا الذي أوردنا نصه.

وإذن فقد سعى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله إلى القضاء على دعاة تأليه الحاكم بمجرد تولّيه الخلافة، إذ تولى في ١٠ ذي الحجة سنة ٤١١ ﻫ، وهذا الحادث الخاص بالحجر الأسود وقع في ذي الحجة سنة ٤١٣ وكان الفاعل من أولئك الذين شرّدهم الظاهر لاتباعهم دعوة تأليه الحاكم. فهذا يدل على أن الظاهر قد أخذ في تعقب أصحاب هذه الدعوة منذ بداية ولايته الخلافة. وكان وزيره الذي استعان به في ذلك

[1] أورده بن تغري بردي: « **النجوم الزاهرة** »، جـ ٤ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠.

وفي غيره هو نجيب الدولة (كان الوزراء يلقبون أيضاً كالخلفاء بأمثال هذه الألقاب) علي بن أحمد الجرْجرائي وكان « من بيت حسن ورياسة، وكان أقطع اليدين من المرفقين، قطعهما الحاكم بأمر الله في سنة أربع وأربعمائة »[1] وكان هذا سبباً آخر قوياً للانتقام من دعاة تأليه الحاكم! وكان تقليد الجرْجرائي للوزارة في ١٢ ذي الحجة سنة ٤١٨ هـ.

ولم يجد أصحاب هذه الدعوة ملجأً لهم إلاّ وادي التيم في الشام، حيث بقوا هناك حتى اليوم.

ووادي التيم سُمي بهذا الاسم نسبة إلى تيم اللات، وتيم اللات هو مجتمع قبيلة تنوخ بأسرها.

وتنوخ أول قبيلة عربية عمرت منطقة الحيرة على الفرات، وكان منهم الملك النعمان بن المنذر وأمه تُدعى ماء السماء ــ ولُقبت بذلك لجمالها، وبين تنوخ اللخمي القحطاني اليمني وبين الملك النعمان ثمانية أجداد هم: تنوخ، بن قحطان، بن عوف، بن كندة، بن جندب، بن مذحج، بن سعد، بن لُحَيّ، بن تميم، بن النعمان ابن المنذر.

وتنوخ هم بنو تميم الله بن أسد بن وَبَرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة.

وكانت تنوخ تدين بالنصرانية قبل الإسلام، شأنهم شأن إياد وربيعة وبكر وتغلب والنمر وعبد القيس، وغسان، وبنو الحارث بن كعب

[1] ابن تغري بردي: « **النجوم الزاهرة** » ج ٤ ص ٢٤٨. راجع كتاب تولية الجرْجرائي للوزارة في « **ذيل تاريخ دمشق** » لابن القلانسي ص ٨٠ ــ ٨٣. بيروت سنة ١٩٠٨.

بنجران، وطيء، وكثير من كلب وكل من سكن الحيرة من تميم ولخم وغيرهم[1]. ويقول ابن العديم في كتاب « **الأنصاف والتحري في نسب المعري** »: « وقحطان هو مجتمع قبائل اليمن بأسرها، وتيم اللات مجتمع تنوخ بأسرها. وإنما سموا تنوخاً لأنهم تنخوا بالشام، وقيل: بالحيرة، أي أقاموا... وهم أول من عَمَر الحيرة ونزلها. وكان لهم قوة وبأس وغناء وكثرة... فلما جاء الإسلام قدموا مع أبي عبيدة بن الجرّاح. وكانوا أشدّ مَنْ معه من العرب شوكةً وأكثرهم عدداً. فانتخوا البلاد واختطوا الخطط، ونزلوا قنسرين ومنبج وحماة ومعرّة النعمان وكفر طاب وغيرها من بلاد الإسلام، وتغلبوا عليها وكانوا على دين النصرانية »[2].

ومن بني تنوخ، آل أرسلان، وآل بحتر، وآل علم الدين. وهذه الأسر هي التي قبلت دعوة محمد الدرزي وحمزة بن علي، وإلى أعيانها أرسلت الرسائل من حمزة. وهذه الرسائل أرسلت باسم ثلاثة منهم هم: أبو الفضائل عبد الخالق بن محمد، وأبو الحسن يوسف بن مصبح، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله.

ويبدو أن مجيء أرسلان لأول مرة إلى وادي التيم كان في سنة ١٤٢ ه، إذ بعث بهم إلى هناك أبو جعفر المنصور العباسي، وأقطعهم الغرب وما إليه، ويشمل: الغرب الشمالي (ومن أهم بلاده: رأس المتن، بيت مري، الشبانية) والغرب الأعلى (ومن أهم بلاده:

---

[1] راجع ابن حزم: « **جمهرة أنساب العرب** »، ص ٤٥٧، نشرة ليفي بروفنسال، القاهرة سنة ١٩٤٨.

[2] راجع في هذا مقال شكيب أرسلان في « **مجلة المجمع العلمي العربي** »، المجلد ١١ (سنة ١٩٤١) ص ٤٦١ وما يليها.

عاليه، رويسات البلوط، بعبدا) والغرب الأقصى: « ومن بلاده: الشويفات، سوق الغرب، خلده، عيتات). وكان على رأس هذه الموجة الأولى من الأرسلانيين في لبنان، الأمير منذر بن مالك، وأخوه الأمير أرسلان وأبناء إخوتهم، وهم: الأمير خالد بن حسان، والأمير عبد الله بن النعمان، والأمير فوارس بن عبد الملك. وقد ورد ذكرهم هم وعشائرهم في « **السجلّ الأرسلاني** » المؤرخ في صفر سنة تسعين ومائة.

وقد بدأوا بالاستقرار في المرتفعات الواقعة بين البقاع وبيروت والمتن الأعلى كله وكذلك السفوح حتى الساحل. واستقر الأمير أرسلان بن مالك (وأرسلان = أسد) في « سن الفيل »، وفي هذه الفترة توفي في سنة ١٧٠ ﻫ ودفن في بيروت. وامتدت امارة الأرسلانيين في منطقة تحد من الشمال الشرقي بضواحي بيروت فسن الفيل فالدكوانة فالمنصورية فبيت مري. واستوطن الأمير منذر: سلحمور، والأمير حسان بن خالد بن مالك: طردلا، والأمير عبد الله بن النعمان بن مالك: كفرا، والأمير فوارس بن عبد الملك بن مالك: عبيه.

وأخذ الأرسلانيون يطاردون المردة. « ولما قدم الخليفة المهدي إلى دمشق سار إليه الأمير المنذر والأمير أرسلان فأكرمهما، لما بلغه من شدة بأسهما، وأقرّهما على اقطاعاتهما، وسارا معه إلى بيت المقدس. ثم جرت بينهما وبين المردة مواقع عديدة، أشهرها وقعة نهر الموت. ووقعة أنطلياس. ثم كفّت المردة عن سواحل بيروت... وسنة ٧٩١م (= ١٧٥ ﻫ) هاجم المردة الأمير مسعوداً في سنّ الفيل فهزمهم، وانتقل سنة ٧٩٩م (= ١٨٣ ﻫ) بعشيرته إلى الشويفات، وبنى فيها الأبنية فعمرت لهم من ذلك الوقت... وفي هذه السنة (٨٠٤ م =

١٨٩ هـ) بلغ الرشيد بسالة الأمراء المذكورين فبعث بالأوامر في انتقال الناس إلى لبنان وتقوية شوكتهم وعمرانه »[١].

وكانت لهم مواقع مع الصليبيين. ففي سنة ١١١٠م (٥٠٤ هـ) جاء الصليبيون إلى الغرب وأحرقوه، وقتلوا كثيراً من الأمراء، فانقرض بيت الأمير فوارس، ولم يبق من أمراء الغرب إلاّ بحتر بن عضد الدولة علي. وحارب الأمير مجد الدولة الافرنج في سنة ١١٢٦م، ولكنه قُتِل، وتولى بعده ناهض الدين أبو العشائر بحتر بن عضد الدولة، وفي سنة ١١٥١م كانت الوقعة بينه وبين الفرنجة في رأس التينة عند نهر الغدير فانتصر عليهم، وتوالت انتصاراته على الصليبيين، حتى توفي سنة ١١٥٧م (٥٥٢ هـ). وحارب أمير الجيش زين الدين مع الملك المظفر سيف الدين قطز ضد التتار في سنة ١٢٥٩ حتى تم النصر للمسلمين على التتار في موقعة عين جالوت الشهيرة.

ولما انتصر السلطان سليم العثماني على الملك الأشرف قانصوه الغوري في موقعة مرج دابق سنة ١٥١٦م، كان الأمير الأرسلاني جمال الدين أحمد في صف العثمانيين، فولاه السلطان سليم على الغرب والمتن والجرد، ثم أضيف إليه الشوف من يد المعنيين وصار أميراً على جنوبي لبنان. ولكن تقلص نفوذهم لما أن علا نجم المعنيين، واستولوا على بيروت في سنة ١٦١٥م. ثم جرت لهم بعد ذلك مواقع مع الشهابيين في أوائل القرن الثامن عشر، حتى اقتصر نفوذهم على منطقة عالية والشويفات وما جاورها وما زال حتى اليوم.

---

[1] **دائرة معارف البستاني** جـ ٣ ص ٨٢ ــ ٨٣، بيروت سنة ١٨٧٨.

الشهابيون

أما الشهابيون فإنهم جاءوا وادي التيم في عهد نور الدين زنكي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وذلك في عهد الأمير مُنْقِذ. وكان وادي التيم قد صـــار فـــي أيـــدي الصليبيين. فحاربهم الشهابيون وانتصروا عليهم انتصاراً باهراً، واستولوا على حاصبيا وقتلوا الكثير من زعماء الإفرنج، وبعث الأمير منقذ برؤوسهم إلى نور الدين زنكي فكافأهم على ذلك بأن جعل الأمير منقذ أميراً على البلاد التي فتحها. والشهابيون في الأصل من الحجاز، مـــن بني مخزوم القرشيين، من بني مالك الملقب بشهاب، وينحدرون من سلالة بني مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. وجاء لقب شهاب من استيطانهم قرية « الشهباء » إحـــدى قـــرى حوران، لما أن استوطنوها بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب في سنة ١٥ هـ (٦٣٦م)، وقيل في تفسيره غير ذلك.

وقد انتقلت الولاية في لبنان إلى الشهابيين لما توفي الأمير أحمد المعني في دير القمر في سنة ١٦٩٦، إذ تولى الولاية الأمير بشير بن حسن الشهابي أمير راشـــيا، وتـــوفي ســـنة ١٧٠٦م، فتولى الأمير حيدر ابن الأمير موسى، وتوفي في دير القمر سنة ١٧٣٢م وفي عهده ارتفع شأن القيسية، وتقلص نفوذ اليمنية. وتولى ولاية جبل لبنان الأمير ملحم قبل ذلك بثلاث سنوات ــ أي في سنة ١٧٢٩ ــ واستمر فيها حتى طمع فيها أخواه في سنة ١٧٥٤ فتولياها: وهما: أحمد (والد المؤرخ أحمد الشهابي) ومنصور الذي فصل سنة ١٧٧٠م.

وفي سنة ١٧٥٤م هذه تنصر الأمير علي حيدر، كما تنصر من أبناء الأمير مَلْحَـــم: الأمير قاسم، والأمير سيد أحمد، والأمير حيدر

وكذلك تنصر عدد كبير من الأمراء الشهابيين ثم الأمراء اللمعيون. ولهذا السبب نجد ابتــداءً من هذا التاريخ الأسرة الشهابية تنقسم إلى مسلمين. ونصارى موارنة، ودروز، ولا تزال هذه حالها حتى اليوم. بل إن أكبر الأمراء الشهابيين، وهو الأمير بشير الشهابي، أو بشير الثاني، الذي تولى ولاية جبل لبنان من سنة ١٧٨٨ حتى سنة ١٨٤٠ تقلّب بين الإسلام السنّي والعقيدة الدرزية والنصرانية معاً! فكان أمام العثمانيين مسلماً سنياً، وأمــام الــدروز درزيــاً، وعنــد النصارى نصرانياً! ولا نعلم على وجه الدقة متى اعتنق الشهابيون المذهب الدرزي، والأرجح أن ذلك قد تم بعد أن صاروا حكاماً على جبل لبنان في أوائل القرن الثــامن عشــر. وتقلّــب الشهابيين بين الأديان المختلفة مرجعه في الغالب إلى أسباب سياسية[1] ».

آل جنبلاط

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى أسرة صارت لها الصدارة اليوم بين الأسر الدرزية، وهي أسرة جنبلاط. وهي تنتسب في الأصل إلى جان بولاد بن سعيد بن مصطفى بن حســين بــن جان بولاد بن قاسم الكردي، فهي من أصل كردي. وقد جاء جان بولاد أو جنبلاط (ويكتــب أحياناً: جانبلاط) مع ابنه رباح من[2] حلب إلى بيروت

---

[1] راجع الأمير حيدر شهاب: « **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين** »، بيروت سنة ١٩٣٢ ــ سنة ١٩٣٥.

[2] كانت عشيرة جان بولاد (جنبلاط) من بين عشائر الأكراد في لواء كلز بالقرب من حلب وتولوا حكم معرة النعمان، وحلب، وكلز. وكان علي بن جانبولاد أول من ترأس عشيرة الأكراد الجنبلاطية، في نواحي كلــز. ومن أكبر أعقابه حسين باشا بن جانبولاد الكردي الذي تولى إمارة كلز (أو كلس)؛ وقد قتــل ســنة ١١٠٤ هـ (راجع « **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** » للمحبي ج ٢ ص ٨٤ ــ ٨٧، القاهرة ســنة ١٢٨٤ هـ).

سنة ١٦٣٠م. ونظراً للصداقة التي قامت بينهم وبين المعنيين فقد دُعيا إلى الإقامة في الشوف، وذلك في العقد الثالث من القرن السابع عشر. وتوفي جان بولاد بن سعيد في سنة ١٦٤٠م، وبقي ابنه رباح في الشوف. وتولى ابنه علي على مقاطعات الشوف سنة ١٧١٢ من قِبَل الأمير حيدر الشهابي والي جبل لبنان. وفي عهد إمارة يوسف الشهابي على جبل لبنان، أوقع هذا الخصومة بين علي جنبلاط وبين الشيخ عبد السلام العماد، فانقسمت المنطقة إلى حزبين: حزب الجنبلاطية، وحزب اليزبكية المنتسبين إلى الشيخ عبد السلام، واستمر هذا النزاع بين الحزبين حتى عهد غير بعيد. وتوفي الشيخ علي جنبلاط سنة ١٧٧٨م في بعذران، وتولى بعده ابنه قاسم، الذي سكن المختارة، وهي قرية في أعالي منطقة الشوف، لا تزال حتى اليوم مقرّ أسرة جنبلاط. وقد وقعت الخصومة بين الأمير بشير الشهابي وبين الجنبلاطية حتى هزمهم الأمير بشير وخرّب بلادهم. ومن أشهر الجنبلاطية في القرن التاسع عشر الشيخ سعيد ابن الشيخ بشير الجنبلاطي، وقد لعب دوراً في الحرب مع إبراهيم باشا ابن محمد علي لما استولى على الشام. واشترك في المعارك التي قامت بين الدروز والنصارى في سنة ١٨٤١ وما بعدها. وصارت له مكانة كبيرة في لبنان في العقد السادس من القرن الماضي. واشترك في حوادث سنة ١٨٦٠ بين الدروز والنصارى، وقبض عليه مع من قبض عليهم من أعيان دروز جبل لبنان، وتوفي في سنة ١٨٦١.

المعنيون

أما المعنيون فمن الصعب معرفة مدة صحة انتسابهم إلى المذهب الدرزي، وإن كان الشائع أنهم دروز. يقول المحبّي عن الأمير

فخر الدين المعني، أكبر الأمراء المعنيين: « الأمير فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي، الأمير المشهور، من طائفة كلهم أمراء، ومسكنهم بلاد الشوف. ولهم عراقة قديمة. ويزعمون أن نسبتهم إلى معن بن زائدة. ولم يثبت. »

وكان بعض حفدة فخر الدين حكى له عنه أنه كان يقول: أصل آبائنا مـن الأكـراد. سكنوا هذه البلاد، فأطلق عليهم الدروز، باعتبار المجاورة، لا أنهم منهم[1] ». غير أن المحبي لا يصدق ذلك، ويعقب عليه بقوله: « وهذا أيضاً غير ثابت، فإنهم منشأ زندقة هذه الفرقـة » (**الكتاب نفسه** جـ ٣ ص ٢٦٦، السطر الأخير). وهذا يدل على اختلاف الـرأي فـي صـحة انتساب المعنيين إلى المذهب الدرزي. ويرجح عيسى اسكندر المعلوف أن المعنيين مسـلمون عرب، قال: « المرجّح أن المعنيين مسلمون عرب، كما صرّح بذلك المؤرخون: فـإن تعـدد الزوجات وبناء الجوامع في أوروبا والوطن، وطلب إمارة الحج لهم، ونشر لواء حكمهم على المدن والبلاد الإسلامية، وتوريثهم حكم لبنان للأمراء الشهابيين المسلمين، وعاداتهم وأخلاقهم العربية وعلاقاتهم مع القبائل والأسر الإسلامية، وتسمياتهم، وغيرتهم على أقوامهم، ومعاداتهم للأتراك: كلها أدلّة على صحة إسلاميتهم وعروبتهم... ويخال لنا أن نسبة الأمير فخر الـدين إلى الدرزية هي لأنه كان في جبل الدروز، أي الشوف، حاكماً، ولأنه كان يتساهل بالشـعائر الدينية الإسلامية أحياناً، فيقرّب إليه الدروز والنصارى، فأتهم بالخروج عن إسلاميته.

ويؤيد ذلك أن الأمير حسيناً، ابنه، جَحَدَ دُرْزيّته في الآستانة

[1] المحبي: « **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** » جـ ٣ ص ٢٦٦؛ القاهرة سنة ١٢٨٤ هـ.

وأثبت إسلاميته، كما ذكر المرادي في « **سلكه** » (٢: ٥٩، ٦٠)، وكان قد قال في « **سلكه** » قبلاً (٢: ٣١) « وَرَفَع تعَدّي رئيس طائفة الدروز، الأمير فخر الدين بن معن، الدرزي المشهور »[١].

وهذه الحجج التي ساقها عيسى اسكندر المعلوف ضعيفة: فالمرادي متناقض كما أثبت هو، وقوله: « كما صرّح بذلك المؤرخون » لا دليل عليه، و« نشر لواء حكمهم على المدن والبلاد الإسلامية » ليس دليلاً على أنه درزي المذهب، وإنكار ابنه حسين للدرزية في الآستانة يشابه تماماً تظاهر الأمير بشير الشهابي الثاني بالإسلام السُنّي أمام العثمانيين.

إحصاء الدروز في لبنان

ومن المفيد أن نورد هنا إحصاء بالدروز في لبنان مع مقارنته بالطوائف الأخرى:

	إحصاء ١٩٤٤	**إحصاء ١٩٥٦**
الدروز[٢]	٧١٧١١	٨٨١٠٠
السنة	٢٢٥٥٩٤	
الشيعة	٢٠٠٦٩٨	٢٥٠٠٠٠
الموارنة	٣١٨٢٠١	٤٢٢٠٠٠
الروم الأرثوذكس	١٠٦٦٥٨	١٤٠٠٠٠

[1] عيسى اسكندر المعلوف: « **تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني** »، هامش ص ٣٥، بيروت سنة ١٩٦٦.
[2] للدروز في مجلس النواب اللبناني ــ وعدد أعضائه حالياً ٩٩ ــ ستة نواب (اثنان في عاليه، واثنان في الشوف، وواحد في البقاع الغربي، وواحد في قضاء بعبدا).

الروم الكاثوليك (الملكانية)	٦١٩٥٦	٩٠٠٠٠
الأرمن الأرثوذكس	٥٨٠٠٧	
باقي الطوائف (يهود، بروتستانت الخ)	٤١٥٩٦	
مجموع سكان لبنان	١٢٥٣٩٩٢	١٤١٢٠٠٠

إحصاء الدروز في سوريا

وفي سوريا كان إحصاؤهم وسائر الطوائف في إحصاء سنة ١٩٤٧ كما يلي:

المسلمون السنة والشيعة	٢٤٨٨٩٠١
الدروز	٩٦٦٤١
المسيحيون (بمختلف الطوائف)	٤٢٤٠١٠
اليزيدية	٢٨٨٥
اليهود	٣٠٨٧٣
مجموع سكان سوريا	٣٠٤٣٣١٠

الدروز عرب

والدروز بعامة يعتقدون أنهم عرب عريقون في العروبة، ما داموا ينتسبون ــ في غالبيتهم ــ إلى قبائل تنوخ، على خلاف في أي تنوخ هو المقصود: تنوخ قضاعة، أو تنوخ لخم. والأرجح أو الأكثر شيوعاً أنه تنوخ قضاعة، إذ لا نعرف مَنْ هم تنوخ لخم هؤلاء. ولم نجد النسب الذي أورده شكيب أرسلان ــ وهو الذي حرص على توكيد هذه التفرقة ــ حين قال: « وما قيل لهم تنوخ إلاّ نسبة لأحد أجدادهم تنوخ بن قحطان بن عوف بن كندة بن جندب بن مذحج بن سعد بن لحي بن تميم بن نعمان بن المنذر بن ماء السماء. (وماء السماء) هي مارية بنت عمرو، لقبت بـ « ماء السماء » لجمالها. والمنذر بن ماء السماء المذكور هو ابن امرئ القيس بن النعمان الأعور بن امرئ القيس المحرق بن امرئ القيس الأول بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم بن عديّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. هكذا كما جاء في تاريخ صالح بن يحيى، ونقله عنه ابن سباط العاليهي، ونقل عن هذا، الأمير حيدر الشهابي، والشيخ طنوس الشدياق وغيرهم. » ويرد على فيليب حتي فيقول عقب

ذلك: « وإذا كان الأستاذ حتي لا يُسلّم بهذه النسبة الواردة في تاريخ صالح بن يحيى وغيره من تواريخ لبنان ولا يجدها دليلاً كافياً فليس لدينا آخر يثبت عكسها، ولا حجة على أن الأمراء التنوخيين اللبنانيين هم من تنوخ قضاعة.

والتواريخ لا تُبنى على الظنون، ولا على والخَرص والحدس. وغاية ما يُقال إن في تاريخ صالح بن يحيى أغلاطا. وربما لم تكن هذه النسبة كلها ثابتة بالتسلسل الذي هي عليه، فإن هذه السلاسل القديمة، وإنْ كانت متواترة، فإنه قد تواتر الخلاف أيضاً في كثير من رجالها »[١]. نقول: إننا لم نجد هذا النسب إلاّ عند صالح بن يحيى ومَنْ نقلوا عنه ولا يعتد بهم.

ونرى نحن أنه لا توجد مشكلة ها هنا: لأن قبائل تنوخ المعروفة، هي التي من قضاعة، قد « تنخ عليهم بطون من نُمارة بن لخم » كما قال الطبري[٢] وهو يتحدث عن اجتماع جماعة من قبائل العرب في الجزيرة « تحالفوا على التنوخ ــ وهو المقام ــ وتعاقدوا على التوازر والتناصر، فصاروا يداً على الناس. وَضمّهم اسم: تنوخ، فكانوا بذلك الاسم كأنهم عمارة من العمائر » **(الموضع نفسه)**. وهذا يدل على أن « تنوخ » ليس اسم علم على شخص معين، بل هو اسمٌ أُطلق على هذه القبائل العربية التي نزحت من اليمن وأقامت في البحرين. « وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان

[1] شكيب أرسلان: « **النقد التاريخي وعروبة آل معروف** »، مقال في « **مجلة المجمع العلمي العربي** » بدمشق ج ١١ (سنة ١٩٣١) ص ٤٦١. دمشق، سنة ١٩٣١.

[2] الطبري: **تاريخ الطبري**، طبع أوربا، القسم الأول ص ٧٤٦ = جـ ١ ص ٤٣٧، القاهرة سنة ١٩٣٩.

ملوك الطوائف الذين ملّكهم الاسكندر وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن دارا ملك فــارس، إلى أن ظهر أردشير بن بابك، ملك فارس، على ملوك الطوائف وقهــرهم ودان لـــه النـــاس وضبط له الملك. (قال): وإنما سُمّوا ملوك الطوائف لأن كل ملك منهم كان ملكه قلــيلاً مـــن الأرض: إنما هي قصور وأبيات، وحولها خندق، وعدوه قريب منه، له من الأرض مثل ذلك ونحوه، يغير أحدهما على صاحبه، ثم يرجع، كالخطفة. (قال:) فتطلعــت أنفُــس مَــنْ كــان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق، وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه » (**الكتاب نفسه**، ص ٧٤٧). ثم نزل كثير من تنوخ بلاد « الأنبار والحيرة، وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيه إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظالّ والأخبية، لا يسكنون بيوت المدر » (**الكتاب نفسه**، ص ٧٤٩).

وأول من ملك منهم الحيرة في زمن ملوك الطوائف (من سنة ٢٥٦ق. م إلــى ســنة ٢٢٦ بعد الميلاد، ومدة حكمهم جميعاً ٤٦٨ سنة) هو مالك بن فهم، وكان منزله ممــا يلــي الأنبار. ثم مات مالك فملك مِنْ بعده أخوه عمرو بن فهم. ثم هلك عمرو بن فهم فملك من بعده جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غــانم بن دوس الأزدي ــ قال ابن الكلبــي: دوس بــن عدنان بن عبد الله بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن مضر بن الأزد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ » (**الكتاب نفســه**، ص ٧٥٠). وبعد جذيمة صار الملك لابن أخته عمرو بن عديّ بن مضر بن ربيعة بن الحارث بن مالــك بن عمرو بن نُمارة بن لخم. « وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً، من ملوك العرب. وأول من مجده أهل الحيرة، في كتبهم، من ملوك العرب بالعراق. وإليه ينسبون. وهم ملوك آل

مضر. فلم يزل عمرو بن عديّ ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفرداً بملكه، مستبداً بأمره، يغزو المغازي ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود، وهمّته الأطول، لا يدين لملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له — حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس » **(الكتاب نفسه**، ص ٧٦٨ — ٧٦٩). ومن هنا ابتدأ ملك اللخميين ملوك الحيرة، وهم المناذرة بنو عدي بن مضر بن ربيعة، من ولد لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ. وطالت مدة ملك عمرو بن عدي بن مضر هذا ثم خلفه من بعده ابنه امرؤ القيس، وخلفه ابنه عمرو بن امرئ القيس، وكان ملكه في أيام سابور ذي الأكتاف (٣١٠ — ٣٨٠م). ثم ملك بعده أوس بن قلام العمليقي، ثم ملك آخرُ من العماليق. ثم رجع الملك إلى بني عمرو بن عدي بن مضر بن ربيعة اللخميين وملك منهم **امرؤ القيس الثاني**. وملك بعده ابنه **النعمان الأعور** بن امرئ القيس، وهو الذي بنى الخورنق والسدير وبقي في الملك ثلاثين سنة، ثم تزهد وخرج من الملك في زمن بهرام جور بن يزدجرد (٤٢٠ — ٤٣٨). وملك بعده: **المنذر بن النعمان** وانتهى ملكه في زمن فيروز بن يزدجرد (٤٥٩ — ٤٨٨). ثم ملك بعده ابنه **الأسود** بن المنذر، وهو الذي انتصر على غسان، عرب الشام وأسر عدة من ملوكهم. وانتهى ملكه في زمن فيروز، وملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الأعور. ثم ملك بعده علقمة الذميلي — وذميلٌ بطن من لخم. ثم ملك بعده **امرؤ القيس بن النعمان** بن امرئ القيس المحرق، وهو الذي قتل سِنِمّار الذي بنى له قصره. ثم ملك بعده ابنه **المنذر** بن امرئ القيس، وأمه هي ماء السماء، واشتهر باسم أمه فقيل له: المنذر بن ماء السماء، ولقبت بماء السماء لحسنها. واسمها مارية بنت عوف بن جشم. ثم طرد كسرى قباذ المنذر (٤٨٨ — ٥٣١) ابن ماء السماء عن ملك الحيرة، وولى مكانه: الحارث بن

عمرو بن حجر الكندي، لأن قباذ كان قد اعتنق ديانة مزدك، ووافقه الحارث ولم يوافقه المنذر، فطرده لهذا السبب. ثم لما تملك كسرى أنوشروان (٥٣١ ــ ٥٧٩) طرد الحارث وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ملك الحيرة. وبعده ملك عمرو، الملقب بـ « مضرط الحجارة » وهو ابن المنذر بن ماء السماء، ويعرف أيضاً باسم أمه هند، فيقال: عمرو بن هند. ولثماني سنوات خلت من ملكه كان مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ثم ملك من بعده أخوه **قابوس بن المنذر** بن ماء السماء. ثم ملك بعده المنذر بن المنذر. ثم ملك بعده ابنه **النعمان بن المنذر** بن ماء السماء، وكنيته قابوس، **وهو الذي تنصّر**. وملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى ابرويز (٥٩٠ ــ ٦٢٨). وبسبب مقتله كانت وقعة « ذي قار » بين الفرس والعرب.

ثم انتقل الملك في الحيرة بعد النعمان بن المنذر عن اللخميين إلى اياس بن قبيصة الطائي. ولستة أشهر من ملك إياس بُعث النبي محمد (صلعم). ثم ملك بعد إياس: زاذويه بن ماهان الهمداني. ثم عاد الملك إلى اللخميين فملك بعد زاذويه: المنذر بن النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وسمّته العرب: المغرور. واستمر مالكاً للحيرة إلى أن قدم إليها خالد بن الوليد، واستولى على الحيرة في سنة ١٢ للهجرة (٦٣٣م). وكانت المناذرة آل مضر بن ربيعة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق، مثلما كان ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام[١].

ومن هذا كله نرى أن آل المنذر بن ماء السماء، وهم لخميون، هم أيضاً من تنوخ الوافدين إلى الحيرة من البحرين وقد وفدوا إلى البحرين

---

[1] راجع: **تاريخ أبي الفداء**، جـ ١ ص ٧٣ ــ ٧٦، القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ.

من اليمن. فلا محل إذن للتنازع بين تنوخ لخم وتنوخ قضاعة، فكلاهما من تنوخ بالمعنى الذي أوردناه آنفاً أي جماعة القبائل التي تحالفت على التنوخ ـــ بمعنى الإقامة ـــ في البحرين، وقد جاء اسم « تنوخ » من معنى الإقامة، لا من اسم جدّ لهم عنه انحدروا.

الحجج التي يسوقها الدروز
على عروبتهم

وإلى جانب هذه الحجّة المأخوذة من الأنساب، والمتوارثة بالتواتر عند دروز لبنان وسوريا يسوق الدروز الحجج التالية للتدليل على عراقة أصولهم العربية:

١ ـــ أن أسماء الدروز، إلاّ القليل منها، عربية. وقد أورد سليمان أبو عز الدين[١] جدولاً بأسماء بعض « زعماء وأعيان أسلاف الدروز الذين رحلوا من معرّة النعمان إلى جبل لبنان منذ أحد عشر قرناً، كما وردت في مخطوطات » الدروز. وهي أسماء عربية لا أثر يذكر فيها للعناصر الأعجمية. ويورد ما يلي:

أبو الرجال ـــ أبو الفقه ـــ أبو الفوارس ـــ أبو المكارم ـــ إسحق ـــ ترشيش[٢] ـــ تنوخ ـــ تامر ـــ الحسن ـــ حصن ـــ خالد ـــ رضوان ـــ

---

[1] في مقال له بمجلة « **المقتطف** » بتاريخ يونيو سنة ١٩٣٠، عنوانه: « **أصل الدروز** »، ص ٧٨ ـــ ٨٠.

[2] لم نجد هذا الاسم العلم في المعاجم؛ ومن الألفاظ وجدنا: ترشاش بمعنى رش المكان. ويوجد بلد باسم ترشيش، منها ترشيش (بضم التاء) ناحية من أعمال نيسابور، وبفتح التاء اسم مدينة تونس التي بإفريقية (**ياقوت**، جـ ١، ص ٨٣٦، نشرة فستنفلد). فربما كان الاسم محرفاً وأصله ترشيشي، نسبة إلى ترشيش، أيهما كانت.

روق التغلبي ــ ريدان ــ زعازع ــ زهير ــ سعيد ــ سلطان ــ سلمان ــ سليمان ــ سمُّول[١] ــ الشاعر ــ شجاع ــ شرارة ــ شهاب ــ شيبان ــ صاعد ــ صالح ــ عامر ــ عبد القادر ــ عبدا لله ــ عبد المحسن ــ عبد المنعم ــ عزائم ــ عِطر ــ عقيل ــ عيسى ــ غسّان ــ غَلاّب ــ فوارس ــ كاسب ــ كباس ــ كرامه ــ معتب ــ معضاد ــ المنذر ــ نَبَا ــ النعمان ــ نمر ــ هاشم ــ هاني ــ هلال ــ همّام ــ يوسف ــ لخم ــ محمد ــ مسعد ــ مسعود.

٢ ــ ويورد سليمان أبو عز الدين حجّة أخرى وهي أن « الدروز من أصحّ الفروع العربية لفظاً لبعض الحروف الهجائية، أي الثاء والذال والظاء، والقاف ».

وهي حجّة صحيحة شاهدناها أثناء مقامنا في عبيه ومنطقة الشوف في جبل لبنان سنة ١٩٤٩، وهم ينطقون « القاف » خصوصاً « قافاً » فصيحة، ولا يحولونها إلى « همزة » كما يفعل المصريون والسوريون وسائر اللبنانيين، ولا إلى « جيم » كما يفعل المغاربة والأعراب عامة في مصر والشام.

وشكيب أرسلان يشير إلى هذا أيضاً فيقول توكيداً لعروبة الدروز إن « لفظهم بالعربي الفصيح... لا يساويهم فيه أحدٌ من جميع سكان سورية »[٢].

---

[1] هكذا ضبطه صاحب المقال. والصحيح: سمول كحزور (بشديد الواو) وهو تخفيف لاسم: السموأل. والسموأل في اللغة: الظل، وذباب الخل. وأما اسم السموأل بن عاديا اليهودي فهو سرياني وعبري معرب عن: شموئيل.

[2] شكيب أرسلان: « **النقد التاريخي وعروبة آل معروف** »، مقاله في مجلة « **المجمع العلمي العربي بدمشق** » ج ٦١ (سنة ١٩٣١) ص ٤٥٥. وقد رد فيه رداً محكماً مفحماً على الفروض العابثة الصبيانية التي اقترحها بعض العابثين من الأوربيين في أصل الدروز، والتي تابعهم على بعضها فيليب حتي في كتابه « **أصول الدروز** ».

جمال الدين عبد الله التنوخي
٨٢٠ هـ ــ ٨٨٤ هـ

لعل أكبر شخصية علمية بين الدروز منذ بهاء الدين المقتنى هي شخصية الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي، ولشروحه على بعض « **رسائل الحكمة التوحيدية** » أثرٌ بـالغ، وقبره في عبيه بجبل لبنان مقصد الزائرين من الدروز في كل عام.

ولد في عبيه في ١٢ ربيع الأول سنة ٨٢٠ هـ (سنة ١٤١٧م)، وتوفي فيها في جمادى الآخرة سنة ٨٨٤ هـ / سنة ١٤٧٩م.

وحفظ القرآن في سن مبكرة، وجوّده، ودَرَسَه « وكان يطوف القرى في طلب العلم والحديث، وهو صغير السنّ، وتورّع يافعاً[1] » « ولما ثبت جنانه وتم بنيانه فـاق الأقـران وطرح الدنيا واشتغل بعبادة الرحمن. فجوّد **كتاب الله** العزيز ودرسه وتلاه غيباً، ولازم الدرس فيه، حتى انطبعت فصوله وآياته وأعشاره وسُوَره وسطوره في قلبه، بحيث لا يغيب عنه لفظة واحدة » (**المرجع نفسه**، ص ١١٣).

وهذا النص بالغ الأهمية في معرفة عناية الدروز بالقرآن الكريم،

---

[1] ابن سباط، أورده عجاج نويهض في كتابه: « **التنوخي** » ص ١١٣، بيروت سنة ١٩٦٣.

وحرصهم على حفظه منذ الصغر بوصفه « كتاب الله ». ويؤيد هذا أيضاً أن جمال الدين عبد الله التنوخي في كبره كان يحرض الأولاد « على حفظ الكتاب العزيـز »، ويـأمر الأب أن يجعل لابنه « جعلاً على حفظه ترغيباً له » (**المرجع نفسه**، ص ١١٤).

كذلك يلاحظ في كتابات عبد الله التنوخي أنه كان دائم الاستشهاد بآيات القرآن[١].

وما دام يكتب للدروز فلا بد أنه كان يرى حجّية القرآن عند الدروز، وكان ذلك فـي القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) أي بعد قيام الدعوة الدرزية بأكثر من أربعـة قرون ونصف.

كذلك حين تقدم الخطّاب لخطبة عائشة بنت الأمير سيف الدين أبي بكر ابـن الأميـر شهاب الدين أحمد، ابن الأمير ناصر الـدين الحسيني لم تقبل أحداً منهم وذكرت قوله تعالى: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً، والعاقبة للمتقـين ». وكان لها رغبة في الكتاب المبين... فجهّز السيد الأمير النفيس (= جمـال الـدين عبـد الله التنوخي) لطلبها مع قلة الثروة والمال، فأجابت إلى ذلك وهي ترجو ما هو خير وأبقى »[٢].

وقد تزوج عبد الله التنوخي عائشة هذه، ورزق منها ثلاثة أولاد ذكور وبنتاً، وتوفـوا جميعاً في حياة أبيهم، وقد توفي آخرهم وهو عبد الخالق

---

[1] راجع نصوص كلامه التي جملها نويهض في الكتاب المشار إليـه صـفحات ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٧١، ١٧٢.

[2] **المرجع نفسه**، ص ٩٤ نقلاً عن « **سيرة العارف بالله الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي** » تأليف تلميذه أبي علي مرعي؛ بيروت سنة ١٩٦٣.

في ٨٧٦ هـ (كما عند أبي على مرعي) أو في سنة ٨٧٤ (كما عند ابن سباط).

وانتقل التنوخي إلى دمشق طمعاً في مزيد من العلم، وبقي هناك اثنتي عشرة سنة، وكان في غوطة دمشق قوم من بني معروف الدروز.

وبعدها عاد إلى عبيه، يمضي وقته بين التدريس والعبادة، حتى أقبل عليه التلاميذ من مختلف نواحي البلاد الدرزية.

وبعد وفاة ولده عبد الخالق وكبار أصحابه « كره الدنيا، واشتد شوقه إلى ربه. ثم أخذ في تدوين الشروحات، وتبيين السّنن والفروض والواجبات، في التوحيد وإقامة الحجة وإيضاح المحجة واليوم الآخر ومعرفة رب الأرباب وخالق الأرض والسموات »[1].

ويذكر ابن سباط عن حياته في عبيه أنه، أي التنوخي، « كان يسهر الليل في طاعة ربه، وينام ثلثه. وكان يجلس في أكثر لياليه لا يشتغل بأمور دنيوية ولا حكايات في غير الحكمة. ثم يعظ ويفيد مَنْ حضر إلى نحو ثلث الليل. ثم ينام ثلثه، فينام مَنْ في المجلس، ثم يقوم الثلث الأخير فيخلو في طاعة ربه » (**المرجع نفسه**، ص ١١٤).

وكان كثير العناية « بأخبار الأولياء والصالحين والعلماء والزهّاد، مثل سفيان الثوري، والفضل (= بن عياض) وابن عُيَيْنة، ومالك بن دينار، وعبد الله بن المبارك، وحاتم الأصم وأشباههم في الأحكام والمواعظ والزهد والورع » (**المرجع نفسه**، ص ١١٥).

[1] أبو علي مرعي في سيرة التنوخي، **المرجع نفسه**، ص ١٠٠.

وهؤلاء جميعاً من أعلام أهل السّنة، ولهذا دلالة بالغة على أن هذا العـالم الـدرزي الكبير كان يستمد علمه وورعه من أعلام أهل السّنّة ويقتدى بهم.

وكان متشدداً مع تلاميذه في أمور الدين. « فمن خالف أو بان منه زلة، يطرده مـن المجلس، فيشهر أمره أنه منفيّ، ويكون ذلك عاراً عليه. فصار لذلك أمرٌ عظيم فـي قلـوب الناس، وخوف شديد وهيبة بالغة من غير قيد ولا سجن، ولا خـوف قتـل ولا ضـرب ولا جراحة. ثم جعل رسماً على من يثبت عليه ذنبٌ من الذنوب العظيمة... ومن شرب شيئاً مـن المسكرات أو أخطأ في تصرفه بوجه آخر، أو ظلم أحداً، أو تعدى على أحد وما أشبه ذلـك، يمنعونه من دخول تلك المجالس التي رتّبها. فصار ذلك أشدّ هيبةً عند الناس مـن قصـاص الحكام بالضرب والقتل. وهابوا مخالفة أوامره أكثر من مهابتهم سطوات الملوك الدنيوية.

وكان الرجل إذا جرى منه ذنب كبير واشتهر عنه ذلك، يلزم بيته ولا يجسـر علـى الخروج بين الناس، حياءً وخجلاً، أو احتساباً للطرد والنفي » (**المرجع نفسـه**، ص ١١٤ ـ ١١٥).

وصارت له مكانة عالية بين أكابر الجهات ومشايخ البلاد. « وأمر بعمارة المساجد في القرى وتجديد الجوامع وأنشأ الأوقاف... ثم جلب الفقهاء إلى النواحي، وأقام الخطـب أيـام الجمعات في كل قرية... ثم شدد على القراءة الصحيحة في القرآن الكريم » (**المرجع نفسـه**، ص ١١٤).

وكل هذه الملامح تدل على تمسكه بالقرآن وبالصلاة الشرعية الإسلامية. ولا يذكر لنا أي مصدر أن أحداً من الدروز قد أنكر عليه شيئاً من هذا. وهذا يدل دلالة قاطعـة علـى أن الدروز ـ حتى ذلك الوقت، على الأقل، أعني في القرن التاسع الهجـري (الخـامس عشـر الميلادي) لم

يسقطوا الفرائض الدينية، ولم يطّرحوا القرآن، ولم يترخّصوا في ركن من أركـــان الإســـلام، وكانوا يؤدون الصلوات في أوقاتها، ويؤذن المؤذنون في أوقات الآذان[1].

فإذا علمنا من ناحية أخرى أن الدروز حتى اليوم يعدّون الأمير جمال الدين عبـــد الله التنوخي قطباً من أقطاب مذهب التوحيد أو المذهب الدرزي، إنْ لم يكن أكبرهم جميعـــاً، وأن قبره في عبيه لا يزال حتى اليوم مقصد الزيارة للتبرك به من جانب الآلاف من الدروز فـــي كل عام، وأن شروحه على بعض **رسائل الدروز** أو « **رسائل الحكمة** » الدرزية كما يطلـــق عليها تنال عناية وافرة لدي شيوخ العقل الدروز حتى الآن ــ ففي هذا دلالة قاطعة على حُسْن إسلام الدروز وانضوائهم مع زمرة المذاهب الإسلامية، رغم تفرّدهم بمعتقدات خاصة.

وكانت وفاة جمال الدين عبد الله التنوخي في يوم السبت ١٧ جمادى الآخرة سنة ٨٨٤ هـ (٧ أغسطس سنة ١٤٧٩م) في مدينة عبيه، حيث قبره حتى اليوم.

مؤلفـــاته

١ ــ « اللغة العرباء »

وهو معجم في اللغة العربية، منه نسخة خطية في المكتبة التيموريـــة بـــدار الكتـــب المصرية بالقاهرة. وقال عنه أحمد تيمور باشا: « هو معجم مرتـــب ترتيـــب « **الصـــحاح** » (للجوهري) و« **القاموس** »

---

[1] راجع حرصهم على ذلك فيما أورده ابن سباط عن حوادث سنة ٣٦٨ هـ (سنة ١٤٥٨ م)، وأورده عجـــاج نويهض، في كتاب « **التنوخي**... » ص ٢٠٠ ــ ٢٠١، ط ٢، بيروت سنة ١٩٦٣.

(أي المحيط). اشتريته من أحد الورّاقين من سورية... وليس في النسخة ما يدل على اسم المؤلف (مجلة « **الضحى** » التي تصدرها إدارة أوقاف الدروز في لبنان، سنة ١٩٥٣).

٢ ــ « سياسة الأخيار في شرح كمالات النبي المختار »

ويذكر الأشرفاني في كتابه « **عمدة العارفين** » أنهما كتابان، وليسا كتاباً واحداً، هما:

أ ــ « **سياسة الأخيار** ».
ب ــ « **كمالات النبي المختار** ».

وهما في ذكر شمائل النبي محمد (صلعم). وهذا ولهذا أهمية كبرى في بيان مكانة النبي محمد (صلعم) عند الدروز.

٣ ــ « شروحات الأمير السيد »

وهي مجموعة شروح على بعض الرسائل التوحيدية، أعني رسائل الدروز.

ولا نعلم على وجه الدقة ما عدد الرسائل التوحيدية التي شرحها، وإنْ كانت في حدود ١٤ رسالة (تزيد أو تنقص) من بين رسائل الدروز المائة وإحدى عشرة.

وقد طبع عجاج يوسف نويهض، ضمن كتابه الموسوم باسم: « **التنوخي الأمير عبد الله والشيخ محمد أبو هلال** »، الذي طبع طبعة أولى في القدس سنة ١٩٣٥ وطبعة ثانية مزيدة سنة ١٩٦٣ في بيروت بلبنان ــ نقول إنه طبع فصولاً من أحد هذه الشروح، لم يذكر اسمه

وقال عنه: « وهذا الشرح (كذا ويقصد الفصول) أخذناه من كتاب واحد غير متعمدين، لأننــا، ونحن في صدد الاقتباس من أي كتاب من كتب شرح التنوخي لعقيدة التوحيد، وقع لنــا أحــد الكتب، فوجدنا فيه المراد. وهذه الكتب لا تحمل اسم الشارح ولا الناسخ ولا تــاريخ النســخ. ومنها ما هو قديم جداً وقد تأكلته الأرضَة والرطوبة، ومنها ما هو متوسط في القــدم، وهــذا معناه بضعة قرون. وأما الجديد الذي نسخ في مدى قرن فكأنه بالنسبة إلى القديم ابن أمــس. ومَن صعب عليه من بني معروف أن يقتني كتاباً من كتب الرسائل المنفذة من القــاهرة إلــى الشام أو غير بلاد (يقصد « **رسائل الحكمة التوحيدية** ») ربما سهل عليه أن يعتاض عن ذلك بكتاب من كتب الشرح، السهلة العبارة، المروّضة للنفس والخلق والباحثة في النواحي العملية من الحياة[1] ».

والفصول التي طبعها عجاج نويهض هي في الموضوعات التالية:

١ ــ في تحريم الخمر وكل مسكر.

٢ ــ في طلب الاستفادة والمرشد الأمين.

٣ ــ في النهي عن الغضب ومحقه بالاعتصام بحبل الله.

٤ ــ في آداب جوارح البدن: اللسان، العين، الأذن، اليد، الرّجْل، البطن.

٥ ــ في اختلاف ألوان الأطعمة.

٦ ــ في الحركة والرياضة قبل الطعام.

٧ ــ في آداب الزواج.

[1] عجاج نويهض: « **التنوخي الأمير عبد الله...** » ص ١٣٨، بيروت، سنة ١٩٦٣.

٨ ــ في ادخار المال وإنفاقه.

٩ ــ في النهي عن الاحتكار.

١٠ ــ في الغنى نحو الله ونفسه والمحتاجين.

١١ ــ في معاملات البيع والشراء والقرض والوديعة.

١٢ ــ في واجبات الدائن والمدين.

١٣ ــ في الوصية.

١٤ ــ في تربية الولد.

١٥ ــ شذرات من أقوال الإمام التنوخي واختياره.

وهي كما ترى تدور كلها حول موضوعات في الأخلاق والآداب والمعـــاملات، ولا شأن لها بشيء من عقائد الدروز في الإلهيات والتوحيد والمعاد[١]. وإذا تصفحناها وجدناها في آرائها لا تخرج عما نجده في كتب الأخلاق والمواعظ والفقه السُنيّة الإسلامية، وليس فيها أي ظل من تأثير عقائد الدروز الإلهية.

وكانت لشروحات عبد الله التنوخي هذه مكانة كبيرة لدى علماء الدروز من بعده. يدل على ذلك ما قاله الشيخ أبو علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي في ترجمته للشيخ محمـــد أبي هلال ــ وهو من أقطاب علماء الدروز، يتلو عبد الله التنوخي في المرتبـــة مباشـــرة ــ وذلك في كتابه عنه بعنوان: « **آداب الشيخ الفاضل، الشيخ محمد أبي هلال، عليه رضـــوان الله، المتوفى ليلة الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٠٥٠ هـ** » ــ قال:

[1] وتقع في **الكتاب المذكور** من ص ١٤٩ إلى ١٨١.

« ومن آدابــه (أي آداب الشيخ الفاضل محمد أبي هلال) ــ رحمــه الله تعالى ــ مع « **شروحات** » السيد الأمير (= عبد الله التنوخي) قدس الله روحه، أنه كان واقفاً على جليلهــا وحقيرها، ملتزماً حدودها حاضّاً على العمل بها وانتهاج نهجها. وكنا نسمعه يقول: كل ما رآه الإخوان من أمورٍ تشابهت والتبست، ودواخل تغيرت، سببه عدمُ ملازمــتهم « **شــروحات** » السيد الأمير، قدس الله روحه. وكان يقول: شروحات السيد الأمير إمامنا، وهــي أولــى مــا يحاسبنا فيه يوم القيامة، لأنها واضحة موضحة، ما تركتنا في شبهة ولا أبقتنا في حيرة، وفيها كفايتنا وما نريد: علماً وعملاً[1] ».

تلاميــذه

وكان للأمير جمال الدين عبد الله التنوخي تلاميذ عديدون ترجم لسبعة عشر منهم أبو علي مرعي، وترجم لعشرين آخرين ابن سباط. وكلهم من بلاد قريبة أو مجاورة لقرية عبيه، حيث كان الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي يقيم، وهذه البلاد هي: عبيه، المختارة، بعقلين، الفَسيْقين، عين كسور، عيتات، الجديّدة، كَفْرا (الغرب)، طردَلا، عين داره، المعاصر، البنيــه، عاليه، بطمة، بوردين. ولا يرد في ترجماتهم ذكرٌ لمؤلفات كتبوها، بل الكلام كله يدور حول زهدهم وكرم أخلاقهم وحسن سيرتهم، وأحياناً شهامتهم وشجاعتهم.

---

[1] نشره عجاج نويهض ضمن كتابه: « **التنوخي الأمير جمال الدين والشيخ محمد أبو هلال المعروف بالشيخ الفاضل** »، ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ بيروت ط٢، سنة ١٩٦٣.

الشيخ محمد أبو هلال
المعروف بـ « الشيخ الفاضل »

وتدلنا سيرة الشيخ محمد أبي هلال، التي كتبها تلميذه الشيخ أبو علي عبد الملك بـن الحاج يوسف الحلبي، على ما يؤكد ما قلناه بالنسبة إلى الأمير جمال الدين عبد الله التنـوخي من تمسّك الدروز بالقرآن الكريم وبالصلوات الإسلامية وسائر أركان الإسلام، وذلك في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) إذ توفي الشيخ الفاضل محمد أبو هلال في ليلة الجمعة ٢٢ شعبان سنة ١٠٥٠ هـ (= ٨ ديسمبر سنة ١٦٤٠م).

إذ يقول تلميذه هذا في هذه السيرة التي بعنوان: « **آداب الشيخ الفاضل الشيخ محمـد أبي هلال** » وهو يذكر آدابه:

« ومن آدابه رحمه الله تعالى، وكَتَب لنا مجاورته في الآخرة كما جاورناه في الدنيا ــ مع كتاب الله تعالى العزيز: صيانته عن غير أهله، وإيصاله إلى أهله حسب التمييز والطاقة، بلا جنوح ولا هوى، وحفظه ودرسه وحسن تلاوته بموجب معناه. وكانـت قراءتـه لكتابـه العزيز قراءة دراية وتلاوة، لا كقرائتنا: تلاوة دون دراية، وذلك بحسب ما رسمه السيد الأمير (= عبد الله التنوخي) قدس الله روحه

في شرحه الشريف في قوله: لا يكون وصول ألفاظها إلى سمعه بأسرع من فهم معانيها.

وكان ــ رحمه الله تعالى! إذا سرّ بآية فيها تسبح وتقديس في حق الله تعالى، يكررها مراراً بمدّ حِسٍ وتعظيم بارز، عن عقيدة صادقة وشوق غزير. وكان يأمرنا بتمكين أسمائه المقدسة تعظيماً وتشريفاً له، جل وعلا، مثل: جلّ ذكره، وجلّت قدرته، وجلّ ثناؤه وجلّت عظمته، وسبحانه ــ وأمثال ذلك مما هو متعلق بأسمائه المقدسة، جميع ذلك تعظيماً له وتشريفاً. وكنا نراه ــ رحمه الله! ــ يستشعر خوف ربه بقلبه وسائر جوارحه، عند ذكر الله تعالى وذكر أسمائه وصفاته، لما هو معتادُه في خلواته وصلواته. وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر عفوٍ وغفران ونحو ذلك، كذلك يكررها بطلب حثيث وقلب كسير. وإذا مرّ بآية فيها أمرٌ بمعروف أو نهي عن منكر، كذلك يكررها ويقررها في نفسه الأبيّة الشريفة. وينصبّ بجملته إلى العمل بها، والأمر والنهي لغيره فيها. وإذا مرّ بآيةٍ فيها زهدٌ في الدنيا وترغيبٌ في الآخرة، كذلك يجعل يكررها وينشّط ويُرغّب في العمل بمقتضاها. وأمثال هذا مما لا يسع المكان شرحُه، وليس بالإمكان إحصاؤه. وكان يتحسّر ويقول ويمد حسّه: واغُبناه هذا العلم الشريف ندنسه بذنوبنا[1] ».

كذلك يذكر لنا تلميذه هذا في سيرته أنه كان يستفتح مجالسه الخاصة « بفاتحة الكتاب الشريف، بعد بسم الله الرحمن الرحيم » (**الكتاب المذكور**، ص ٢٦١).

---

[1] أبو علي بن عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي: « **آداب الشيخ الفاضل الشيخ محمد أبي هلال** »، المنشور ضمن كتاب عجاج نويهض: « **التنوخي** ».. » ص ٢٦٥، ط٢، بيروت سنة ١٩٦٣.

وأنه « قرأ على شيخ كبير المقام في الفقه والتجويد والنحو والحديث الشريف، وحصّل من ذلك مبلغاً كافياً... وحصل من تفسيره للإمام البيضاوي (أي من « **تفسير القرآن** » للبيضاوي) جانباً كبيراً، وصار رحمه الله يتلو من الكتابيْن (= القرآن وتفسير البيضاوي له) غيباً » (**الكتاب المذكور**، ص ٢٦٣). وهذا يدل على أن التكوين العلمي والديني لمن يطلب العلم من مشايخ الدروز كان يشمل حفظ القرآن وتجويد قراءته وتفسير القرآن ودراسة الحديث النبوي ــ وكان ذلك في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

وفي حياة الشيخ محمد أبي هلال خاصية أخرى سيكون لها أثرها فيما بعد عند عقال الدروز، وهي الانفراد والعزلة عن الناس والخلوة في الجبال، والتخلي عن الدنيا، والزهادة التامة فيها.

وقد وافقه على هذا المسلك رجلان، هما الشيخ جابر، والشيخ أبو صافي. وتلاهم جماعة من الإخوان « تحلوا بحلى الشيوخ في الورع والزهد، وحصلوا على بعض آلات هذه الطريقة، واتخذوا الخشن الخلق من اللباس، والجاف من الطعام، وتورعوا عن كثير من اللذات البدنية، طمعاً في اللحاق بما حصل عليه أولئك القوم المقدم ذكرهم. ثم انبرى اللاحقون إلى ميدان التقى يتبارون ويتنافسون[1] ».

ولعل هذا هو الأصل فيما انتشر لدى عقال الدروز فيما بعد من الزهادة والخلوة في الجبال واعتزال الناس، فيكون الشيخ محمد أبو هلال هذا هو الذي استنّ هذه السنّة بين الدروز.

وقد حذا حذو الصوفية الزهاد حتى في الملبس، فكان يلبس

---

[1] أبو علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي: « **آداب الشيخ الفاضل الشيخ محمد أبي هلال** »، في الطبعة المذكورة، ص ٢٥٩.

الملبوس الأزرق من الثياب دون غيره[1] (**الكتاب نفسه**، ص ٢٧٤) ولعل هذا هو الأصل في اتخاذ العقال حتى اليوم الأزرق الغامق من الثياب.

ويذكر تلميذه أبو علي عبد الملك بن الحاج يوسف الحلبي كيف يعيش في الكهف في الجبل، فيقول:

« ومرةً كنا عنده في الكهف في الجبل، في زمان الصبا، فكنا نترصده خفيةً في الليل أنا ورفيق لي كان صالحاً، رحمه الله، كي نعرف حرفته في العبادة: فكان ما يهجع في ليله إلا قليلاً، ويقضي سائره متهجداً بصوتٍ خفيٍ منكسرٍ مخزون، **تارة يتلو في كتاب الله العزيز** بنغمة خفية. وطوراً ما نسمع له من نغمة. ولا ندري أكان يبكي من خوف الله، أم كان يحاسب نفسه ويعاتبها، أم كان يفكّر في ما هو مطلوبٌ منه. هذه كانت حرفته في العبادة في ليله، كقوله تعالى في الصالحين — جعلنا الله منهم بحق سيّد المرسلين: « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون » (**سورة الذاريات**، آية ١٧ — ١٨)، هذا كان دأبه إلى السحر، رحمه الله. ثم ينهض قائماً يصلّي صلاة الصبح. ثم يورد ورداً مختصراً. ثم يأخذ له راحةً إلى طلوع الشمس. ثم يجلس لقراءة الفرض. فكنّا نتوجه إلى عنده، فيقرأ كلمةً كلمةً بخشوعٍ وطمأنينة، مع مذاكرة وإفادة، إلى أن يفرغ من الفرض إلى قرب نصف النهار. ثم نخرج من عنده »[2].

[1] يشير ابن الحاج يوسف الحلبي إلى أن الغزالي ذكر في الجزء الأول من ربع المهلكات من كتاب «**الإحياء**» إلى أن لبوس الزهاد هو الأزرق من الثياب.

[2] **الكتاب المذكور**، ص ٢٨٥. والفرض هنا هو قراءة صفحات من **رسائل الدروز**؛ إذ يرد بعد ذلك (ص ٢٨٦ س ١) الإشارة إلى قراءة « توبيخ سهل »، وسهل هو مصعب التميمي، الذي وبخه بهاء الدين المعني على انتكاسه، راجع ذلك في **رسائل الدروز** (الرسالة رقم ٨٠).

وكان رحيماً بمخلوقات الله، كأنه « الأم الحنون »، ويوصي بحسن معاملة الحيوانات ويقول:

« على صاحب الحيوان ثلاثة شروط وهي: لا يجوعه، ولا يعطشه، ولا يحمّله فوق طاقته، ويكسوه » (**الكتاب نفسه**، ص ٢٩٠).

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن الدروز، وخصوصاً العقال منهم، قد اقتدوا في باب الأخلاق: بكتابات الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي، وفي باب الزهد والتصوف والعزلة: بحياة الشيخ الفاضل محمد أبي هلال.

التكوين الديني للمجتمع الدرزي

ينقسم المجتمع الدرزي من الناحية الدينية إلى قسمين: العقال، والجهّال:

١ ــ العُقّال:

ولهم رئيسان دينيان يسميان بشيخي العُقّال.

والعقال هم المتمسكون بالقواعد السلوكية في المذهب، من الامتناع عن التدخين، وعن شرب الخمر، ثم التقشف في المأكل والملبس. وهم يميزون في الملبس عن الجهال، بكـونهم يتعممون بعمامة بيضاء أسطوانية، ويلبسون ملابس بسيطة هي القباء والعباءة، ولونها أزرق غامق.

وعلى « العقال » الصدق في القول، وتجنب الشهوات، ورفض الحرام من الطعـام، والامتناع من القتل والفسق والسرقة والزنا والرياء والغش والحقد والنميمة وسائر الرذائـل، والامتناع من الحلف بالله صدقاً أو كذباً.

ولا يجوز للعاقل أن يخلو بامرأة، ولا أن يرد تحيتها إلاّ إذا وجد بينهما شخص ثالث.

وشيوخ العقل هم الطبقة العليا من العقال، بوصفهم أحرصهم على الفضائل. وبعضهم يقيم في « الخلوات » وهي بيوت للعبادة تقام في أماكن منعزلة. وكثير منهم يقضون أوقاتهم في نسخ كتب الدروز المقدسة. وأشهر الخلوات خلوات البياضة، القريبة من حاصبيا في لبنان.

« وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنا أو السرقة أو غيرها من الآثام يطرد من مجلس العقال الذين يجلسون فيه للقيام بالفروض الدينية، ويبقى مطروداً إلى أن تتحقق ندامته وتوبته[1] ».

٢ ــ الجُهّال:

أما الجهال فهم سائر أبناء الطائفة الدرزية، ويُسمون أيضاً: « الشرّاحين »، لأنه لا يسوغ لهم غير تلاوة بعض شروح الرسائل الدرزية، دون الرسائل نفسها، كما لا يسوغ لهم مطالعة القرآن الكريم.

ويرخص للجهّال بالتدخين والاستمتاع باللذات الدنيوية والترف في المعيشة، ولا يفرض عليهم لباس خاص. ولا يحضرون من مجالس الحكمة إلاّ أوائلها حيث يقتصر على الوعظ والإرشاد العام. ولكن عليهم « التحلي بالعفاف، والطهارة، والفعل الجميل والكرم بالعلم والمال وخوف الله وطاعته، والرصانة وصيانة العرض وصدق اللسان وصونه من الإفك والإثم والزور والبهتان، مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وتقديم الصلوات والتضرعات والتوسلات لعزته تعالى[2] » والخلاف بينهم وبين العقال في هذه الأمور هو في الدرجة فحسب، إذ يتشدّد مع العقال أكثر مما يُتشدّد مع الجهال في تحصيل هذه الفضائل وممارستها.

---

[1] « **دائرة معارف** » البستاني، مادة: دروز، جـ ٧، ص ٦٧٦، بيروت ١٨٨٣.

[2] « **دائرة معارف** » البستاني، جـ ٧، ص ٦٧٦، بيروت سنة ١٨٨٣.

الأمور الفقهية في المذهب الدرزي

والدروز في أمور الفقه يأخذون بمذهب أبي حنيفة، ومَردّ ذلك إلى أن العثمانيين منذ أن فتحوا سوريا ولبنان في سنة ١٥١٦م فرضوا هذا المذهب في أمور الفقه.

وإنما ينفردون عن مذهب أبي حنيفة في الأمور التالية:

١ ـ الوصية:

يرى الدروز أن للدرزي أن يوصي بما يشاء من ماله ولأي فرد شاء، دون تقيد بمقدار معين (الثلث كما في أغلب المذاهب) أو بأشخاص معينين (مثلما في بعض المذاهب بأنه لا وصية لوارث، أو لا وصية لوارث إلاّ في الثلث، وما زاد فبرضا باقي الورثة). فللدرزي أن « يوصي قبل موته بأملاكه لمن يشاء، قريباً كان أو غريباً. ولذلك قد منحتهم الدولة العلية منذ القديم قاضي مذهب لدعاوي الوصايا[١] ».

---

[1] « **دائرة معارف** » البستاني، جـ ٧، ص ٦٧٦ عمود ١، بيروت، سنة ١٨٨٣.

٢ ــ في الزواج:

ليس من عادة الدرزي أن يتزوج بأكثر من امرأة واحدة في نفس الوقت، بل يقتصر الدرزي على زوجة واحدة.

وإذا طلق الدرزي زوجته فلا يجوز له أن يتزوجها مرة أخرى، سواءٌ بمحلل أو غير محلل. فهم لا يميزون بين الطلاق الرجعي والطلاق البائن بنوعيه: بينونة صغرى وبينونة كبرى[١]، بل الطلاق عندهم طلاق واحد، لا يجوز بعده أن يرجع الرجل إلى مطلقته. وعلى هذا نصت المادة رقم ١٠، ١١ من قانون الطائفة الدرزية في لبنان إذ يقرر في المادة ١٠ أنه لا يجوز للرجل أن يجمع بين زوجتين، وإن فعل فزواجه من الثانية باطل، ويقرر في المادة رقم ١١ أن الطلاق مرة واحدة، ويمتنع على الرجل أن يعيد مطلقته.

ويتولى النظر في أمور الزواج عند الدروز في لبنان المحاكم المذهبية الدرزية، وهي التي أثبتت بموجب القرار رقم ٢٥٨٢ بتاريخ ٢٥ مايو (أيار) سنة ١٩٢٩. وتتألف المحكمة البدائية للطائفة الدرزية من قاضٍ فرد هو قاضي المذهب، وتطبق القوانين والأنظمة التي تجري بمقتضاها أصول المحاكمة لدى المحاكم الشرعية السُنيّة. وتستأنف الأحكام الصادرة عن قاضي المذهب الدرزي أمام هيئة عليا مؤلفة من شيخي العقل ومن أعلى القضاة المدنيين رتبة في الطائفة الدرزية، وتجتمع الهيئة

[1] وهو الطلاق البات (أو البت) وهو الذي به يزول الملك والحل معاً: وبعده يحرم على الرجل أن يتزوج مطلقته حتى تنكح زوجاً غيره ويلامسها، فإنْ مات قبل ملامستها فلا تحل للأول. ــ أما الطلاق الرجعي فلا يرفع أحكام النكاح، ولا يزيل ملك الزوج قبل مضي العدة، بل لا تزال الزوجية قائمة، وإنما تعتكف الزوجة في بيتها، وعلى الزوج تعففها طوال مدة العدة؛ ويجوز له مسها ويصير بذلك مراجعاً؛ ولا يحتاج لمراجعتها إلى تجديد العقد الأول ولا يشترط من جديد ما دامت العدة.

بدعوة من شيخ العقل الأقدم انتخاباً. وإذا تعذر ذلك في مدة شهر من تاريخ استئناف الـدعوة المستأنفة فللشيخ الثاني أن يقوم بدعوة الهيئة » (المادة الوحيدة من قانون ٢٧ تشرين الثـاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧).

ودواعي الطلاق عند المذهب السُنّي تكاد تكون هي بعينها دواعي الطلاق عند المذاهب الدرزي في لبنان[١].

---

[1] راجع في هذا: أنور الخطيب: « **الزواج في الشرع الإسلامي والقوانين اللبنانية** »، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٦٠ ص ١٩. ــ أما في سوريا فقد نصت المادة ٣٣ من الموسوم التشريعي رقم ٩٨ بتاريخ ١٥ ــ ١١ ــ ١٩٦٥ على تأليف المحكمة المذهبية للطائفة الدرزية.

عقائد الدروز
وأصول مذهبهم

[Blank Page]

العالم الرّوحاني

في الرسالة الموسومة بـ « بدء الخلق » نجد تلخيصاً عاماً للمعاني الكبرى في أمر الله والخلق:

ففيها يرد « أن الباري ــ سبحانه ــ هو الإله العالُّ[1] الذي كلّ شيءٍ معلــولٌ بعلّتــه، و(هو) عِلّته. فهو المبدع الحق، والعقل السِّدْق[2]. والعالّ الذي وقفتْ العقول حُسْراً[3] عن إدراك لاهوتيته، والذي هو مُبْدعه. فهو الجوهر العظيم في أزليته، وهو محرّك الحركة بلا محــرك سواه، ولم تزل هي (أي الحركة) به، كما لم يزل هو بها. وهو المُسمّى عالم العقل السابق لكل فعل ومفعول ثم العقل الفعل (فوقها: يعني العقل من قِبَل باريه. وانطاع تحت هيبتــه)، ففعــل فعلاً هو دونه. فكان ذلك الفعل (ص ١٤٤ ب) عالم النفس الشريف المتحرك بالمحرك القــائم بالحركة، الثابت بالعظمة، أعني بالعظمة: عالم العقل، لأنه أبسط الأنوار وألطفها، وعالمُ النفس دونه، فبذلك تباينا، وبالجنسية تمازجا. ولم يزالا متمازجين،

---

[1] اسم فاعل من **عل** = كان علة في...

[2] بالسين بدل الصاد كما هي العادة في كتابات الدروز، أي: **الصدق**.

[3] جمع حسير: أي كليل.

أعني العالميْن، ومتحركين، أعني العنصرين القديمين الذين أحدهما دائرٌ على الآخر، وهمـا: أول محرك. ومتحرك بالإلهية، العالّ لجميع المعلولات. وذلك أن الأصلين (فوقها: عـق (= عقل) ونف (= نفس) لهما الكلمة (فوقها: مولاي الكلمة) البسيطة، والنور البسـيط (فوقهـا: مولاي أبو الخير) والكلمة اللطيفة (فوقها: مولاي بهاء الدين) فصارت أربعة جوانب ونقطـة في وسطها. فهذه أصول العالم الروحاني »[1].

ويتضمن هذا الموجز ما يلي:

أن الباري هو معلّ الموجودات، وهو الجوهر العظيم في أزليته، وهو المحرك لكـل حركة. وفي كثير من الرسائل (مثلاً في أول نسخة « سجل المجتبى »، مخطوط باريس رقم ١٤٢٣ عربي ورقة ٢٢٤١[2]) يرد وصفه بما يلي: « مُعِلّ عِلّة العلل »، فهو ليس إذن علّـة العلل، بل هو الذي يَعُلّ علة العلل. ولكن في رسالة « **مناجاة إلى الحق** » يرد: « مُعلّ العلل ومجريها » (مخطوط باريس رقم ١٤١٨ ص ٢٦٥). وهذا يدل على أن الوصـفين بمعنـى واحد. وعند الدروز إذن يوصف الباري بأنه « علّة العلل »، أو بأنّه « معل علّـة العلـل »، والمعنى واحد[3].

ورغم ما يرد أحياناً من الدعوة إلى تنزيه الباري عن كل وصف نجد مجموعة مـن الأوصاف الكثيرة تنسب إلى الباري، لعل أوفرها ما

---

[1] الأصح أن تكون: والتي (أيْ العقول) هي مبدعة أي ما أبدعه.

[2] **رسالة بدء الخلق**، مخطوط باريس رقم ١٤٣٢ عربي ورقة ١٤٤ أ، ب.

[3] وكذلك في « **رسالة الانصنا** »، المخطوط رقم ١٤٣٢ عربي في باريس ورقـة ٥٠ ب، **رسـالة تقسـيم العلوم**، المخطوطه نفسه، ورقة ٨٠ ب.

نجده في مطلع رسالة: « **المناجاة: مناجاة وليّ الحق** »:

« باسمك اللهم سبحانك! القديم، الأزلي عرشك، الشديد بطشك، نور الأنوار، في كل مثوى ومكان. خالق الأشياء وباريها. ومعلّ العلل ومجريها. قدوس، قدوس! يا من أقرّت له النفوس، وشهدت بأنه قبل الدهور الداهرة معبودٌ، وفي الأزمان الغابرة موجود. ربّ الأنوار العلوية، والعناصر الأزلية، والعزة الفردانية الصمدية، واحديّ الذات، سرمدي الثبات، **مُباينٌ للصّفات**، باري البرايا في القدم، فأوجد[1] ذاته لهم كما حكم. حكم بالحق فلم يدعُ إلى عدم. فهو الظاهر لتثبيت الحجة على الناس. وهو الباطن الذي لا يُدرك بالحواس. أقام قدرته في العالم الذي يراه »[2].

وكذلك في رسالة « **الدعاء المستجاب** » نجد الأوصاف التالية:

« سبحانك يا مبدع الأشياء لا من شيء كان، ولا من مادة، ولا بآلة، ولا بمعين، ولا بمثال صورة معلومة عنده، بل بوجوده وعلمه وإرادته أجراها وأنشأها، وأنشأ كل شيء منها بتقدير محكم وفعلٍ متقن ــ سبحانك يا مخترع العالمين بما فيها من غرائب الصنع، ولطيف التدبير، وخفيّ الكلمة والتقدير، بأمرك الذي هو الإبداع المحض، علة لجميع الأشياء الموسومة بالأيس[3]. ــ سبحانك يا مبدع العقل التام، ومعقل جميع الخلقة فيه بالعدة حتى لم يخرج عنه شيء منها، وخالق النفس المنبعثة منه لإظهار ما تضمنه ذاته من الصور

---

[1] لعله يقصد: أظهر ذاته على شكل ناسوت وفقاً لما أراده، وهذا الناسوت هو الحاكم بأمر الله.

[2] مخطوط باريس رقم ١٤١٨ ص ٦٥ أ، ب.

[3] الأيس = الوجود. وقد وردت في المخطوط بالشين المعجمة.

المبروزة فيه. ــ سبحانك يا من جعل النفس علة لإخراج جميع التراكيب من الدوائر (٧٠ ب) والأجرام والأمهات، وجعل الأمهات والأجرام والدوائر علة لإظهار المواليد التي هي الغرض والقصد، وجعل قرار المواليد على أشرفها وأعلاها الذي إليه انتهت صفوة العالمين، وهو البشر، وجعل منتهى غاية صفوة البشر وشرفه ولُبّ لطافته على الأساسيْن اللذين بهما قامت التدابير في هذا العالم الجسماني، ومن جهتهما ظهرت آثار العقل والنفس، وبهما نصبت الحدود وغيرها في هذا العالم وجميع ما فيه. سبحانك يا من تعاظمت منّته بهما على العالم إذ كانا سبباً لهدايتهم إلى معرفتك. سبحانك يا من جعل قرار هداية سكان العالمين من الروحانيين والجسمانيين على تأييد الأصلين الأعليين الأنورين اللذين بهما استفتحت الخيرات وظهرت البركات على جميع الخلائق من (٧١ أ) البسيط والكثيف وبهما ظهر تجريد توحيدك الحق وإثباتك المحض الذي لا يشوبه تعطيل، ولا يلحقه تشبيه ــ سبحانك يا من جعل بقاء الكل ودوامه **بالابداع المحض** الذي هو أمرك المقدس عن الخلقة ــ سبحانك يا من تعزّز بالكبرياء والجبروت. سبحانك يا منفرداً بالعظمة والملكوت. سبحانك يا من لم يزل (حين لم يكن) دهر ولا زمان، ولا مدة ولا مكان. سبحانك يا من تعاظم أن يكون كمثله شيء، أو يلحقه وَصف واصف من خلقه. سبحانك يا من تعالى عن المساواة والتشبيه. سبحانك يا من **لا تلحقه صِفةً، ولا له صِفَة**[1] ».

ولكننا نجد في رسائل أخرى وأدعية أن الباري المعبود هو « مولانا الحاكم » بأمر الله. فمثلاً في « **التقديس دعاء الصادقين، دعاء لنجاة الموحدين العارفين** » نجده يستهل هكذا:

---

[1] مخطوط باريس رقم ١٤١٨ عربي ورقة ٧٠ أ ــ ٧١ أ.

« توكلت على مولانا **الحاكم** المعبود وحده، المنجز لعبده: الإمام الهـادي ــ وعـده. توكلت على مولانا **حاكم العقل**، ومُعِلّ الأصل، المنزّه عن الممثول والمثل. والمتعـالي عـن الجنس والشكل، ومولى الكل. العقل إبداعه، والفكر إحداثه، والقديم سلطانه، والأسماء لحدوده، والصفات لعبيده »[١].

كذلك نجد نفس المعنى في رسالة « **ذكر معرفة الإمام وأسماء الحـدود العلويـة** »، حيث يرد: « توكلت على مولانا **الحاكم** المعبود، وإليه أشرنا بالوحدانية في سائر الـدهور ». ثم يتلو ذلك ببيان الأسماء الواقعة على « **قائم الزمان** »، وهي هكذا:

« الأسماء الواقعة على مولاي **قائم الزمان**:

الأول منها: **علة العلل**

والثاني: **السابق الحقيقي**

والثالث: **الأمر**

والرابع: **ذو معه**

والخامس: **الارادة، العقل الكلي**: روحاني، واسمه جسماني[٢]: حمزة بن علي بن أحمد، **هادي المستجيبين**، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا سبحانه وشدّة سلطانه.

ومن بعده: النفس الكلية، الحجة الصفية المرضية، اخنوخ الأوان وإدريـس الزمـان، وهرمس الهرامسة: الشيخ المجتبى: روحاني،

---

[1] المخطوطه نفسه، ص ٧٣ أ، ب.

[2] يقصد: جسمانياً.

واسمه: جسماني: أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الداعي.

ومن بعده: **الكلمة:** الشيخ الرضيّ، سفير القدرة، فخر الموحدين، وبشير المؤمنين، **وعماد المستجيبين**، وكلمتهم العليا: روحاني، واسمه: جسماني: أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي.

ومن بعده: **الجناح الأيمن**، الشيخ المصطفى، **نظام المستجيبين**، وعز الموحدين: روحاني، واسمه: جسماني: أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري الداعي.

ومن بعده: الجناح الأيسر، الشيخ المقتنى بهاء الدين، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين، الناصح لكافة الخلق أجمعين: روحاني. واسمه: جسماني: أبو الحسن علي بن أحمد الطائي السّموقي الداعي.

ذكر معرفة الأربع حرم: أسماؤهم: اسماعيل، محمد، سلامة، علي.

كُناهم: أبو إبراهيم، أبو عبد الله، أبو الخير، أبو الحسن.

منازلهم: النفس الكلية، سفير القدرة، الجناح الأيمن، الجناح الأيسر.

ألقابهم: المجتبى صفوة المستجيبين وكهف الموحدين، المرتضى فخر الموحدين وبشير المؤمنين، المصطفى نظام المستجيبين وعز الموحدين الشيخ المقتنى بهاء الدين ولسان المؤمنين وسند الموحدين. والحمد لمولانا إله العالمين[1] ».

---

[1] هذه الرسالة نقلناها بنصها الكامل عن المخطوط رقم ١٤١٨ عربي في باريس ورقة ٧٤ ب ـــ ٧٥ ب.

وفي هذا البيان استعراض كامل لمراتب أصحاب دعوة التوحيد، كما وصفها حمزة بن علي بن أحمد. وقد استبعد مها نوشتكين. وإذا كان من ألقاب قائم الزمان أنه علة العلل، فهـذا يفسر أن الباري يُطلق عليه أنه « معل علة العلل » أي أن الباري، وهو الحاكم، هـو علـة حمزة أو قائم الزمان الـذي هو علة العلل. وإذن فحيث يطلق على قائم الزمان أنـه « علـة العلل »، يطلق على الباري (أو الحاكم) أنه « مُعِلّ أو عالّ علة العلل ».

مناقب قائم الزمان

وهنا نجد رسالة غريبة الصياغة، إذ صيغت على غرار « **خطبة البيان** »[1] المشهورة المنسوبة إلى علي بن أبي طالب. وهذا مطلع هذه الرسالة، وعنوانهـا: « **رسـالة التحـذير والتنبيه** »، بعد التحميدات:

« الحمد لمن أبدعني من نوره، وأيدني بروح قدسه، وخصني بعلمه، وفـوّض إلـيّ أمره، وأطلعني على مكنون سرّه:

فأنا أصل مبدعاته، وصاحب سرّه وأماناته، المخصوص بعلمه وبركاته، أنا صـراطه المستقيم، وبأمر حكيم عليم،

أنا الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور،

أنا صاحب البعث والنشور،

أنا النافخ بإذن المولى سبحانه في الصّور،

[1] راجع نشرتنا لها في ذيل كتابنا: « **الإنسان الكامل في الإسلام** »، القاهرة سنة ١٩٥٠.

أنا إمام المتقين، والعلم المبين، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين،

أنا صاحب الراجفة، وعلى يدي تكون إليكم المترادفة،

أنا ناسخ الشرائع، ومُهلك أهل الشرك والبدائع،

أنا **مهدّم القِبلتين، ومبيد الشريعتين، ومُدْحِض الشهادتين.**

أنا **مسيح الأمم**، ومنّي إفاضة النعم، وعلى يدي يحلّ بأهل الشرك النّقم.

أنا النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.

أنا محد[1] الحدود، والدّال على توحيد المعبود، ومُغني أهل الشرك الجحود.

أنا مجرّد سيف التوحيد، ومُهلك كل جبّار عنيد.

أنا قائم الزمان، وصاحب البرهان، والهادي إلى طاعة الرحمن.

فالويل، كل الويل، لمن حاد عن طاعتي وصرف، وبتوحيد المولى سبحانه وبإمامتي لم يعترف. فقد أوحى إليّ سبحانه! أنه لا بد حتماً من إنجاز الوعد المحتوم، وقتل كل كافرٍ ظلوم، و(أنا) أفني أهل الشرك والعناد، والمنافقين (٧٧ ب) والأضداد، وأملك بسيفي جميع البلاد، وأحكم على جميع العباد: ففريق يسعد، وفريق يحل به العذاب السرمد. فمن آمن قبل ظهور الوعد ووحّد المعبود، وأقرّ بإمامتي وعرف مراتب الحدود ــ نال المفاز مع الأبرار، وحلّ في دار النعيم والقرار، ومن لم يعرف الحدود ولا يوحد المعبود ــ فليُلزم الإنكار والجحود ويؤدي الجزية، ويحلّ به العذاب، وتنقطع به

[1] في المخطوط بالميمين: ممد.

الأسباب. فلا بد حتماً من فناء المنافقين وقتل الفاسقين، وذل الكافرين و(أن) يؤدوا الجزية وهم صاغرون، ويلزموا لبس الغيار وهم كارهون، وينزل بهم المحق والتغيير، ويحل بهم خـــزي الملك القدير »[1].

وهذه النعوت الغريبة تدل على أن حمزة بن علي قد تصور نفسه أنه بالنســبة إلــى الحاكم « المعبود » هو المسيح بالنسبة إلى الأب، وأن ذلك كان بناءً على وحيٍ مــن الحــاكم نفسه. وأنه مُبْدَع من نور الحاكم، مؤيد بروح قدسه، مخصوص بعلمه، مفوّض إليه أمره، قد أطلعه الحاكم على مكنون سرّه، فحق له بذلك أن ينال هذه المنزلة بل لا يكتفي بمنزلة المسيح، بل يضم إليها منزلة إسرافيل، إذ هو الذي سينفخ في الصور، وميكائيــل، إذ هــو صــاحب الراجفة، ومهلك كل جبار عنيد، ومجرّد سيف التوحيد على رؤوس الجاحدين والمنكرين. وهو ينسب إلى نفسه المعاني المستورة في القرآن: فهو الطور، والكتاب المسطور، وهــو البيــت المعمور.

ثم يقرر أنه هادم القبلتين: قبلة بيت المقدس، وقبلة الكعبة في مكة، ومبيد الشريعتين: الشريعة الظاهرة (أهل السّنّة)، والشريعة الباطنة (الإسماعيلية والباطنية بعامة) وهو **مــدحض الشهادتين** ــ وهذا أشدّ هذه الأقوال إيغالاً في الغلوّ ــ أي أنه مبدّل شريعة الإسلام وواضــع مكانها شريعة جديدة، هي « دعوة التوحيد » هذه كما يسميها.

غير أننا نجد في « **الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم** » أن المؤلف يقول بعد ذكر أقوال المسيح:

---

[1] المخطوط رقم ١٤١٨ عربي بالمكتبة الأهلية في باريس؛ وتوجد من الرسالة نسخ أخرى في المخطوط رقم ١٤١٥ عربي بباريس ورقة ٨٩ ب ــ ٩٣ ب؛ ورقم ١٤١٦، ورقم ١٤١٧، ورقم ١٤١٩ (ورقة ٧٦ ــ ٧٩ ب)؛ ورقم ١٤٢٣ ورقة ٦٧ أ ــ ٧٠ أ. وليس بين هذه النسخ كلها فروق تستحق الذكر.

« وقد كسرتُ أنا شريعتهم الناموسية بالعلوم الحقيقية »[١]. لكن ضمير الغائب الجمع في قوله « شريعتهم » لا يظهر بوضوح إلى أي شيء يشير: إلى شريعة أهل السنّة، أو هنا إلى شريعة عيسى بن يوسف[٢] (= المسيح) غير أننا نجد في السؤال ٧١ من أسئلة الموحدين أن المقصود بالتأويل هو الديانة المسيحية.

وفي « **الرسالة الموسومة بمعراج نجاة الموحدين وسُلّم حياة المؤمنين** » يقول عن نفسه: « وأنا بمنّة القائم لنسخ الأديان » (مخطوط باريس رقم ١٤٣٢ ورقة ١٦أ). فكأن قائم الزمان من مهامه نسخ الأديان.

---

[1] المخطوط رقم ١٤٢٣ باريس ورقة ١٥ أ.

[2] يُلاحظ دائماً أن المسيح عيسى بن مريم يذكر في **رسائل الدروز** أنه: عيسى بن يوسف، أي يوسف النجار. ومعنى هذا أنهم ينكرون أن ولادته كانت بغير أن يمس مريم بشر.

الإله لا يتكرر في الأقمصة المختلفة

والإله لا يتكرر في الأقمصة المختلفة، أي لا يتكرر تجسده. وثم رسالة عنوانها: « **ذكر الرد على أهل التأويل الذي يوجبون تكرار الإله في الأقمصة المختلفة** » (مخطوط باريس رقم ١٤٣٢ عربي ورقة ٧٢ ب ــ ٧٦ أ) لإثبات هذه العقيدة. وهذا نصها:

« يُقال لهم: هل الإله عادل، أم جائر ظالم؟

فمن قولهم إنه عادل، يقال لهم: كيف يوجب توحيده على جميع بريّته، ومعرفته، ويختلف عليهم في الأقمصة البشرية والأشخاص الجسمانية؟ وهذا هو الجور بعينه: أن ينصب الدعاة إليه، ويجعلهم أدلاء عليه، ويفرض على الخلق طاعتهم، فيجيبهم من يجيبهم إلى عبادته وتوحيده، ويعرفونه في الشخص الذي دُعوا إلى معرفته وتجريده، ويكون كاملاً كبيراً في نظر العيان، وفي قريبٍ يرجع لهم في حد (٧٣ أ) الطفولية، ويرد العالم في معرفته إلى حد التربية، ويكفرون من لا يجيب إلى معرفته في الشخص الثاني، ويوجبون أن الباري ثالث ورابع وخامس، وهذا أمرٌ لا نفاد له وأمدٌ لا آخر له! كيف يتكرر الباري ــ سبحانه ــ في الأقمصة المختلفة، وأنتم تدفعون مذهب التناسخ من الأديان، وتوجدون على قولكم الباري

سبحانه دليلاً يكون ذلك؟!

ثم إنكم توجبون في حين النقلة على أرواحكم تجريد الأنفس من الكتائف، وتنقل الأرواح واللطائف، وتزعمون أن الأجر والحسنات تُلحِق أرواحكم بأصلها، والسيئات تمنعها من الوصول إلى معدنها، وتوجبون أن لا ثواب لها إلاّ بالعلم، ولا عقاب لها إلاّ بالجهل؟

يا سَهَوة[1]! كيف ينال العلم من عدم آلته الجرمية؟ ويا غفلة! كيف يتصل الجهل بمن فارق قوّته الحسية؟ ويا بَلَسة[2]! كيف تثبت اللطائف بذاتها، وكيف تستقر عند أصلها وتنال عيشها ولذّاتها؟

فإن أوجبتم أنها تنظر ما تشاهده في (٧٣ ب) المنام وتخبر عنه من الأحلام، فما رأيتها تنظر الأشياء إلاّ بآلة جرمية وقوالب طبيعية مع ما أن الحيوان ينظر في منامه ما يراه الإنسان.

فيا لها من عقول خاوية، وحجج واهية!

وأنتم أيضاً توجبون أن الدار لا تخلو من العالم، وأنهم فيها سرمداً أبداً، كلما ذهب عالمٌ نشأ عوضه آخرون. وأنتم تدفعون مذهب التناسخ و(مذهب) الدهرية الذين يوجبون أن العالم في هذه الدنيا مثل النبات: كلما مضى عالمٌ منه، نشأ غيره آخرون. أليس هذا مما يدفع المعاد ويضلُ العباد، ويجري سماعه إلى الفساد؟

عرّفوني، يا شيوخ التجريد، هذه[3] القوى التي تفارق الأجسام

---

[1] جمع: ساهي.
[2] جمع بلس (بفتح ثم بكسر): متحير.
[3] في المخطوط: هذا القوي الذي.

أين مستقرّها، وأين يكون ثباتها؟ فإن قلتم: فيما بين الأرض والسماء فهي لكثرة النشوء تَسُدّ ما بين العالمين وتخالط الهوى، وتأتي عليها الطبائع، ويدخل عليها من التضاد والفساد ما يدخل على غيرها. وإن أوجبتم أن ثباتها فوق السماء فهي تملأ الأفق ــ خبروني كيف تكون وقت تصاعدها إلى فوق السماء قبل أن تكون: هل تكون جوهراً أو هواءً؟ وما الذي يمسكها ويضبطها؟ فإن (٧٤ أ) قلتم: ما تحتاج إلى ماسك وضابط، بل هي واقفة عند أصلها، ناظرة لمعبودها، متلذذة بعالمها ــ قيل لكم: فما الذي أحوج الفرعَ أن يفارق أصله، وقد علم أن لا لذة تصل إليه، ولا مضرّة تدخل عليه إلاّ من جهة أصله؟ فلم فارق أصله وشارك الطبيعة وضعتها، إذا كان لا ثواب له ولا زيادة تدخل عليه إلاّ من جهة عالمه؟ فدلّونا ما الذي أحوجه إلى فراق عالمه، ورجع يطلب الرجوع إليه والاتحاد به؟

فإن أوجبتم أن الأرواح من عالم الطبيعة تتجوهر بالعلوم، وتتشرّف بالقبول، مثل الحديد الصقيل وأشباهه ــ قيل لكم: فالجوهر من الحديد الصقيل وأشباهه لا يفارق أصله، ولا يقوم بذاته بلا كثافة[1] تضبط جوهريته ولطافته، وما رأينا جوهراً يقوم بذاته فقط.

لقد بعد عليكم التشبيه، وتمكن في أنفسكم الباطل والتمويه. فيا مَثَلة[2] البهائم، ويا سلبة العزائم! كيف تكرّرون المعبود سبحانه في القمصان (٧٤ ب) على ممرّ السنين والأزمان؟!

وكيف توجبون إيجاده في القوالب والآلات، وأنها ــ أعني أرواحكم مستغنية عن القوالب الجرميات، (بينما) أوجبتم (حاجة) الباري سبحانه

[1] بالتاء ذات النقطتيْن في المخطوط.
[2] مثلة = أمثال. سلبة = مسلوبون.

إلى الصورة، يا خرصة[1]! وثبتم بقاء الأنفس وغناها عن الأقمصة أليس في قولكم إن البـــاري سبحانه لا تخلو الدارُ من وجوده طرفة عين، ولو خلت الأرض منه لزالت الحجّة عن الخلـــق في تيك اللحظة، وقد أضفتم الباري سبحانه على ما تقولون، إلى الآلات، وأغنيتم الأنفس عنها، وثبّتموها بعد الوجود في صور معدودات؟! أليس في قولكم إن النفس تكسب العلم في تجردها[2] من عالمها؟ فأبينوا لنا يا ظلمة وأنّى لكم بالبيّنة ــ كيف تكسب العلم بغير آلة؟ فإن قلتم: مـــا تحتاج إلى آله ــ قيل لكم: فلمَ فارقت أصلها وشاركت الطبيعة وضعتها؟

فإن قلتم: لتكسب المعلومات ــ بطلَ ودعواكم أنها انبجست عن عـــالم الخلـــق، لأن أصلها لو كان عالماً، لما ظهرت عنه جاهلةً، هذا على قولكم.

وإنْ قلتم: إنها ما تنصرف من هذه الدار إلاّ وهي غنية ما تحتاج إلى زيـــادة ــ فقـــد ساويتم بينها وبين أصلها. وإذا تساوى الجزء وأصله فقد حاط بجميع علمه وقد ساواه في العلم أيضاً.

فأي لذة تكون عنده، وقد أوجبتم أن لذتها نَظَرُها إلى عالمها ومعرفتها بأصـــلها، لأن اللذة تواصلُ الخيرات إليها وإفاضة البركات عليها. وإن كانت غنية عنه، غير محتاجة إليـــه، فلا لذة لها عند أصلها. فدلّونا يا أهل النّصَفَة بأيّ الـــوجهين تعملـــون، وعلـــى أيّ القـــولين تُعَولون؟!

وأنتم أيضاً توجبون أن أرواح العصاة الجُهّال إذا فارقت أجسامها

[1] خرصة = قائلون بالظن، مغترون.
[2] في المخطوط: مجردها.

تتصاعد تتطلب مبدعها فيمنعها الفلك فترجع تطلب آلتها فـلا تجـدها، فتبقـى بـين الأرض والسماء يأخذها حرُّ الشمس وبرد الليل، وبهذا يكون عقابها. لقد ادعتيم البهتان، وسلكتم طريق العدوان.

فإذا كانت النفس من غير عالم الطبيعة، فأيُّ مضرّة تدخل منها عليهـا؟ وأيّ مسـرّة تصل منها إليها؟ وإذا أوجبتم أن النفس تتأذّى بحرّ الشمس وَبرْد الليل، فالأصل يتأذى أكثـر لقربه من قوة الحرارة والبرودة، لأنكم توجبون على أن الأصل الذي انبجست عنـه الأنفـس فوق الفلك. وإن (٧٥ ب) أوجبتم أن الأصل لا ينضرّ بحرارة ولا ببرودة، فقد أوجبتم للفـرع مثل ما للأصل، بزوال مضرّة الحرارة والبرودة عنه، وبطل قولكم ودعواكم أن عذاب الأنفس العصاة الجهال: بالحرارة والبرودة ــ فدلّونا بما تثاب الأنفـس الطائعـة، وتعاقـب الأنفـس العاصية، إن كنتم تعلمون؟

فإن بَعُدَ عليكم الجواب، وغاب عنكم الصواب، فادّعوا بالجهل ولا تدّعوا بالعلم. فكلّ مدّعٍ بلا بيّنة إنما يهلك نفسه ويتعب حسّه، ما يحصل على طائل، ولا ينال من تعبه نـائلاً، إذ الحق لا يكون في جهات مفترقة متضادة، بل هو في جهة واحدة. لسانه فصيح، وعلمه منيح[1]، يهدي الطالب، ويكشف المدّعي الكاذب. فالحق ثابتةٌ حجّته، نافعةٌ بيّنته وفائدته. والباطل واهية حُجّته، مُهلكة محجّته، مكذوبة كلمته. والحق ما أشرق برهانه، واتضح بيانـه. فـاتبعوا ولا تبتعدوا. وتجنبوا خطوات الشيطان، ولا تسلكوا مسلك الفراعنة الجبّارين. فمـن أخـذ دينـه بالمقابسة، واتّبع الأضداد والأبالسة، طرحوه في المهالك، وضيقوا عليه المقالات عنـد سـعة (٧٦ أ) المسالك. ودّهم

[1] بمعنى كثير المنح؛ معطاء.

أبداً معدوم، ويتبعه كلّ أثيم ملوم. فإن أردتم النجاة ومعدن الحياة، فعليكم بـــالطريق الواضـــح والدليل الناصح، من لا يسألكم مجازاة، ولا في هدايتكم لكم مكافأة، بل يؤدي إلـــيكم الأمانـــة، ويُبَلّغكم الرسالة. خَلَقه باريه باباً للراغبين، وهادياً للمستجيبين إلى توحيد مـــولى العـــالمين، متيقّظاً للغافلين، وإماماً للعارفين. فمن عرفه نال الخيرات. واتصلت به الفوائد العقليات، وزال عن قلبه العلوم الوهميات. المفسدة للصور الروحانيات، والملحقة له بعالم الحيوانات.

لمولانا الحاكم نسأل، وعلى رحمته نُعَوّل أن يُجنّبنَا من أفعال الخاطئين والمشـــركين، بقدرته، وهو الموسع للأمم حلماً وعلماً، وهو حَسْبي. وثقتي بالقائم، وكفى »[١].

في هذه الرسالة إذن تفنيد لمن ذهبوا إلى القول بأن الإله يتخذ عدة تجسيدات. والحجة التي يسوقها مؤلفها هي أنه إذا كان التناسخ غير جائز بالنسبة إلى النفس الإنسانية، فبالأحرى هو غير جائز بالنسبة إلى الإلَه. ذلك أنه إذا كان القول بالتناسخ للنفوس الإنسانية مبنياً علـــى العقاب والثواب، فهذا أمرٌ لا يجوز بالنسبة إلى الإله، إذ لا عقاب عليه يتصور ولا ثواب يناله من أحد.

الحاكم بأمر الله ناسوت الله

وإنما تجلّى الإله مرة واحدة في صورة الحاكم بأمر الله. والسبب في هذا التجلّي هـــو أن يعرّفنا بلاهوته « ومن حيث (٤٨ ب) نحن

[1] المخطوط رقم ١٤٣٢ عربي باريس ورقة ٧٢ ب ــ ٧٦ أ.

ومن صورنا خاطبنا، وإلاّ فمـا عرفناه ولا أدركناه، فأظهر لنا صـورته المرئيـة ومقامـه البشرية (!)، وسلطان لاهوته لا يُدْرك بالعين، ولا يعرف بالكيف والأين. عالم بسرّكم من قبل أن يختلج في قلوبكم »[1].

لكنه بعد هذا الظهور لا ينتقل في الأقمصة لأنه « لو كان المعبود سبحانه ــ ينتقل بعد هذا الظهور في[2] الأقمصة لكان هذا أمراً لا نفاد له، وأمداً لا آخر له، وكانت تنفسـد الديانـة الآن »[3].

ولهذا يحذر الكاتب إخوانه في ديانة التوحيد من أن يلحقهم شك في معبودهم « باستتار الصورة الإلهية عن نظركم الشّحماني لقيام الأمر الجديد وإنجاز الوعد والوعيد » (**الموضـع نفسه**).

إن الحاكم بأمر الله رفع الشرائع وتأويلها، وبعد ذلك أظهر التوحيد والميثاق. ثم أظهر الصورة المسماة بعلي، وأخذ العهد المألوف لتيك الصورة إشارةً متنه سبحانه لتثبيت الحجـة على المشركين بعد التيقظ واليقين وبقي الميثاق الناطق بتوحيد مولانا سبحانه خاصـة لتيـك الصورة المسماة بالحاكم » (**الرسالة نفسها**، ورقة ٢٧ ب).

ميثاق ولي الزمان

ونبدأ فنقدم نصه بحسب مخطوط باريس رقم ١٤٠٨ ورقة ١٩ ب. وها هو ذا نصه:

« توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزّه عن

---

[1] « **رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد** » المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بباريس ورقة ٤٧ أ ــ ب.
[2] **الأقمصة** = التجسدات الناسوتية.
[3] من « **رسالة بني أبي حمار** »، مخطوط باريس رقم ١٤٢٧ عربي ص ٢٧.

الأزواج والعدد:

أقرّ فلانُ بن فلانٍ، إقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه، في صحةٍ من عقله وبدنه، وجواز أمرٍ، طائعاً غير مكره ولا مجبر: أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم، جلّ ذكره. والطاعة هي العبادة، وأنه (٢٠ أ) لا يشرك في عبادته أحداً، مضى أو حضر أو يُنتظر. وأنه قد سلّم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جلّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه، وله وعليه، غير معترضٍ ولا منكرٍ لشيء من أفعاله، ساءه ذلك أم سرّه.

ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم ـ جلّ ذكره ـ الذي كتبه على نفسه، وأشهد به على روحه، أو أشار به إلى غيره، أو خالف شيئاً من أوامره ـ كان بريئاً من الباري المعبود، وانحرم[١] الإفادة من جميع الحدود، واستحق العقوبة من الباري العليّ، جلّ ذكره.

ومن أقرّ أن ليس له في السماء إله معبود ولا في الأرض إمام موجود، إلاّ مولانا الحاكم ـ جلّ ذكره ـ كان من الموحدين الفائزين.

وكتب في شهر كذا وكذا، من سنة كذا وكذا، من سنين عبد مولانا جلّ ذكره، ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرتدين (٢٠ ب) بسيف مولانا جلّ ذكره، وشدة سلطانه وحده. تم ».

وثم شرح مطوّل على هذا الميثاق في المخطوط رقم ١٤٣٦ عربي

---

[1] مخطوط ١٤٠٨: واحترم.

بالمكتبة الأهلية بباريس. وسنورد ها هنا بعض فصوله لبيان كيف ذهب أصحاب حمزة إلـــى تفسيره:

١ ــ « **ميثاق:** يعني حجة ورباط على الخلق. فمنهم من سمعه بأذنه، وأقرّ به بلسانه، وكتبه على نفسه، وهم الموحدون، والمرتدون أصحاب الخمس دنانير الجالية في يوم الجزاء.

ومنهم من سمعه بأذنه وأقرّ به بلسانه، وهم أهل التأويل.

ومنهم من سمعه وهم بقية الخلائق، لأن الحاكم ــ سبحانه ــ لما تجرّد بالوحدانية في سنة ثمان وأربعمائة من هجرة النبي محمد بن عبد الله رد ــ سبحانه وتعالى ــ الأمانة إلـــى صاحبها الإمام الأعظم، قائم الحق، حمزة بن علي بن أحمد، فدعا الخلائق بأسرها إلى توحيد الحاكم المعبود الإله الموجود. وكان في ردّ الإمامة إليه ــ صلوات الله عليه ــ (١ ب) برهانٌ جليّ أنه الإمام المنتظر عند جميع الخلائق، لأن جميع الأوصاف المنعوت بها المنتظر الحقيقي تجمعت فيه بكمالها وتمامها: من حيث الزمان والفعال: أما الزمان فقوله: إذا كانت الدنيا قــد اجتمعت والعوالم المختلفة الآراء المشتتون في المذاهب على أن الباري بزعمهم في الآخـــرة بعد القيامة يتجلّى للعالم، وذلك أن مولانا ــ سبحانه ــ أظهر لكـــم إمـــام توحيـــده، فنـــاداكم وأرشدكم ودلكم وهداكم إلى توحيد باريكم ــ فانكشف للعيان أن عند تمام أدوار الشرائع ظهر الإمام السادق (= الصادق). ومن دلائل الفعال أنه دعا إلى توحيد ربه الحاكم الموجود، بـــلا تعطيل ولا تشبيه. وحلّل الطيبات، وحرّم الخبائث، ونسخ الأديان جميعها » (١ أ ــ ب).

٢ ــ « **وليّ الزمان:** يعني صاحب زمان الكشف، لأن الزمان هنا مقصور على زمان الكشف الحاضر. وكونه صاحب الكشف الحاضر

(٨ ب) دلالة على أنه صاحب الكشفات جميعها، لأنه لما خصّه الرب تعالى بالسبق بهذه المرتبة العليا من تجريد ألوهيته وكشف ربوبيته، استولى على الزمان، لأن أموره كلها مرجوعها إليه، وأحوال دعاته ومستجيبه معلّقة به، ونسخ الشرائع والأديان منوط به، لأنه المنتظر الحقيقي. » (٨ أ ــ ب).

٣ ــ « **التوكل:** أن العبد يلازم الأمر (١٠ أ) بكلية جهده، ويقدّم الاستعانة بالله تعالى في الثبات عليه والتوفيق له ».

٤ ــ « على مولانا الحاكم: هذا اسم سَمّى به الربّ تعالى ناسوته في آخر ظهورٍ ظهر، قصداً لإثبات الوحدانية، وتعريفاً للخلق بالقدرة الفردانية. وذلك لعلم سبق في ذاته تعالى أنه في هذا المقام، يعني الحاكم، يتجرد بالألوهية، كما قال. وأراد **بالحاكم:** أي يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمة والحجج، ويستعبدهم تحت حكمه وسلطانه، وهم عبيد دولته، ومماليك دعوته » (ورقة ١١ أ).

٥ ــ « **الأحد:** يعني أنه واحدٌ أحد، لا كالآحاد، وواحد لا من عدد، لأنه لا بد (١٣ أ) ضرورةً الواحد يتبعه الاثنان، إلاّ هو سبحانه: واحد لا يتلوه سواه، منفصل أن يتلوه ثانٍ كانفصاله أن يكون قبله واحد ».

٦ ــ « **الفرد:** قال **الفرد الصمد**، لا كالأفراد، وهو من حيث المعنى كالأحد الذي تقدم ذكره. ».

٧ ــ « **الصمد:** بمعنى السيد، لأنه يصمد إليه في الحوائج، أي يُقْصَد لأنه غاية القصد والغرض وهو الباقي الموجود على الأبد. فمن قصده وَجَده حيث قصده » (١٤ ب).

٨ ــ « **المنزه عن الأزواج:** يعني منزه أن يكون له زوجة، وهو في ظاهر الأمر تظاهر بالزوجة والولد بالمجاز في دوره الستر » (١٥ ب).

٩ ــ « **والعدد:** يعني لا يعد في جملة الأعداد، لأنه قبل الأعداد، وخالق الأعداد. وهو سبحانه منزّه عنها، فلا يجوز دخوله فيها » (١٦ أ).

١٠ ــ « **أقرّ فلان بن فلان:** هذا كلام محدود لكل من كتب عليه الميثاق. فكان كل من كتب عليه الميثاق يكتب اسمه الجسماني ونسبته الجسمانية وحليته السبحانية، وبلده » (١٧ أ).

١١ ــ « **اقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه:** قوله: اقراراً: مصدر أقر، يعني أنه أقرّ اقراراً، والإقرار هنا نطق اللسان، والنفس والروح هنا شيء واحد. وقوله: أوجبه على نفسه ــ يعني أن ذلك الإقرار من تلقاء نفسه اختياراً بلا إكراه ولا جبر، لتقوم به الحجة عليه، ويصح له الثواب إن دام عليه، ويثبت عليه العقاب إن تولى » (١٧ ب ــ ١٨ أ).

١٢ ــ « **في صحة من عقله:** يعني لا يشوب عقله جنون ولا وسواس ولا سُكر ولا علة من سائر العلل » (١٨ أ).

١٣ ــ « **وجواز أمرٍ:** جواز الأمر بأربعة: أحدهم أنه لا يكون في رق أحد، بل هو مالك رق نفسه ولا حكم لأحدٍ عليه، والثاني أنه يكون صحيح العقل، كما تقدم الشرح فيه في ذلك، والثالث أنه يكون صحيح البدن كما شُرح، والرابع أنه يكون بالغاً، لأنه لا يجوز كتب الميثاق على صبي » (٢٠ أ ــ ب).

١٤ ــ « **أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها على أصناف اختلافاتها:**

هذه الأربع كلمات جمعت جميع الشرائع الناموسية والمقالات الشركية والاعتقادات الكفرية، وليس هي مخصوصة بالشرائع الظاهرة، بل شاملة لمذهب الأسُس (٢٢ أ) وعبادة الأوثان والأصنام، والشمس والقمر، وآلهة النيران، ومذهب الدهرية، ولكلّ عقيدة خارجة عن مذهب التوحيد، لأن هذه الأربعة المذكورة لم يخرج عنها أبداً مذهب فاسد ولا عقيدة واهية، لا أصل ولا فرع. وغاية جميعها حالان: إمّا تعطيل، وأما تشبيه. فلأجل ذلك صَدّر[1] صاحب الحق ــ صلى الله عليه ــ أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات، وجعل فريضة التبري قبل فريضة الطاعة والعبادة للحاكم تعالى، لأن كل وعاءٍ ملئ من شيء لم يسعه معه غيره حتى يتفرغ منه، كما قال[2]: فلولا تخلصكم من عالم الجهل لما قبلتم نور آثار العقل (٢٢ ب) وقال: « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[3] وقال: وأوّل الدعوة التبرّي من زخرف النواميس، الذي هو نفس النفاق والشرك، وإلاّ خسر السعي إلى عبادة مولانا، جلّ ذكره، وتوحيده والاجتماع على توحيده. فكل من لا ينصرف عن سائر الأديان ويدبر عنها بالكلية: بعقله ونفسه وفكره وحسّه، انصرافاً كاملاً وإدباراً تاماً، لم يقدر على الإقبال بالكلية على عبادة الحاكم سبحانه. وعبادة الحاكم ــ تعالى ــ هي وجود بتنزيه لا يشوب وجوده تشبيه، ولا يلحق تنزيهه تعطيل، ولا يفارق أحدهما الآخر، إلا كما يفارق

---

[1] ولعل صوابها: قرر. وصاحب الحق هنا يُقصد به قائم الزمان حمزة.

[2] لا يتضح من هو القائل، ولكن يظهر أن المقصود في جميع الأحوال التي يرد فيها « كما قال » ــ هو حمزة بن علي: كما يظهر من مقارنة إشاراته بما ورد في رسائل حمزة، فمثلا أشار إلى رسالة المعاد في ص ٣٢ ب، وهو موجود فعلاً في هذه الرسالة ورقة ١٤ أ من المخطوط رقم ١٤٣٢ بباريس.

[3] **سورة آل عمران**، آية ٣.

نور الشمس للشمس كما قال. وبهما ظهر تجريد توحيدك (٢٣ أ) الحق وإثباتك المحض الذي لا يشوبه تعطيل، ولا يلحقه تشبيه.

ولما كانت المذاهب كلها مقصورة على التعطيل والتشبيه، ودينُ التوحيد مقصورٌ على الوجود والتنزيه، لم يستطع أحد أبداً الوصول إلى التوحيد إلاّ بعد التبري من التعطيل والتشبيه. ولهذا السبب قال إنه قد تبرأ من جميع المذاهب. حتى إذا تبرأ منها يصح له الوصول (إلى) التوحيد، وكانت الشرائع جميعها والعقائد بأسرها في دور الستر تشير إلى كشف التوحيد، كما قال، الذي أشارت إليه النطقاء والأسس والأوصياء والأئمة واللواحق بهم. وهو توحيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ فكانت المذاهب للتوحيد (٢٣ ب) في دور الستر، كالصدف للجوهر وكالقشر للب وكالسنبلة للحب. فكان العمل بالمذاهب في ذلك الوقت مقبولاً لأجل التوحيد الكامن فيها، لا لأجل نفسها. فلما جاء أوان كشفه وبروزه للعيان، ظهر الإمام المنتظر قائم الحق المؤيد من رب العالمين، الذي هو صاحبه في سائر الكشفات، أظهره من صدَفه وأخرجه، واستخلصه من سُنبله وجعله مجرداً صافياً محضاً بذاته، بلا ستر يكنه، واستغنى بنفسه عن كل المذاهب التي كانت أوعية له، كاستغناء الحبة عن السنبلة، لأن الحبة تحتاج إلى السنبلة في زمان نشوئها ولما جاء أوان نزوع الحبة من سنبلها استغنت عنها.

وعلى هذا المثال دينُ التوحيد مع سائر الأديان، لأنه بعد (٢٤ أ) التوحيد وتصريح التجريد ومحض التمجيد بقيت الشرائع كلها والمقالات وسائر الأديان على أصناف اختلافاتها مُلْقاةً جسداً بلا روح، وصدفاً بلا جوهر، وقشراً بلا لبّ، وسنبلاً بلا حَبّ، وسراباً لامعاً لا ماء فيه ولا منافع، كما قال: وتفلقت السنابل عن الحبّ، وقال: فقد تفلجت الأصداف بسادات الأمم عن الدر المكنون. وقال:

الشرائع الدارسة الجامدة، وجمودها هو خروج الروح منها. قال: لم يحصل له من الدين غيرُ الكناسة، والكناسة هي الشرائع الظاهرة والباطنة. والمقصود أنها كناسة التوحيد، لأن التوحيد روحها ولُبّها، فلما خرج التوحيد منها وصفت بالكناسة. فمن (٢٤ ب) هذه الجهات قال إنه قد تبرأ من جميع المذاهب، لأنها جميعاً مواتٌ. ومن تمسك بها أو بشيء منها مات، ومع تجريد دين التوحيد بطلت الأعمال بسائر التلحيد[١]، لأن مذهب التوحيد احتوى على سائر بذور أثمار الحياة. والقصد في البذور أنها كانت في أدوار الشرائع تلاويح ودقائق تشير إلى زمان التمام، وهو عصر قائم الزمان الإمام المنتظر. فصارت في عصر قائم الزمان أثماراً لا بذوراً، لأنها صرّحت بتوحيد الحاكم الموجود. فلما كانت تلويحاً، تَعَبر عنها بالبذور. فلما صارت تصريحاً تَعَبّر عنها بالأثمار، كما قال: وأثمارها العلوم الحقيقية الإلهية. ومع ذلك تجب المساترة (٢٥ أ) على كل أحدٍ من أهل التوحيد كما قال: **والاستتار بالمألوف عند أهله**[٢]. وقال: وكذلك أي رجل عرف باطن ثوبه ولبسه وهو التقية والسترة وإقامة الشريعة مع أهلها، واللطف بهم. ثم إنه ينزع ثوبه وسرْباله ويرميهما ويمشي في الأسواق عرياناً، قيل إنه مجنون وقد خرج من المروءة. فمع هذا الكلام والأمر بالمساترة، لا يحل لأحد يتمسك بدين التوحيد أن يهمل المساترة، بل يجب عليه أن يعرف موجبات الصلاة والوضوء ونواقضه، ويقرأ ما تيسر من القرآن قراءة صحيحة على شيخ. وإن كان ذا يسر فيُزكّي عن ماله لمستحقه. ويعرف أمر الصيام ومفطراته، بحيث لا ينكشف عند الشرائع أمر دين

[1] يطلق الدروز لفظ التلحيد على كل المذاهب والأديان الأخرى غير المذهب الدرزي، الذي هو عندهم مذهب التوحيد.

[2] أي أنه يتظاهر بمسايرة الأوضاع الدينية السائدة في المكان الذي يقيم فيه: سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية.

التوحيد، حتى ولو دخّر[١] (٢٥ ب) الإنسان بعض رسائل الحكمة[٢] بلا حفظ، ويحفظ عوض ذلك ما يقيم به المساترة، كان ذلك واجباً، لأن الإنسان إذا غرس بستاناً ولم يَصُنه بشيء لم يَسْلم أبداً. وإذا غرسه ثم نقص بعض غراسه، وجعل عوض ذلك النقص حاجزاً يصونه، كان ذلك أقرب لسلامته وأنتج منه. وكذلك مذهب التوحيد: ما يصح لأحدٍ صحة كاملةً إلاّ بالاستتار. والاستتار بالمألوف (هو) أنه إن كان المحق ساكناً بين أهل الظاهر التنزيلية[٣] فيتساتر بمذهبهم: من صلاة وصيام وحج، وتقديم أبي بكر وعمر وعثمان على عليٍ ابن أبي طالب، وغير ذلك.

وإن كان ساكناً بين التأويلية[٤]. في بلادٍ غالبٌ عليه الشيعة، فيتساتر بمذهب التأويل: (٢٦ أ) يتزيّا بزيهم، ويقدم علياً بن أبي طالب على الصحابة كلهم، ويسبُ أبا بكرٍ وعمر وعثمان وعائشة، ويكون موافقهم في دينهم في ظاهر أمره. **وإن كان بين النصارى، فيتيزيّا بزيّهم**[٥]. وهذا الحال رحمة من الله على أهل التوحيد أن يكون توحيده في قلوبهم، ويتزيّوا بزي كل طائفة في ظاهرهم. ولهذا مثال: أن المرآة لولا طمس جهتها الواحدة، لكان الذي ينظر فيها يخرقها ببصره، ولم تنطبع فيه صورة وجهه. ولما جعل على جهته الواحدة شيئاً حجب به نظرة الناظر ومنعه من أن يخرقه، انعكس البصر وانطبعت في المرآة صورة الناظر.

---

[1] بمعنى: أخر، تراك.

[2] **رسائل الحكمة:** كتب الدروز المقدسة.

[3] **أهل الظاهر التنزيلية:** مذهب أهل السنة.

[4] **التأويلية:** الشيعة بمختلف فرقها.

[5] اقتصر على الزي، دون التظاهر أيضاً بالاعتقاد بمعتقداتهم. وإن كانت كلمة الزي غامضة لا تحدد إلى أي مدى في التظاهر يذهب.

وهكذا دين التوحيد: لا يصحّ ولا يكمل إلاّ بالمساترة، كما لا يصح (٢٦ ب) للنـــاظر في المرآة أن يرى وجهه فيه إلاّ بطمس الجهة الأخرى، (المخطوط رقم ١٤٣٦ عربـــي فـــي باريس، ورقة ٢١ ب ــ ٢٦ ب).

وقد أوردنا شرح هذه الفقرة بتمامه لأهميته البالغة في بيان مسألة توكيد الدروز على ضرورة أن يتبرأ « الموحد » من جميع المذاهب والمقالات والأديـــان والاعتقـــادات. وهـــذه الأربعة تشمل كل دين وكل مذهب ديني خارج عن مذهب الدروز. ولأن في الشرح عرضـــاً لفكرة التقية عند الدروز ووجوبها بحسب الأحوال: فإن كان « الموحد » يقيم بين أهل الســـنّة فليتظاهر باعتقادات أهل السنّة وعباداتهم، وإنْ كان يقيم بين الشيعة فليتظاهر باعتقادات الشيعة وشعائرهم، وأخطر من هذا كله هو أنه إن كان الواحد يقيم بين النصـــارى فليتـــزيّ بـــزيّهم. والتعبير غامض غموضاً مقصوداً. فمن الواضح أنه لا يقصد مجـــرد الـــزيّ الخـــارجي أي الملبس، بل لا بد أن يشمل الأمر أشياء تتعلق بالديانة. غير أنه لم يوضح شيئاً في هذا الباب، بينما وضح كيفية تظاهره أإن كان بين أهل السنّة أو الشيعة من المسلمين. لكننا لا نستطيع أن نستخرج من أقواله هنا شيئاً أكثر مما صرّح به هو نفسه.

ولا شك أن هذه المسألة هي النقطة الحسّاسة جداً في مذهب الدروز ومع الأســـف لا نعرف مَنْ مؤلف هذا الشرح الموجود في المخطوط رقم ١٤٢٦ عربي بباريس. والمخطـــوط نفسه حديث جداً. يقول دي سلان في فهرسه إنه من القرن الثامن عشر، وهو تاريخ معقـــول. ولا شك في أنه يمثل مرحلة متأخرة من مراحل تطور فكرة التقية عند الـــدروز، مرحلـــة لا ترتفع إلى ما قبل القرن الثامن عشر نفسه. ولم نجد في أي شرح أو رسالة من رسائل الدروز المتقدمة ما يشير إلى هذا

المعنى أبداً وهو حثّ الموحد على أن يتزيّا بزيّ النصارى إن أقام بينهم. بل المعروف في هذه الرسائل، كما سنشرح، العداوة الشديدة بين الدروز والنصارى. ومن هنا يمكن أن نفترض أن هذا التطور قد جاء نتيجة للأوضاع السياسة في جبل لبنان إبّان القرن الثامن عشر، مما قد أدّى فعلاً ببعض الأمراء الشهابيين إلى أن يخطوا خطوة حاسمة، وذلك بأن يعتنقوا المسيحية نفسها ويرتدوا عن مذهب التوحيد!

ولهذا ينبغي ألا نقيم وزناً لما يقوله مؤلف الشرح هنا فيما يتعلق بالتقية حين يكون الموحد (الدرزي) مقيماً بين النصارى، وإنْ كان والحق يقال، قد خفف من تعبيره جداً وجعله غامضاً جداً.

ونعود إلى متابعة شرح « **ميثاق وليّ الزمان** » هذا.

١٥ ــ « **وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلّ ذكره:** المعرفة ها هنا بالعقل، لا بالعلم، يعني أنه لا يدخل في عبادة غير عبادة الحاكم سبحانه، ولا يعتقد سواه، كقوله: لم أعرف غيره ولم أتوجه إلا إليه، وكقوله: لم ينطق في الدعوة الشركية، ولا يعرف غير الدعوة اللاهوتية، وهو ــ صلوات الله عليه ــ عارف بالأمور جميعها، محمودها ومذمومها، لكن المقصود في المعرفة هنا أنه لا يعبد غيره ولا يوحّد سواه. وكقوله: ولم يتزوج حلالاً، ولم يعرف حراماً: يعني يفعل حراماً. والطاعة هي العبادة. تفسيره للطاعة هاهنا أنها العبادة في هذا (٢٧ أ) الموضع تأليهٌ وتقديس. وفي غير هذا الموضع العبادة هي الاتباع والطاعة مطلقاً ».

١٦ ــ « **وانه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر:** هذه الثلاث كلمات جمعت جميع من اعتقدت الخلق فيهم الألوهية بغير حقيقة. وقوله: « لا يشرك في عبادته » ــ أي في تأليهه وتوحيده

وقوله: أحداً مضى ــ مثل السابق والتالي والناطق والأساس وعيسى ابن مريم ومحمد الباقر وجعفر بن محمد وما أشبه ذلك. وهؤلاء كلهم مضوا قبل الكشف، واعتقد الناس فيهم الألوهية. وشاهد ذلك قوله: وأما البيوت (٢٧ ب) فهم السابق والتالي والناطق والأساس، الذين اتخذ العالم فيهم المعنوية، وكقوله عن المسيح أنه نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وإنه عندهم إله من إله. وكقوله إن جعفراً وآباءه وأجداده كلهم عبيدٌ ــ دل من ذلك أن الناس من اعتقد في جعفر وآبائه وأجداده ألوهية، وحاشا لله من ذلك.

وقوله: « أو حضر » ــ يعني أنه حاضرٌ في وقت الكشف، مثل عبد الرحيم بن إلياس، وعباس بن شعيب وغيرهما ممن اعتقد الخلقُ فيهم الألوهية...

وقوله: « أو ينتظر » ــ يعني يظهر بعد الكشف وتُدّعى فيه الألوهية، مثل عليٍّ[1] (٢٨ أ) الظاهر وغيره... »

١٧ ــ « **وأنه قد سلّم روحه:** فأول ما يجب على العبد في تسليم روحه أنه يعرفها ويعرف من أي شيء خُلقت ولماذا خُلقت. ومعرفة النفس أمرٌ عظيم، لا يصل إلى ذلك إلا بمشقّة شديدة وبحث عظيم وفكر دقيق. » (ورقة ٢٨ أ).

وهنا يستطرد الشارح إلى البحث في أمر النفس ومعرفة حقيقتها، وأن معرفة النفس لذاتها على الصورة التي أوردها هي المعراج الأعظم لها إلى معرفة ربها (٣٠ ب) تعالى وتقدس، وأنه تعالى لا يعرف ولا يُدرك ولا يوجد إلاّ في صورة ناسوتية مرئية للعيان. بل إن الصورة الناسوتية لا تحس ولا تلمس، كمثل الصورة في المرآة: تراها العيون

---

[1] ابن الحاكم، الذي تولى الخلافة بعده.

بلا لمس ولا كيفية. فإذا عرفت ذاتها بهذه المحلات المذكورة معرفة يقينية وعرفت خالقها بهذه الأوصاف الرّبّانية معرفة حقيقة فبالصورة يسلم العبد روحه إلى خالقه ولا يجعل لها اختياراً في حال من الأحوال. وأول ما فرض على الإنسان في تسليم روحه بعد معرفة ذاته أنه يطهر أخلاقه التي هي طبائع العقل الخمسة، وهي: حرارة العقل، وقوة النور، وسكون التواضع، وبرودة الحلم، وليونة الهيولى ــ يطهرها من أضدادها (٣١ أ) المقترنة بها المخلوقة معها من حين فطرتها، التي هي طبائع الضد الخمسة وهي: المعصية، والظلمة، والاستكبار، والجهل، والمعاندة، لأن الرب سبحانه أبدع **العقل** نوراً محضاً صافياً لا ظلمة فيه، ثم أبدع الضد ظلمةً محضة لا نور فيها، ثم أبدع **النفس الكلية** من بين نور العقل وظلمة الضد، كما قال: وظهور النفس من بين نور العقل وظلمة الضد. فعلى مقدار ما فيه من نور العقل يفهم منه كلامه ويستفيد من نظامه. وبمقدار ما فيه من ظلمة الضد يقدر على مكاسرة جنوده. فهذا برهانٌ يحقق أن فيه من الاثنين. فصار في النفس الكلية نور وظلمة. لكن فيه من نور العقل الجزء العظيم الكثير، ومن ظلمة الضد الجزء اليسير القليل. ــ ثم أبدع **الأساس** من بين نور العقل وظلمة (٣١ ب) الضد أيضاً بواسطة النفس، ففيه نور وظلمة، لكن فيه من ظلمة الضد الجزء الكثير، ومن نور العقل الجزء الحقير القليل ــ ثم أبدع بعد ذلك حروف **السّدْق** (= الصدق) **والكذب** من بين نور العقل وظلمة، والغالب على حروف السدق (= الصدق): النور، وعلى حروف الكذب: الظلمة. وهؤلاء عالم الخصيصة. ــ وبعد حروف السدق (= الصدق) والكذب أبدع **النفوس الناطقة** بأسرها من بين نور العقل وظلمة الضد. ففيها بين النور مثل ما فيها من الظلمة سواء، لا نقص ولا زيادة: كالميزان لا كفة أرجح من

كفة شيئاً، ولهذا السبب تقبل الخير كما تقبل الشر قبولاً متساوياً في هذا في حين إبداعها. وأما بعد ذلك الحين (فإن) قبولها للخير على مقدار رجحان طبائع العقل (٣٢ أ) وامتزاجها بحكمة الرب، وقبولها للشر على مقدار رجحان طبائع الضد وامتزاجها بالعلوم الفاسدة ».

وكفانا هذا القدر من ايراد الشرح على ميثاق وليّ الزمان، لأن الشارح يستطرد بعد ذلك إلى استعراض سائر النقط الرئيسية في مذهب التوحيد.

التنزيل والتأويل

رأينا إذن في ميثاق ولي الزمان أنه لا بد للمستجيب كخطوة أولى أن يتبرأ من « جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات »، كي يستعد لقبول ديانة التوحيد خالصة من كل شائبة، إذ لا يمكن اجتماع هذه مع شيء من تلك، ولا يمكن النفس أن تتسع لكليهما. ويؤكد أصحاب ديانة التوحيد سموّ ديانتهم على سائر الأديان والمذاهب ببيان بطلان ديانات التنزيل والتأويل.

وقد تعرض لهذا الموضوع اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الداعي « المشخّص ذي مصة، الممتص علمه من قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين » في رسالة عنوانها: « **كتاب فيه تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون**[١] ».

يبدأ التميمي كتابه هذا في تقسيم العلوم بقوله إن « العلم ينقسم

---

[1] راجعها في المخطوط رقم ١٤٢٣ عربي بباريس ورقة ٨٠ أ ــ ٩١ أ، رقم ١٤١٩ ورقة ٩٠ ب إلى ١٠٢ ب.

على خمسة أقسام: قسمان منها للدين، وقسمان منها للطبيعة. و(أما) القسم الخامس فهو أجلّها وأعظمها قدراً، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد، وإليه الإشارات، ومن أجله قامت الدار، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار.

وكل قسم من هؤلاء الأربعة أقسام ينقسم على أقسام شتى يطول فيها الشرح والخطاب، وليس في ذلك غرض. والقسم الخامس هو شيء أحد لا يتغير ولا ينتقص ولا يتجزأ ولا يتلاشى...

فأما العلمان المتقدمان فهما علما الدين: أحدهما علم الظاهر، والآخر علم الباطن. وهما زوجان لا توحيد فيهما ولا في عصر يظهران فيه بشرع. فأما العلم الأول فهو **الظاهر**، وأصحابه النطقاء: أولهم نوح، وإبراهيم وموسى، وعيسى، ومحمد. ولقد أخرج آدم من عدد هؤلاء القوم (٨٣ أ) إذ كان العزم هو الختم والقطع والجزم. نطق الكتاب عن آدم أنه لم يجد له عزماً. فصار أولو العزم خمسة. وكل واحد من هؤلاء النطقاء أتى **بظاهر** أقامه لأصحابه ومستحقيه. وكان بين يديه أساس ووفيّ يكون له خليفةً بعد وفاته: فكان لنوح: سام، ولإبراهيم إسماعيل، ولموسى: يوشع بن النون من بعدهم: هارون، ولعيسى: شمعون، ولمحمد: علي بن أبي طالب. فلم ينتقل[1] كل واحد من هؤلاء النطقاء حتى أشار إلى أساسه، وقام الأساس بتأويل ما أتى به الناطق، فصاروا زوجيْن. وبهذا نطق الكتاب[2] « ومن كل شيء خلقنا زوجين »، فدلّ بأن الفرد الذي بينهما هو المراد، وهو المطلوب وإنما الزوج الأول دلّ على الثاني، والثاني دلّ على الثالث، وهو

[1] أي إلى جوار ربه.
[2] أي القرآن: **سورة الذاريات**، آية ٤٩.

المراد والغاية والنهاية.

نطق القرآن بهذا المعنى: « وضُرِب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظـاهِرُهُ مِنْ قِبَلِه العذاب[1] » فدلّ بأن الظاهر من قبله العذاب (٨٣ ب) وأنه وصاحبه عذاب، والباطن فيه الرحمة ولم يقلْ هو الرحمة. وفي الشيء ما أودع فيه، وليس هو الشيء بعينه. فدلّ بأن الباطن يدل على الرحمة، وهو القسم الثالث في الدين، وهو القسم الخامس في العلوم، والإشارة إلى الظاهر، والمعنى لصاحبه وهو الناطق. والإشارة إلى الباطن، والمعنى لصاحبه وهو الأساس. فدلّ بهذا بأن الناطق ليس هو المراد، ولا الأساس هو المراد، لأنهما عبدان مستخدمان دالآن على مدلول، وذلك المدلول هو المراد. وهو للعلوم: القسم الخامس، وهو للدين: القسم الثالث كما تقدم القول فيه، لأن القسمين الأولين للدين، والقسمين الآخرين للطبيعة. يبقى القسم الحقيقي وهو الفرد، وإليه الإشارات.

وإنما ذكر قسمين للطبيعة لوقوع العلم عليهما. والأربعة أقسام: قسمان للدين، وقسمان للطبيعة، والعلم واقع عليهما (٨٤ أ) بمجاز اللفظ لا بالحقيقة. والحقيقة واقعة على القسم الخامس.

فإن قال قائل: ما بال الأسس المتقدمين لم يدع في أحد منهم المعنوية إلاّ في علم علي بن أبي طالب من بينهم، فإن الدعوى فيه إلى وقتنا هذا؟

قلنا له: تريد أن تعرف الأعصار المتقدمة، وكيف هي، ومراتبها وقوة أصحابها من ضعفهم ليبين لك كيف ادّعي في عليّ دون من تقدمه؟ أعلم أيها الطالب المسترشد إلى حقائق الأشياء، أن آدم المشار

[1] **سورة الحديد**، آية ١٣.

إليه قد كان قبله أعصار، وهم: الطمّ والرّم، والجنّ والحنّ والبنّ، فأما البن فهم قوم قد تخلصوا من الشبهات وعرفوا المعبود فعبدوه. وكان المولى ــ جلّ ذكره، وعزّ اسمه ــ ظاهراً مرئياً يؤانس بالأسماء والصفات. فلما فاجروا[1] المعبود ومالوا عن الحق وصاحبه، وارتكبوا الأهواء في دينهم ــ احتجب المولى سبحانه عنهم لسوء أعمالهم. وأظهر لهم آدم المشار إليه، وهو **آدم الأدنى**. نطق الكتاب يصف خلقه (٨٤ ب) أنه « خُلِق من سلالة من طين[2] » ــ وذلك أنه أشار إلى خلق الدين، وكان عند فساد المتقدمين في أديانهم. **وآدم الجزئي**، وآدم الثالث وهو شرْخ يخدمون بين يدي **آدم الصفا الكلي**. والجن قد انعكسوا وحادوا عن المولى جلّ ذكره. وكان آدم وحزبه أغنى أولاده الذين هم من حوّاء، وهم المؤمنون الموحدون الذين لم يحيدوا عن معرفة المولى جلّ ذكره. ولم يقم آدم بشريعة ظاهرة، وبذلك نطق الكتاب (= القرآن) حكاية عنه أنه لم يجد له عزماً[3] والعزم هو الحتم والقطع والجزم. فهذه صفة بالشرع الناموسي، وجماعة ذلك العصر منعكسون مُتّبعون آراءهم. وجَرَت قصة هابيل وقابيل والغرائب والعجائب التي حكيت عنهم.

وآدم الأدنى الجزئي وأصحابه في جبل سرنديب، يدعون إلى توحيد المولى جلّ ذكره، وإبليس وجنوده قد ملأوا الآفاق (٨٩ أ) بكفرهم وارتكابهم الأهواء في دينهم، إلى أن قام نوح بن لَمْك **ناطقاً**، وهو أول من قام بشريعته، ونهى عن طاعة آدم وأشار إلى العدم وإلى نفسه.

---

[1] بمعنى فجروا عليه.

[2] **سورة المؤمنون**، آية ١٢.

[3] إشارة إلى الآية الكريمة: « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (**سورة طه**، آية ١١٥).

ومن أجل ذلك أيضاً سُمّي **آدم الثاني**، لأنه كان أول من تأدّم أهل شريعته منه. وقام للمخالفين بمنزلة الأب، وأساسه **سام**.

وقام **إبراهيم**، وأساسه: **إسماعيل**. ومبلغ قوتهم في معرفة التوحيد كمبلغ العلقة من خلق الإنسان.

ثم قام **موسى** بن عمران، وأساسه: هارون، وأهل عصره ومبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ المضغة من خلق الإنسان.

وقام **عيسى** بن يوسف:[1] وأساسه: شمعون الصفا[2]. ومبلغ أفهامهم في معرفة التوحيد كمبلغ العظم من خلق الإنسان. وقد كان كلهم هؤلاء كلهم من أهل الفهم والدراية والعلم الدنياني والطب والفلسفة والنجوم والهندسة، ومن أهل الكلام.

غير أنهم (٨٩ ب) كلهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم، ولم يعرفوا المولى جلّ ذكره، ولا يعرفون غير السابق وهو نهايتهم والذي كان هو **والتالي** يمدونهم. **والعقل الكلي** وحجته بين أيديهم لا يعرفونهم. **والمولى** جلّ ذكره يحتجب عنهم لخلْقِهم.

وقام محمد، وأساسه علي بن أبي طالب. ومبلغ عقولهم وأئمة دينه، إلى أن انقضى دوره، **وظهر ناطق غيره** وهو **محمد بن اسماعيل** وإلى الخلفاء المستودعين، وهو إلى أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح. وهو مِنْ ولده: سعيد بن الشلغلغ المهدي.

وكان هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد كمبلغ العظْم إذا كُسي لحماً، وصار صورة مُخطّطة مُشخّصة بلا روح من الإنسان

---

[1] لاحظ أن **رسائل الدروز** تذكره دائماً هكذا، ولا تقول: عيسى بن مريم مثلاً.

[2] أي القديس بطرس أو سمعان بطرس، وبطرس هي الكلمة اللاتينية *Petrus* = الصف، الحجر.

الحي الناطق، فلم توجب الحكمة من المولى جلّ ذكره أن يظهر ما بين أقوام مَثَلُهم مَثَلُ الميت. نطق الكتاب يقول: « إنك مَيّت وإنهم ميّتون »[1] يعني أئمته وأهل دوره. ولو أشار بذلك لموت الطبيعة (٨٦ أ) لكان هجنة على الحكيم أن يخاطب لمن أقامه لتعليم الناس لما يعلمه الجهـــال والصبيان والكفار. غير أن كانت الصورة المخططة الكاملة الخلق لم يتولها شيء غير سلوك الروح فيها، فتصير حيّة ناطقة. والروح فهو معرفة التوحيد. فلأجل ذلـــك قلنـــا إن النـــاطق والأساس، وإن كانا أقوى من جميع ما تقدم، لم يعرفوا المولى جلّ ذكره، ولو عرفوه لكان بين أيديهم ظاهراً مكشوفاً، لكنه بحكمته احتجب عنهم لقبائح اعتقاداتهم.

والعقل الكلي وحجته في ذلك العصر بين يدي النـــاطق والأســـاس يشـــدون أمـــرهم ويقوّمون عزمهم لظهور الحكمة وتربية صورة التوحيد، حتى تبلغ كمالها بوفاء عصر الناطق السادس وقيام الناطق السابع. فلما أوجبت الحكمة ذلك وقرب ظهور المولى ــ جلّ ذكـــره ــ بالصورة البشرية الملكية العالية بمملكة الدنيا، أوجب ظهور العقل الكلي وحجته ليشدوا أمـــر الناطق. غير أنهم (٨٦ ب) لم يدخلوا تحت شرعته ولم يقبلوا من دينه.

فأما **العقل الكلي** فكان له الرأي والمشورة في ذلك الوقت. وأهل ذلـــك العصـــر مـــن شيوخ الجاهلية يركنون إليه ويقبلون مشورته. وإنما كان محمد قد انتسب إليه بحـــد التربيـــة. وكذلك الأساس انتسب إليه بحد التربية. وإلا ليس هو أبا الناطق الجسماني ولا الأســـاس، لأن الناطق الجسماني كان ميلاده في جبال الشام وتربى مع القوافل يسافر ماراًّ

---

[1] **سورة الزمر**، آية ٣٠.

وجائياً إلى الحجاز، إلى أن عمل على جمالٍ كانت محرّمة لأبي طالب، فانتسب إليه. والأساس كان ميلاده بمكة. غير أن عصر الناطق أبين وأقوى من سائر الأعصار المتقدمة. فلأجل ذلك ادعوا الوحدانية في عليّ بن أبي طالب دون سائر الأسس المتقدمين.

ووجهٌ آخر: إن في القرآن وفي سائر الأعصار إشارةً إلى ذكر ظهور **عليّ الأعلى**، ولم يقلْ: عليّ الأعلى إلاّ وقد علم المولى ــ جل ثناؤه ــ (٨٧ أ) أن يقوم شخص يُسمّى « علياً » ويُدّعى فيه الوحدانية. فقال لهم جبريل: مولاي ومولاكم عليٌّ الأعلى ».

فأخذوا عنه ذلك بالدعاوي، لا بالحقيقة. ومن ذلك قال الناطق[1] لما ذكر المعراج فقال: « أنا في السماء الرابعة حتى رأيت ملكاً أشبه الناس **بعليٍّ** والملائكة تزوره. فقلت لجبريل: يا حبيبي، هذا أخي عليٌّ سبقني إلى السماء! فقال لي: لا، ولكن الملائكة اشتاقت إلى عليّ فخلق الله لهم ملكاً وسماه علياً، والملائكة تزوره ». وكان الأساس لم ينظر إلى السماء التي ادّعاها الناطق، وكان الناطق يظن أن عليّاً أساسه وهو ينتقل إلى ذلك الشخص الذي يسمى علياً.

وأما السماء الرابعة والمعراج فهو لما رقى إلى معرفة ترتيب النطق وارتفع فيه وفي بنيانه لأنه كان مستجيباً يخدمه في شرع عيسى، ثم صار مكاسراً، ثم صار ناطقاً.

وهذا سبب المعراج، لأنه عُرج به من منزلة إلى منزلة. فلما ارتقى في هذه المنازل قيل له إن (٨٧ ب) في الظهورات الآتية صورة تظهر في السماء الرابعة ولم يقل له إنه هو السماء، وإنما قيل له: فيها.

[1] أي محمد (صلعم). وعلي الأعلى = علي بن أبي طالب.

والسبع سموات هم الأئمة المستورون: فأولهم سماء **الدنيا**، وهو اسماعيل بن محمد. والسماء **الثانية** وهو محمد بن إسماعيل. وظهر السماء **الثالثة** وهو أحمد بن محمد، في صورة البشرية، ولم يكن لذلك الصورة مُلك في الدنيا لأنه ظهر في صورة أسماها أبا زكريا. وظهر العقل الكلي بين يديه في صورة أسماها المولى سبحانه: قارون وكان عجمياً كبيراً في الدعوة، ولم يشرك في التوحيد. وفي آخر وقته وهو شيخ أرسل بالمهدي بديار اليمن.

وأظهر المولى حجته وهي النفس الكلية بأبي سعيد الملطي. فلما انتشت السماء **الرابعة**، وهو قيام عبد الله بن أحمد، وهو من ولد ميمون (٨٨ أ) القداح، ظهر المولى سبحانه بصورة أسماها: علياً وكان اسم الصورة الظاهرة قبلها: المكنى بأبي زكريا طالب، فصار عليّ بن أبي طالب، وهو عليٌ الأعلى الذي إليه الإشارات. ــ وظهر السماءُ **الخامسة** وهو محمد بن عبد الله، وسمي أيضاً المهدي، سُترةً، وهو أيضاً من ولد القداح، وكان من ولد الحسين. ــ وظهر المولى ــ جلّ ذكره ــ بصورة أسماها: المُعِلّ، وكان ظهوره ــ جلّ ذكره ــ بديار تدمر وديار الشرق في زي تاجر في ذلك الوقت، غير ان كانت الصورة الظاهرة لها هيبة في قلوب العالم متظاهرة بالجدة[1] والإيسار حكمة بالغة. ــ وظهر السماء **السادسة** وهو الحسين بن محمد، وهو من ولد ميمون القداح أيضاً، وبقيت صورة التوحيد باقية على حال ظهورها. ــ وظهر السماء **السابعة**، وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي، وصورة التوحيد باقية على ظهورها. وكان (٨٨ ب) عبد الله قد تسمّى أحمد، فلذلك تسمّى سعيد بن أحمد، وهو المهدي الذي تسمّى

[1] فوقها: الغنى ــ وهو شرح لمعنى الكلمة.

باسمه تمهيداً له واستئناساً للعالم باسمه. وكان **الكرسيّ**، فهو الذي استودع المولى المُعِلّ — جل اسمه: — الوديعة، وأمره بخدمة مولانا القائم جل اسمه.

وكان أول ظهور المولى للعالم بصورةٍ أسماها القائم وأول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت.

فخذ، أيها الطالب الراغب، ما أتيتك بقوةٍ وكن من الشاكرين. وهذا ما ظهر لنا من الكلام في الظهورات، والمولى، جل ثناؤه! بذلك أعلم وأحكم لا شريك له في ملكه ولا معترض عليه في فعله. ولا لكم أن ترغبوا إلى ذكر ما تقدم، لأنكم في غنى عنه بالوجود وظهور مولانا الحاكم سبحانه بين أيديكم ظاهراً مكشوفاً، وحجته — جلّ ذكره — ظاهرة مرئية، فقد أغنى ذوي العقول بها عن البحث فيما تقدم.

* * *

ونرجع إلى ذكر الخمسة أقسامٍ. فذكرنا القسمين اللذين (٨٩ أ) هما الظاهر والباطن وذلك بإقامة الحجج بأن الظاهر ليس هو المراد، فوقع العلم عليه على المجاز. وكذلك الباطن ليس هو المراد، لأن المراد المطلوب هو توحيد المولى — جلّ ذكره — الذي فيه النجاة.

فوقع العلم أيضاً على القسم الثاني، الذي هو الباطن، على المجاز لا بالحقيقة. والمعنى لصاحبيهما، أعني الناطق والأساس، وهما عبدان لله — جل وعز اسمه — ليس فيهما توحيد، وهما في عصرنا هذا عبدان لمولانا الحاكم — جلّ ذكره — مستخدمان لملكه، يعرفهما من عرفهما ويجهلهما من استغنى عن العلوم.

وأما القسمان اللذان بعدهما، وهما الثالث والرابع، فهما علمان: علم

طب الطبيعة، وعلم طب الحيوان: الناطق الذي هو الإنسان، والذي هو البهائم، فأحدهما يُسمى متطبّباً والآخر يسمى بيطاراً، وهما جميعاً مجربان لا معالجان، لأنهما يعالجان ما لا يعرفان. وإنما أخذوا علومهم تقليداً عن المتقدمين من الفلاسفة، عَمَلَ أهل الظاهر الذين أخذوا علومهم عن النطقاء والفلاسفة فأكثر ما بلغوا إليه أنهم شقوا جوف الإنسان وأبصروا ما فيه وحكموا عليه، وليس فعل من قُتل ومات وشُقّ جوفه، كفعل من هو بالحياة. فقد زالت صحة حكمهم على الإنسان الحيّ الناطق. وكم قد ترى من متطبب بالغٍ في صنعته، مُدِلٍ بطبه، عالج فقَتَل في علاجه ــ كذلك طبيبو العين والجراحات أعموا كثيراً، وكذلك البياطرة ومعالجو الطير كلهم قتلوا كثيراً. وإنما تلحقهم اتفاقات في الأشياء وحكومة على رؤية الأهواء، وهي أقوى حجة لهم، وهي أضعف حجة بمعرفة الحقائق.

وإن الأربعة أقسام ليست لها حقائق، وإنما الحق في غيرها. فلما اسقطتُ القسمين اللذين للطب، رجعنا إلى أقسام الدين، فأصبنا القسمين الظاهر والباطن لا حقيقة فيهما، وأصبنا القسم الثالث هو من هذه الجهة توحيد (٩٠ أ) مولانا جلّ ذكره.

وهؤلاء الأربعة أقسام، والخامس أجلّها. ومن ذلك وقع الفضل على الخامس من كل شيء أولها: الطبائع الأربعة، والخامس أجلّها، والحجج الأربعة، والإمام خامسهم وهو أفضلهم، وجملة الحساب أربعة، والفرد خامسهم لأنك تقول: واحد واحد، فلا يفهم حتى تزيد عليه آخر فيصير اثنين، ثم تقول آخر فيصيروا ثلاثة، فيبقى الفرد ناقصاً، لقوله: « ومن كل شيء خلقنا زوجين[١] »، فتزيد

[1] **سورة الذاريات**، آية ٤٩.

بآخر لتفهم أربعة. فإذا زدت عليها واحداً صح التوحيد: أربعة أفـراد: زوج ظـاهر، وزوج باطن، والتوحيد في غيرهما وهو القسم الخامس.

وهذه معرفة تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون.

وإنه لما استتر مولانا الباري سبحانه في عصر آدم الصفا الكلي، وشكوا العالم وطلبوا العدم، كان اسم مولانا ــ جلّ ذكره ومعرفته ــ مكنوناً مستوراً لا يجوز كشفه ولا ذكره، بل (٩٠ ب) هو مخفيٌّ في الصدور. ــ إلى أن ظهر المولى جلّ ذكره ــ بالصـورة القائميـة، وكان ظهور الصورة واستتار التوحيد لحكمة أوجبت ذلك، ولم يعد وقـت قيـام المنصـور، والمعز، والعزيز، ولما قام مولانا **الحاكم** جلّ ذكره، وكلهم واحد، وإنما حكمته أظهرها لنـا. فلما قام مولانا **الحاكم** ــ جلّ ذكره ــ بصورة التوحيد، انكشف المكنون ووحّد مولانا الحـاكم جلّ ذكره ظاهراً مكشوفاً بين يديه فلا ينكر ذلك ولا يقتل عليه، ولا يحبَس. فصـار كشـف المكنون هو توحيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ لأنه بلا مكنون يعادله ولا أجلّ منه. فانكشف فـي وقتنا هذا وزال كلّ مستورٍ، وزهق المغرور، وإنجازُ وعده لا يبور.

فمن ادعى التوحيد، وتبرأ من التلحيد، وعرف المولى ــ جلّ ذكره ــ ووحده بحسب ما انكشف له، وقَصده من حيث (٩١ أ) أمره وتوجه إليه من النور الذي أبدعه، وقبل عنه ما أودعه، وعرف قائم الزمان الموعود لعصره بالتمام ــ كان من الفائزين الذين لا خوفٌ عليهم من الرجوع إلى إبليس اللعين، ولا هم يحزنون على مفارقة غطريس المهين، بل هـم علـى طاعة هادي المستجيبين منعكفون، ولما يُتْلى عليهم من علوم التوحيد سامعون. أولئـك هـم الفائزون.

والحمد والنعمة لمولانا، وعليه مُتكلنا في السرّاء والضرّاء، والشدة والرخـاء، وهـو حسبي ونعم النصير المعين.

ثم كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون. وكان فراغه سلّخ المحرم الثالث من سنين ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين، بسيف مولانـا سُبحانه، وبه أستعين ».

* * *

من هذه الرسالة المهمة يتبين أن تقسيم العلوم عند الدروز هو إلى خمسة علوم: اثنان منها يتعلقان بالدين، واثنان بالطبيعة، والخامس وهو أشرفها هو العلم الحق. وكل واحد مـن الأربعة الأولى ينقسم إلى عدة أقسام: ومنها اثنان يشملان كل فروع الأديان، واثنان يشـملان كل فروع العلوم الطبيعية. والعلم الخامس، وهو العلم الحق، هو ديانـة التوحيـد، أو ديانـة الدروز، وهو مذهب حمزة بن علي عبد مولانا الحاكم بأمر الله.

أما علما الأديان فهما علم التنزيل، وعلم التأويل. وسائر الأديان والمذاهب لا تخـرج عنهما.

ونجد في رسالة سؤال وجواب، وهو « **حد ما ذهب إليه الدروز واعتقـدوه** » وقـد أوردناها من قبل ـــ أنه في السؤال رقم ٧٠ يرد: ما اسم المسلمين؟ والجواب التنزيل. وفـي السؤال ٧١: ما اسم النصارى والجواب: التأويل، أي الذين تأولوا الإنجيل. أما تسمية المسلمين بـ « التنزيل » فمعناه أن المسلمين يؤكدون أن القرآن نزل من السماء. غير أن هـذا التحديـد يبدو أنه متأخر، و« **رسالة سؤال وجواب** » يبدو أنهـا حديثة، لا تقوم على أساس متين من « **الرسائل التوحيدية** » المعتمدة. ولهذا ينبغي ألا نأخذ بتحديدها هذا.

وإنما المقصود بأهل التنزيل أهل السنة الذين يأخذون بظاهر القرآن وبأهـل التأويـل أهل الباطن عموماً: شيعة إسماعيلية، قرامطة، اثنا عشرية الخ.

و« التنزيل » يطلق عليه أيضاً اسم شريعة الناطق، والتأويل يطلق عليه اسم « شريعة الأساس ».

اسقاط التكاليف الشرعية أو نقص الشريعة

ولما كان مذهب التوحيد ناسخاً للتنزيل والتأويل على السواء، فقد أسقط عن الموحدين التكاليف الشرعية التي فرضها التنزيل.

ولهذا الإسقاط خصصت إحدى « **الرسائل التوحيدية** » الكبرى، وعنوانها « **الكتاب المعروف بالنقض الخفي** ». وقد رُفِع إلى الحضرة اللاهوتية من حمزة بن علي. ولأهميته البالغة نورده هنا بنصه:

« توكلت على مولانا البار العلاّم، العليّ الأعلى، حاكم الحكام، من لا يدخل في الخواطر والأوهام حروف باسم الله الرحمن الرحيم.

دعاة عبده الإمام! كتابي إليكم معاشر الموحدين لمولانا سبحانه وحده، المستجيبين لحقائق الجواهر الحقيقية، الناظرين من نور الأنوار الشعشعانية، المتبرئين من العلوم المحال الحشوية، العارفين بالأبالسة الغويّة، العابدين للمعبود إله البريّة، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته. والذات هو لاهوته، والمبدعات هم النطقاء، والأسس واللواحق، والدعاة. سبحانه عن الازدواج، وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

أما بعد:

فقد سمعتم (٢١ أ) قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة بإسقاط الزكاة عنكم، وإن الزكاة هي الشريعة بكمالها. وقد بيّنتُ لكم في هذه الرسالة نقضها دعامةً دعامة: ظاهرها وباطنها، وأن المراد في النجاة في غير هذين جميعاً. وقد سمعتم بأن يصير هذا الباطن المكنون الذي في أيديكم ظاهراً، والظاهر يتلاشى ويظهر معنى حقيقة الباطن المحض. وهذا وقته وأوانه. وتصريح بيانه للموحدين، لا للمشركين، إلى أن يظهر السيف فيكون ظاهراً مكشوفاً، طوعاً وكرْهاً، وتؤخذ الجزية من المسلمين والمشركين كما تؤخذ من الذّمّة. وقد قَرُب إن شاء مولانا، وبه التوفيق.

الشهادتان

١ ــ فأول البناء وقبّة النهاء (كذا!) شهادة « لا إله إلا الله، محمد رسول الله » التي حقن بها الدماء وصين بها الفروج والأموال. وهي كلمتان: دليل على السابق والتالي.

وهي أربعة فصول: دليل على الأصلين والأساسين. وهي سبع قطع: دليل على النطقاء السبعة، وعلى الأوصياء (٢١ ب) السبعة، وسبعة أيام، وسبع ليال، وسبع أرضين، وسبعة جبال، وسبعة أفلاكٍ، وأمثال هذا أسابيع كثيرة ــ وهي اثنا عشر حرفاً: دليل على اثنتي عشرة حجة الأساسية. وثانية بالمعرفة: محمد رسول الله. ثلاث كلمات دليل على ثلاثة حدود: الناطق، والتالي فوقه، والسابق فوق الكل.

وهي ست قطع دليل على ستة نطقاء، وهي اثنا عشر حرفاً، دليل على اثنتي عشرة حجة له بإزاء الأساسية. وكذلك السماء اثنا عشر

برجاً وسبع مدبرات، والأرضون سبع، وسبعة أقاليم، واثنتا عشرة جزيرة.

وأصل العالمين جميعاً واحد. وهو علّة العلل. وهو عندهم السابق. وهو أصل السكونة (كذا!) والبرودة، والتالي هو أصل الحرارة والحركة.

وإبليس اللعين ظهر من السابق قبل التالي، وهو لطيف روحاني. وكان طائعاً لباريه، إلاّ أنه أظهر المنافسة، وطلب اللعينُ الرياسة. وأنشأ روحانيته شخصاً قائماً بـــإزاء الســـابق، وأظهر الضدية وجادل (٢٢ أ) باريه، واسمه حارَثُ. فحينئذ ظهر منه تاليه، فســـار الســـابق والتالي أصل العالمين جميعاً.

ومنهما ظهر الناطق والأساس، فأظهر السابق برودتَه وسكونته، وأظهر التالي حرارته وحركته، وأظهر الناطقُ اليبوسة، وأظهر الأساسُ الحركة. فَملت الطبائع الأربعة، وتكوّنـــت الأفلاك السبعة، والبروج الاثنا عشر. وكذلك البروج: لكل ثلاثة بروج طبع غير طبع الثلاثة الأخرى لتدبير العالم بأربع طبائع. وكذلك الطبائع الدينية أربعة كما تقدم ذكرهـــا. والبـــاري سبحانه منزه عن الكل « سبحانه وتعالى عما يصفون[1] ».

وكل سبعة في الأفلاك حروفها ثمانية وعشرون حرفاً، ليبين للعارفين أن الأسابيع كلها دليل على معنى واحد وإشارة واحدة وهي: زحل، مشترى، مريخ، شمس، زُهــرة، عُطـــارد، قمر ــ حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

[1] **سورة الأنعام**، آية ١٠٠.

ومن أول بروج السنة وهو الحمل، وهو السابق إلى البرج الذي يليه، وهو الميــزان، وهو الناطق، سبعة بروج وهو (٢٢ ب) حَمَل ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سـنبلة، ميـزان، عدد حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

وتدبير العالم وسعودهم ونحوسهم من القمر. والقمر فلا يقدر يسـير إلاّ فـي ثمانيـة وعشرين منزلة. ومن المحرم إلى رجب الذي يشاكل المحرم في الفضـيلة سـبعة شـهور. والمحرم دليل على السابق، وهو أول السنة، وأول الشهور. وكذلك رجب، وهو التالي، متصل بشعبان ورمضان، وشعبان ورمضان دليلان على الناطق والأساس. والمحرم الذي هو السابق صار فرداً عن الشهور. ورجب متصل بالشهرين، كما أن التالي متصل بالناطق والأسـاس. ومن المحرم إلى رجب سبعة شهور...

وكذلك للسابق سبعة حدود: أولهم السابق، والتالي، والجد، والفتح، والخيال، والنـاطق والأساس ــ حروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

وكذلك الشهور: محرم، صفر، ربيع، ربيع، جمادى، جمادى، رجب، ــ وهم ثمانيـة وعشرون حرفاً.

والأيام السبعة: أحد، اثنين، ثلثاء، أربعاء، خميس، جمعة، سبت ــ حروفهـا ثمانيـة (٢٣ أ) وعشرون حرفاً.

وكذلك النطقاء السبعة: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، سـعيد، حـروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

الأوصياء السبعة: شيث، سام، إسماعيل، يوشع، شمعون، عليّ، قـدّاح، ــ حـروفهم ثمانية وعشرون حرفاً.

القرآن الكريم أنزل على سبعة صنوف:

فمنه ناسخ، ومنسوخ، ومحكم، ومتشابه، وقصص، وحكايات، وأمثال، وقريء بسبعة أحرف.

والطواف حول الكعبة سبعة، وطول الإنسان سبعة أشبار بشبره، وعرضه أيضاً بشبره سبعة أشبار. وفي وجه الإنسان سبعة خروق.

وأمثال هذا أسابيعُ كثيرة لا تحتمله الرسالة، كلها دليل على سبعة أئمة، وسبعة نطقاء، وسبعة أوصياء. وبداية الكل من واحد، وكذلك أيضاً عبدٌ غير معبود. وكذلك قال:

« ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة »[1]. وهو السابق فجعل الناطق دليلاً على الداعي، إذ كان هو من قِبَل الإمام. وكذلك اللام راجع إلى الألف، والألف الذي في « اللام » دليل على الإمام. والألف الثاني دليل على التالي (٢٣ ب). واللام دليل على الناطق، إذ كان الناطق من التالي انبعث، ومنه كانت مادته. والألف الثالث من « إلاّ » بمنزلة السابق، إذ هو بمنزلة رابع الحدود: دليل على الحجة والداعي والمأذون[2]. والألف الذي في اللام ليس له غير حد واحد: تاليه. وكذلك الداعي يرجع (إلى) الإمام لا غير، والناطق إلى التالي، والسابق بالحدود كلها. كذلك الألف الذي في « الله ». واللامان المتصلان به بحد الناطق والتالي. والهاء التي هي ختامتهم رتبت بمنزلة أساسه، فقال: « لا إله إلا الله » ألفاً عن الكل المعنوية. وأشار إلى أساسه وألزمهم بأن يقولوا: « محمد رسول الله »، وهي ثلاث كلمات لأنه ثالث السابق.

---

[1] **سورة لقمان**، آية ٢٨.

[2] ناقص في المخطوط رقم ١٤٠٨.

وهي ست قطع: دليل على أنه سادس النطقاء. وهي اثنا عشر حرفاً: دليل على اثنتي عشرة حجة له ظاهرة، كما للأساس اثنتا عشرة حجة باطنة. فنظرنا إلى السابق والتالي والناطق والأساس والإمام والحجة، فرأيناهم كلهم عبيداً مزدوجين، فعرفنا بأن المعبود سواهم، وعلمنا بتوفيق مولانا ــ جلّ ذكره ــ أن « الهاء » المشار (٢٤ أ) إليها التي هي ختامة الله وتمامه. واللامان والألف خلف تاليه، وهو آخرهم ورابعهم وتمام القدرة به، لأن لا يقال لأحد من الحدود ما قيل له وهو المهدي الذي وقع عليه هذا الاسم الأعظم بقوله: أبو القائم. ولا يجوز أن يقع هذا الاسم إلاّ على أعظم الحدود ونهايتهم، كما أن « الهاء » نهاية لا إله إلا الله.

ولم يظهر المولى ــ جلّ ذكره ــ ذلك المهديّ إلى تمام دور محمد وانقضائه، لأنه آخر دور الأربعة المستورين الذين ختم الله أمورهم به أي انقضاء، وتجلى للعالم بالملك والبشرية، وأشار إلى نفسه بنفسه، لا بالمهديّ. ومنه أظهر الحقيقة، ولم يكن الأساس نهاية الحدود. ولم يكن له من القدرة اللاهوتية ما كان للمهدي بإظهار مولانا القائم الحاكم ــ جلّ ذكره ــ منه وفي زمانه.

وقد علمتم بأن عليّ بن أبي طالب بايع أبا بكر وعمر وعثمان، وتردد إلى معاوية مراراً بكثرة. وآخر الأمر لم يتمكن من معاوية، بل تمكّن معاوية منه. (٢٤ ب) ومن أولاده وأصحابه. وكان عليّ بن أبي طالب أكثر عشائر في ذلك الوقت، وأكثر مالاً وأعظم عشيرة في ظاهر الأمر من المهدي. وقد أظهر المهدي من المعجزات والغلبة بلا مال ولا رجالٍ ما لم يقدر عليه عليٌّ.

ومولانا القائم الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، جلّ ذكره،

أوْرى[1] قدرة لاهوتية ما لم يقدر عليه ناطق في عصره ولا أساس في دهره.

وقد **ظهر أبو يزيد**[2] وهو حارَث، إبليس الأبالسة في ذلك الوقت، وجَلَب بخيله ورَجْله كما قال في القرآن[3]. وصبَر مولانا ــ جلّ ذكره ــ إلى أن مات مَنْ مات من شيعة، المُحال وكفر من كفر، وارتدّ من ارتدّ، وامتحنهم كما قال: « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات. وبشر الصابرين[4] » وقد أصابت عسكر مولانا جلّ ذكره هذا كلّه. ثم إنه جلّ ذكره خرج إلى إبليس وجنوده بشخصه المرئية، وناسوته البشرية، وأظهر للعارفين بعضَ قدرة لاهوته. وأولياء مولانا (٢٥ أ) حينئذ في ظاهر

[1] بمعنى: أرى.

[2] أي أبو يزيد بن كيداد، وهو مخلد بن كيداد، وأصله من قبيلة بني وركو، بطن من زناته. واعتنق في شبابه مذهب الخوارج النكارية، وأذاعه في تقيوس. وآثار البربر واستولى على جنوب تونس. وكان يركب حماراً، ولهذا لقب بصاحب الحمار. واستولى على القيروان، وحامر المهدية حيث كان الخليفة الفاطمي: القاسم. ولكن المدينة قاومت مقاومة عنيفة، مما أنقذ دولة الفاطميين الناشئة. إذ اضطر أبو يزيد بعد طول الحصار إلى الانسحاب. وعاود القتال ضد الفاطميين، ولكنه أخفق أمام سوسه التي كان الخليفة الفاطمي اسماعيل ــ الذي خلف القاسم الذي توفى أثناء حصار المدينة المهدية ــ قد جاء للدفاع عنها. وطارده الفاطميون إلى جبل كيانه، في جنوب سطيف. فجرح جرحاً بالغاً، وسقط في أيدي الخليفة الفاطمي اسماعيل، وتوفى متأثراً بجراحه في ٢٧ محرم سنة ٣٣٦ هـ (١٨ أغسطس سنة ٩٤٧م). راجع عنه: ابن عذارى: « **البيان المغرب** » جـ ١ ص ٢٢٤ ــ ٢٢٨؛ ابن الأثير (نشرة تورنبرج) جـ ٨ ص ٣١٥ ــ ٣٢٢؛ ابن خلدون جـ ٣ ص ٢٠١ ــ ٢١٢؛

Fournal Les Barbers Marcier, *Hist. de l'Afrique septentrionale*, II, 223-276, I, pp. 354-373, Paris, 1888.

[3] إشارة إلى الآية: « واجلب عليهم بخيلك ورجلك » (**سورة الإسراء**، آية ٦٤).

[4] **سورة البقرة**، آية ١٥٥.

الأمر قليلون ضعفاء مما أصابهم من البلاء، وإبليس في مائة ألف بيت من جنوده، في كل بيتٍ رجالٌ بكثرة. فلم يكن غير ساعة واحدة إلاّ وهم كأعجاز نخل خاوية. **وأبو يزيـــد** لعنه المولى ــ هو إبليس، وإبليس أقام روحه مقام باريه، وجادله. وهو الفيل الذي جاء في « المجلس[1] » بأنه مسخ لأنه تشبه بعين الزمان، وعين الزمان هو السابق. وكذلك ابليس أقام روحـــه مقـــام السابق وجادله، فعرفنا أنه عنى بذلك أبا يزيد، كما قال لمحمد:

« ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب[2] الفيل ». يعني أبا يزيد، « ألم نجعل... » يعنـــي القائم، « كيدهم في تضليل »، وأرسل « عليهم طيراً أبابيل » وهم عبيد مولانا القـــائم جـــلّ ذكره، « ترميهم بحجارة من سجيل » يعني تأييد مولانا القائم ــ جلّ ذكـــره ــ مـــع حُسـن يقينهم، فجعلهم « كعصفٍ مأكول ».

فهذه معجزات لم يختلف فيها مخالف ولا مؤالف، من ناطق وأساس. وله معجـــزات ودلائل مما لم يحتمل الموضع الشرح فيه. وأنا أبين لكم ذلك في كتاب « **السيرة** » مـــن (٢٥ ب) ناسوت مولانا ــ جلّ ذكره ــ في كل عصر وزمان، إن شاء مولانا، وبه التوفيـــق فـــي جميع الأمور.

فصحّ عند العارف المُخلِص بأن الإشارة والمراد في النهاية من محمد بن عبد الله إلى المهدي، وهو « الهاء » تمام الله، وهو عبد مولانا القائم الحاكم بذاته، المنفرد عن مُبدعاتـــه، سبحانه وتعالى عما يصفون علوّاً كبيراً.

---

[1] إشارة إلى مجالس الحاكم التي كان يتدارس فيها المذهب وما سجل عنها من سجلات وكتب.
[2] **سورة الفيل**، آية ١.

إسقاط الصلاة

٢ ــ ثم أقام بعد الشهادتين، وبأساسه: الصلاة في خمسة أوقات. وقد روى كثير من المسلمين عن الناطق[1] بأنه قال: « مَنْ ترك صلاته ثلاثاً متعمداً فقد كفر ». وقال: « من ترك الصلاة ثلاثاً متعمداً فليمت على أي دين شاء ». وقد رأينا كثيراً من المسلمين يتركون الصلاة، ومنهم من لم يُصلِّ قط، ولم يقع عليه اسمُ الكفر. فعلمنا أنه بخلاف ما جاء في الخبر. وقد اجتمع كافة المسلمين بأن المصلي بالناس صلاته صلاة الجماعة وفعله فعلهم وقراءته قراءتهم، حتى إنه لو مسها في الفرض الذي لا تجوز الصلاة إلا به، كان عليه الإعادة مثل ما عليه. فإذا كان (٢٦ أ) رجلٌ مصلٍ بالناس يقوم مقام أمته، وتكون صلاته مقام صلواتهم، فكيف مولانا ــ سبحانه ــ الذي لا يدخل في عدد التشبيه، وله سنين بكثرة ما صلّى بناسٍ ولا صلّى على جنازة، ولا نحر في العيد الذي هو مقرونٌ بالصلاة بقوله: « فَصَلِّ لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر »[2]. فصار فرضاً لازماً. فلما تركه ــ مولانا جلّ ذكره ــ علمنا بأنه قد نقض الحالتين جميعاً: الصلاة والنحر، وأنه يهلك عدوه بغير هاتين الخصلتين، وأن لعبيده رخصة في تركهما، إذ كان إليه المنتهى ومنه الابتداء في جميع الأمور. فبان لنا نقضه. وقد بَطّل صلاة العيد وصلاة يوم الجمعة بالجامع الأزهر، وهو أول جامع بني بالقاهرة. وكذلك أول ما بَطّل هو. فهذا ظاهر الصلاة ونقضها.

وأما الباطن فقد سمعتم في المجالس[3] بأن الصلاة هي العهد

---

[1] أي عن النبي (صلعم).
[2] **سورة إنا أعطيناك الكوثر**، آية ٢ ــ ٣.
[3] أي مجالس الحكمة التي كان يعقدها الخلفاء الفاطميون قبل الحاكم.

المألوف. وسمي « صلاة » لأنه « صلة » بين المستجيبين وبين الإمام، يعني عليّ بن أبي طالب، واستدلوا بقوله: « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء (٢٦ ب) والمنكر[1] ». فمن اتصل بعهد علي بن أبي طالب انتهى من محبة أبي بكر وعمر. وقد رأينا كثيراً من الناس اتصلوا بعهد علي بن أبي طالب، وكانوا محبين لأبي بكر وعمر، وكانوا يمضون إلى معاوية ويتركون علي بن أبي طالب، وقالوا: إن العهد في وقتنا هذا هو الصلاة، لأنه صلة بينهم وبين مولانا جلّ ذكره.

والفحشاء والمنكر: أبو بكر وعمر. وقد اتصل بعهد مولانا جلّ ذكره في عصرنا هذا خلق كثير لا يحصيهم غير الذي أخذ عليهم، ولم يرجعوا عن محبة أبي بكر وعمر، ولا عن خلاف مولانا جلّ ذكره وعصيان أوامره.

فقد صحّ عندنا أنه بخلاف ما سمعنا في « المجالس »، ورأينا مولانا ـ جلّ ذكره ـ قد نقض الباطن الذي سمعناه، لأنه أباح لسائر النواصب[2] إظهار محبة أبي بكر وعمر. وقريء بذلك سجلّ على رؤوس الأشهاد: من أراد أن يتختم في اليمين، أو في الشمال، فلا اعتراض عليه، فإنه عند مولانا في الحد سواء. وقد سمعتم « المجالس » بأن (٢٧ أ) اليمين والشمال هما الظاهر والباطن، وقد جعلهما مولانا ـ جلّ ذكره ـ في الحد سواء، فعلمنا بأنه ـ علينا سلامه ورحمته ـ قد أسقط الباطن مثلما أسقط الظاهر. فنظرنا إلى ما ينجينا من العذابين جميعاً، ويخلصنا من الشريعتين سريعاً، ويدخلنا

---

[1] **سورة العنكبوت**، آية ٤٥.

[2] **النواصب**: أهل السنة الذين يقولون الشيخين: أبا بكر وعمر.

جنة النعيم التي وعدنا بها وهي ضجة القائم التي جَنّت[1] على سائر الحدود، فعلمنا بأن **الصلاة ــ التي هي لازمة في خمسة أوقات فإن تركها أحدٌ من سائر الناس كافةً ثلاثاً فقد كفر ــ هي صلة قلوبكم** بتوحيد مولانا جلّ ذكره لا شريك له، على يد خمسة حدود: السابق، والتالي، والحد، والفتح، والخيال. وهم موجودون في وقتنا هذا. وهذه هي الصلاة الحقيقية لأن الصلاتين: الظاهر والباطن. ومَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه وهو حيّ، مات موتة جاهلية. وهو معرفة توحيد مولانا جلّ ذكره. وقوله: « حي » يعني دائماً أبداً في كل عصر وزمان. « والفحشاء والمنكر » هما (٢٧ ب) الشريعتان: الظاهر والباطن.

فمن وَحّد مولانا ــ جلّ ذكره ــ ينهاه توحيد مولانا جلّ ذكره عن التفاته إلى ورائه وانتظاره العدم المفقود. وقال « مَنْ ترك الصلاة ثلاثاً متعمداً فقد كفر » ــ يعني توحيد مولانا جلّ ذكره على يد ثلاثة حدود وهم: ذو معة، وذو مصة، والجناح ــ الحاضرون في وقتنا هذا، (وهم) موجودون ظاهرون للموحدين، لا للمشركين. وأنا أبين لكم أشخاصهم مع أشخاص حدودهم وأشخاص « لا إله إلا الله » وأشخاص « الحمد لله ربّ العالمين » في غير هذا الكتاب بتوفيق مولانا جلّ ذكره. وقد قال مولانا المعز، سلام الله على ذكره:

« أنا سابع الأسبوعين، والواقف على البيعتيْن، ولا أسبوع بعدي يعني أني وقفت وحضرتُ على بيعة الناطق والأساس. وسابع أسبوعين هو الظاهر والباطن: دورا الشريعتيْن، ولا أسبوع بعدي، يعني لا يقيم الشريعة بعدي لعليٍ سبعة أخرى. والأمر مردود إلى صاحبه،

[1] جنت = غطت.

وهو مولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، سبحانه وتعالى (٢٨ أ) عما يقول المشـــركون علوّاً كبيراً.

إسقاط الزكاة

تتلوه **الزكاة:**

وقد أسقطها مولانا جلّ ذكره عنكم بالكلية. وقد سمعتم في **مجالس الحكمة الباطنيـــة** بأن الزكاة ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته، والتبري من أعوانه: أبي بكر وعمر، وعثمان. وقد مَنَع مولانا ــ جلّ ذكره ــ عن أذية أحد من النواصب، وقريء بذلك سجلّ على رؤوس الأشهاد بأن لا يلعن أحدٌ أبا بكر وعمر. وقد قرئ في **المجلس** بأن اليمـــين والشـــمال على الناطق والأساس. ثم جاء بعد هذا أيضاً في **المجلس** بأن الطريقتين: اليمـــين والشـــمال مُضلتان، وأن الوسطى هي المنهج، والغاية هي الطريق الوسطى تغنيكم عنها. فبان لنا بـــأن مولانا ــ جلّ ذكره ــ بَطّل باطن الزكاة الذي في عليّ بن أبي طالب، كما بَطّل ظاهرها، وأن الزكاة غيرُ ما أشاروا إليه في المجلس جميعاً، وأنه في الحقيقة **توحيد** مولانـــا جـــلّ ذكـــره، وتزكية قلوبكم وتطهيرها من الحالتين جميعاً، وترك ما كنتم عليه قديماً. وذلك (٢٨ ب) قوله:

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[1] ــ والبر فهو توحيد مولانا جـــلّ ذكـــره. ونفقة ما تحبون: الظاهر والباطن. ومعنى نفقة الشيء: تركـــه، لأن النفقـــة لا ترتجـــع إلـــى صاحبها أبداً.

[1] **سورة آل عمران**، آية ٩٣. ويلاحظ دائماً أنه يورد هذه الآية مع واو العطف قبل لن، و« ما » بدل «مما»، هكذا: « ولن تنالوا... مما تحبون »!

وقال[1] أهل الظاهر الحشوية بأن النفقة ما كان من الدنانير والدراهم وهما جميعاً دليلان على ما قلنا: الناطق والأساس. فمن لم يترك عدم الناطق وازدواج الأساس لم يبلغ إلى توحيد مولانا جلّ ذكره، الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، جلّ ذكره.

إسقاط الصوم

الصوم عند أهل الظاهر. وكافة المسلمين يعتقدون بأن الناطق[2] قال لهم: « صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته »، ويرون في اعتقاداتهم أن من أفطر يوماً واحداً من شهر رمضان، وهو يعتقد أنه قد أخطأ، وجب عليه صوم شهرين وعشرة أيام، كفّارة ذلك اليوم، وإن اعتقد أن إفطاره ذلك اليوم حلالٌ له، فقد هَدَم الصومَ كله. ومولانا ــ جلّ ذكره ــ هدم الصوم بكماله مدة سنين بكثرة بتكذيب هذا الخبر: « صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته »، (٢٩ أ) وأمرنا بالإفطار في ذلك اليوم[3] الذي يعتقد[4] المسلمون كلهم بأنه خاتم الصوم، ولا يقبل منهم الصوم إلاّ بصيامه. ولا يكون في نقض الصوم أعظم من هذا ولا أبين منه لمن نظر وتفكّر وتدبّر.

وباطن الصوم فقد[5] قال فيه الشيوخ بأن الصوم هو **الصمت**،

---

[1] يلاحظ أن الناسخ أو المؤلف يستعمل كثيراً لغة أكلوني البراغيت، فيقول مثلاً: وقالوا أهل الظاهر.
[2] الناطق = محمد (صلعم).
[3] فوقها بالأحمر: أي يوم كان من رمضان.
[4] في المخطوط: يعتقدون.
[5] في المخطوط: قالوا. ونجتزي هنا بهذه الأمثلة، ولا نشير إلى غيرها، فهي قاعدة تكاد تكون عامة في كتابة **رسائل الدروز** كلها.

بقوله لمريم وهي حجة صاحب زمانه: « كلي واشربي وقرّي عيناً »[1] يعني بالأكـل: علـم الظاهر، وبالشرب، علم الباطن، و« قرّي عيناً »: لمزيده، « فإمّا تَرَينّ من البشر أحـداً » ــ يعني أهل الظاهر، « فقولي إني نذرت[2] للرحمن » ــ يعني الإمام، « صوماً »: أي السكوت، « فلن أكلّم اليوم إنسياً » ــ يعني فلن أخاطب أحـداً من أصحاب الشريعة الظاهرة. وقوله[3]: « فمن شهد منكم الشهر فليصمه[4] » ــ يعني عليّاً بن أبي طالب، والشهر ثلاثون يوماً، كذلك لعليّ ثلاثون حداً، فمن عرفه وعرف حدوده وجب عليه السكوت عند سائر العالمين كافـة إلاّ عند إخوانه الثقات. وقد كان قريء في المجالس من أوصاف عليّ بن أبي طالب ما لم تقبلـه قلوب المخالفين. وكان كثير من (٢٩ ب) المعاهدين المنافقين يخرجون من المجلس ويظهرون سائر ما تسمعونه في المجلس للنواصب والإمامية والزيدية والقطعية وغيرهم من المخـالفين. فبان لنا نقض ما كان في المجلس وما وصفه الشيوخ من باطن الصوم وسكوته، وأن مولانـا ــ جلّ ذكره ــ فَطّر الناس في ظاهر الصوم وفَطّرهم في باطنه، وهو بالحقيقة غير الصوميْن المعروفيْن من الشريعتيْن، وهو صيانة قلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره. ولا يصل أحـدٌ إلـى توحيده إلاّ بتمييز ثلاثين حداً ومعرفتهم روحاني وجسماني، وهي: والكلمة، والسابق، والتالي، والجد، والفتح، والخيال، والناطق، والأساس، والمُتم، والحجة، والداعي

---

[1] **سورة مريم**، آية ٢٦.

[2] جاءت الآية الكريمة محرفة في مخطوط ١٤٠٨ عربي بباريس هكذا: « فما ترين أحداً من البشر... فقولي إني نظرت للرحمن » والتحريف من الناسخ قطعاً.

[3] يلاحظ دائماً أنه في **رسائل الدروز** حين تورد آية قرآنية يكتفي بأن يقال: « وقوله »، ولا يقـال: « وقولـه تعالى » مثلاً، أو « قال الله تعالى »، الخ.

[4] **سورة البقرة**، آية ١٨٥.

والأئمة السبعة، والحجج الاثنا عشرية، فصار الجميع ثلاثين حدّاً.

وكذلك مَنْ عرف هؤلاء الحدود وعَرَف رموزاتهم وتلويحاتهم، وعَرَف بأنهم كلّهم عبيدٌ مستخدمون لمولانا جلّ ذكره، وأن مولانا ــ جلّ ذكره ــ مبدعهم ومالكهم ــ منزّه عنهم، وداخل فيهم، خارج منهم، ما منهم أحدٌ إلاّ وفيه من قوله جل سلطانه (٣٠ أ) وهو المنفرد عنهم بذاته سبحانه، ومن وجه آخر أحسن منه وأعلى: بأن التوحيد إذاً عقدة من حساب الجمّل الصغير وجدته اثنين وثلاثين، سواء « ت » أربعة، « و»: ستة، « ح »: ثمانية، «ى»: عشرة، « د »: أربعة. وكذلك الإرادة والمشيئة وهما أعلى الدّرَجُ الخفية، والكلمة والسابق والتالي والجد والفتح والخيال، وسبعة نطقاء، وسبعة أسس، وسبعة أئمة، وثلاثة خلفاء ــ فكملت اثنين وثلاثين حدّاً كاملة.

فعند ذلك أظهر المولى ــ جلّ ذكره ــ حجابه الأعظم، وهو رابع الخلفاء، وهو سعيد بن أحمد. فمن عرف هؤلاء الحدود: روحاني وجسماني، وعرف درجة كل واحد منهم، بأن له توحيد مولانا القائم الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، جلّ ذكره.

إسقاط الحج

قال[1]: « ولله على الناس حجُّ البيت مَنْ استطاع إليه سبيلا ». قال أهل الظاهر عن الناطق[2] إن الحج هو المجيء إلى مكة والوقوف

[1] لاحظ دائماً أنه لا يرد: « قال تعالى »، أو « قال الله تعالى »، الخ. والآية الكريمة من **سورة آل عمران**، الآية ٩٧.
[2] الناطق = محمد (صلعم).

بعرفات وإقامة شروطه. ورأيت بخلاف قوله من دخله كان (٣٠ ب) آمناً »[1] ــ قالوا: الحرم بمكة، والحرم اثنا عشرة ميلاً من كل جانب. وقد شاهدنا في هذا الحرم قتل الأنفس، ونهب الأموال. وداخل الكعبة أيضاً السرقة. وهذا من الخلاف والمحال. وجميع ما يعملون به من شروط الحج فهو ضربٌ من ضروب الجنون: مِنْ كشف الرؤوس، وتعرية الأبدان، ورمي الجمار، والتلبية من غير أن يدعوهم أحدٌ، وهذا من الجنون.

ومولانا ــ جلّ ذكره ــ قد قطع الحج سنين كثيرة وقطع عن الكعبة كسوتها ــ وقطع كسوة الشيء كشفه وهتكه ــ ليُبين للعالم بأن المراد في غيرها، وليس فيها منفعة.

وقال الشيوخ في الباطن بأن الحرم هي **الدعوة**، وهو اثنا عشر ميلاً من كل جانب، وكذلك للدعوة اثنا عشر حجة. والبيت دليلٌ على الناطق، والحجر دليل على الأساس، والطواف به سبعة هو الإقرار به[2] في سبعة أدوار، والوقوف بعرفات: معرفتهم بعلم الناطق. و« منى »: ما كان يتمنى الراغب من الوصول إلى الناطق والأساس وحدودهما، مما يطول الشرح فيه. (٣١ أ) وإشارتهم إلى الناطق والأساس وحدودهما، وأن ابتداء الطواف من عند الحجر الأسود وختمها عنده. كذلك الأساس استقى من الناطق، وإليه سلّم. وقد رأينا مولانا ــ جلّ ذكره ــ بَطّل الحجّ بإظهار محبة أبي بكر وعمر وخمود ذكر علي بن أبي طالب. وقد سمعنا في « المجالس » بأن الشمال على الناطق،

---

[1] **سورة آل عمران**، آية ٩٧، وتمام الآية: « فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ».

[2] فوقها: بالناطق.

واليمين على الأساس. وقد رُوي في « المجالس »: « لا تستقبلوا القبلة » وهو « الإمام » بالبول والغيط: وهو علم الظاهر والباطن. فَنَقَض ما سمعناه في « المجلس ». فعلمنا بأن الحج غير هذا الذي كانوا يعتقدونه ظاهراً وباطناً، كما قال مولانا المنصور:

هَلُمّ أريك البيت: توقن أنه هو البيتُ، بيتُ الله ، لا ما توهمتَ
أبيتٌ من الأحجار أعظم حرمةً أم المصطفى الهادي الذي نصب البيت؟

و« البيت » هو توحيد مولانا — جلّ ذكره — موضع السكنى والمأوى الذي يُطّلب المعبود فيه. كذلك **الموحدون**، أولياء مولانا جلّ ذكره، سكنت أرواحهم فيه. « ورب البيت هو مولانا جلّ ذكره في كل عصر وزمان »، كما قال (٣١ ب): « فليعبدوا رب هذا البيت »[1] — يعني مولانا جلّ ذكره، « الذي أطعمهم من جوع[2] » يعني الظاهر، « وآمنهم من خوف[2] » — يعني خوف الشكوك من الوقوف عند الأساس، كما يزعم المؤمنون المشركون، كما قال: « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون »[3]، لقولهم بأن عليّ بن أبي طالب هو مولانا الحاكم — جلّ ذكره — في عصرنا هذا. فنعود بمولانا — جلّ ذكره — من الشك فيه والشرك به والازدواج معه، سبحانه وتعالى. عن سائر الحدود.

إسقاط الجهاد

الجهاد: وبه قام محمد، وأظهر الإسلام، وجعله فرضاً على سائر المسلمين كافةً.

---

1 **سورة قريش**، آية ٣.
2 **سورة قريش**، آية ٤.
3 **سورة يوسف**، آية ١٠٦.

وقد رفعه مولانا ــ جلّ ذكره ــ عن سائر الذمّة، إذ كانت الذمّة لا تطلب إلا جبـــراً، والمسلمون الجاحدون، والمؤمنون المشركون يقاتلونك في بيتك، وهم أذيّة لأهل التوحيد. وكل جهاد لا يجاهد فيه إمام الزمان فهو مسقوطٌ عن الناس. وما قرئ في « المجلـــس »، وألفـــه الشيوخ في كتبهم بأن الجهاد الباطن هو الجهاد للنواصب الحشوية الغاوية لهم. وقد منع (٣٢ أ) مولانا ــ جلّ ذكره ــ عداوتهم والكلام معهم، فعلمنا بأنه قد نقض باطن الجهاد وظـــاهره، وأن الجهاد الحقيقي هو الطّلبة والجهد في توحيد مولانا جلّ ذكره ومعرفته، ولا يشرك به أحدٌ من سائر الحدود، والتبري من العدم المفقود.

الولاية

قال: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[١] » ــ قال أهل الظاهر وسائر المسلمين كافة بأن **الولاية** لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وكانت في بني أميـــة، ثـــم إنهـــا رجعت إلى بني العباس. وكل واحد منهم إذا جلس في الخلافة كانت ولايتـــه واجبـــةً علـــى المسلمين كافةً. وقد نقضها مولانا ــ جلّ ذكره ــ، وكتب لعنة الأولين والآخرين علـــى كـــل باب، ونبشهم من قبورهم.

وأما باطن الولاية ومعرفة حقيقتها التي جاءت في « المجلس » وكتب الشيوخ[٢] بأنها إظهار محبّة علي بن أبي طالب والبراءة من أعدائه، واستدلوا بقولهم: « اليوم أكملـــت لكـــم دينكم وأتممت عليكم نعمتي[٣] » يعني علم الباطن، « ورضيت لكم الإسلام ديناً »[٣] ــ يعنـــي تسليم

[1] **سورة النساء**، آية ٥٩.
[2] يقصد دائماً شيوخ الإسماعيلية.
[3] **سورة المائدة**، آية ٣.

الأمر إلى عليّ بن أبي طالب. وقد نقضها مولانا ـــ جلّ ذكره ـــ بقراءة سجلّ علـــى رؤوس الأشهاد:

« لا تسجدوا للشمس ولا للقمر[1] »، وهما الناطق والأســـاس، « واســـجدوا لله الـــذي خلقهنّ »[1] ـــ يعني الحجة العظمى الذي هو المشيئة، « إن كنتم إياه تعبدون[1] » ـــ يعني الإمام الأعظم.

والعبادة هي الطاعة ـــ فبان لنا بأنه جلّ ذكره نقض باطن الولاية الذي في علي بـــن أبي طالب وظاهرها. والإمام هو عبد مولانا جلت قدرته ـــ بقوله: « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »[2] ـــ والذي أحصى الأشياء في الإمام هو مولانا جلّ ذكره.

وأما الرتب الظاهرة والباطنة التي كانت للناطق والأساس، فقد جعلها مولانا ـــ جـــلّ ذكره ـــ لعبيده ومماليكه، مثل: ذي الرياستيْن، وذي الكفالتيْن، وذي الجلالتيْن، وذي الفصلتيْن، وذي الحديْن ـــ وأمثال هذا كله، إشارةً إلى معرفته وتوحيده، جلّ ذكره. أراد أن يبين للعاقـــل الفاضل بأن جميع المراتب التي كانت للناطق والأساس (٣٣ أ) قد أعطاها لعبيده، وأنه منـــزه عن الأسماء والصفات. وكل ما يقال فيه من الأسماء، مثل: الإمام، وصاحب الزمان، وأميـــر المؤمنين ومولانا: كلها لعبيده، وهو أعلى وأجلّ مما يقاس أو يحدّ أو يوصف لكن بالمجاز، لا بالحقيقة، ضرورةً لا إثباتاً. نقول: « أمير المؤمنين » جلّ ذكره ـــ من حيث جرت الرســـوم والتراتيب على ألسنة الخاص والعام. ولو قلنا غير هذا لم يعرفوا لمن المعنى والمراد، وتعمى قلوبهم عنه، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو العليّ العظيم.

---

[1] **سورة فصلت**، آية ٣٧.

[2] **سورة يس**، آية ١٢.

فعليكم، معاشر المستجيبين الموحدين لمولانا جلّ ذكره، بمعرفة مولانا وحده لا شريك له، علينا سلامه ورحمته. ثم معرفة حدوده، وطلب وجوده له سبحانه، لا للعدم المفقود الذي معرفته لا تنفع، والامتساك به لا يشفع، لكن العالم قد استمروا على الشرك والضلالة، والعُجب والجهالة، ينظرون وهم لا يبصرون، ويسمعون ولا يَعون، قاتلهم المولى سبحانه، ومن عذابه لا ينفكون. والحمد والشكر (٣٣ ب) لمولانا وحده لا شريك له سبحانه، وسلامه علينا وتحياته لدينا، وبركاته علينا وعلى جميع عباده الصالحين، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لمولانا في السرّاء والضرّاء.

ورفع هذا الكتاب إلى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة ثمان وأربعمائة من الهجرة، وهي أول سنين ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا جلّ ذكره، لا شريك له ولا معبود سواه.

وحسبنا مولانا وحده. قوبل بها وَصحّت ».

* * *

وفي هذه الرسالة البالغة الأهمية نجد:

١ ـــ أن المؤلف، وهو حمزة بن علي بن أحمد، هادي المستجيبين وقائم الزمان، وعبد الحاكم بأمر الله يؤول الشهادتيْن تأويلاً ينتهي منه إلى أن الشهادتيْن تدلان على التوحيد وعلى أئمة الدعوة التوحيدية ولا يقصد بهما ما يقصده أهل السنة، ولا الإسماعيلية، أعني أصحاب التنزيل وأصحاب التأويل، بل المقصود هو معرفة ديانة التوحيد ومراتب أصحاب هذه الديانة. وفي سبيل ذلك أثبت سيادة العدد ٧ في ترتيب

الكون والزمان والكواكب، واعتمد على حساب الجُمّل.

٢ ــ أنه يقول إن الحاكم بأمر الله قد نقض سائر أركان الإسلام: من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد. واعتمد في ذلك على تصرفات الحاكم بأمر الله:

أ ــ فيما يتصل بالصلاة لم يصلّ الحاكم مدة طويلة لا صلاة الجمعة، ولا صلاة الجنازة، ولا صلاة العيدين.

ب ــ وفيما يتعلق بالزكاة: أسقط الحاكم الزكاة عن الناس، وقد وقع ذلك فعلاً في سنة ٤٠٠ هـ.

ح ــ كذلك أسقط الصوم، بعدم مراعاة الأوقات المحددة له والواردة في الخبر المأثور عن النبي: « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ».

د ــ والحج قد أسقطه، وصار له معنى مختلف تماماً عن معناه الظاهر وهو الوقوف بعرفات والسعي والطواف ورمي الجمار، الخ، ــ وعن معناه الباطن وهو أن الحرم هو الدعوة الإسماعيلية. وإنما رب البيت هو الحاكم الذي أطعم أنصاره من جوع، يعني من الظاهر، وآمنهم من خوف، أي من خوف الشكوك من الوقوف عند الأساس.

هـ ــ والجهاد أيضاً ساقط عن الناس، والتفسير الباطن للجهاد عند الإسماعيلية وهو جهاد النواصب الحشوية الغاوية هو أيضاً منقوض، وهكذا نقض الحاكم الجهاد: باطنه وظاهره.

والجهاد الحقيقي عند ديانة التوحيد هو السعي والاجتهاد في توحيد الحاكم ومعرفته وعدم الإشراك، والتبري من العدم المفقود.

٣ ــ وأن **الولاية** لا ينبغي أن تفهم كما هي عند أهل التنزيل بأنها طاعة أولي الأمر من الخلفاء، ولا كما هي عند أهل التأويل وهي إظهار

محبة علي بن أبي طالب والبراءة من أعدائه. بل نقض الحاكم الولاية باطنها وظاهرها، وخلصت له وحده، ثم جعل الحاكمُ الرتبَ الظاهرة والباطنة التي كانت للناطق والأساس — جعلها لعبيده ومماليكه.

٤ — والمؤلف حين يعرض المعاني الباطنة، وهي التأويلات الإسماعيلية يحيل إلى ما يُسمّى باسم « المجالس الباطنية[1] التأويلية » أو « المجالس » أو « المجلس »، أو إلى « كتب الشيوخ »، ويقصد بهم كبار الدعاة مثل المؤيد هبة الدين الشيرازي والكرماني وربما أيضاً القاضي النعمان وولده.

وحمزة يؤكد إذن في هذه الرسالة أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد نسخ شريعة محمد (صلعم).

وهو يؤكد هذا مرة أخرى بصورة صريحة جداً في الرسالة التالية لهاتيك في نفس المجموعة، وهي بعنوان: « **الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق** » (ورقة ٣٣ ب — ٣٨ أ في المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس)، فيقول: « ومولانا الحاكم الباري العلاّم قد نسخ شريعة محمد باكمال: ظاهراً للمؤمنين ذوي الأفضال، وباطناً للموحدين أولي الألباب » (ورقة ٣٤ ب س ١٢ — س ١٣ من المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس). ويشير إلى رسالته السابقة، ويقول: « وقد بيّنتُ لكم في الكتاب المعروف **بالنقض الخفي** نَسْخَ السبع دعائم: ظاهرها وباطنها، وذلك بقوة مولانا جلّ ذكره وتأييده، ولا حول ولا قوة إلاّ به » (المخطوط نفسه، ورقة ٣٥ أ). والسبع دعائم هي: الشهادتان، الصلاة،

[1] في « **الجزء الأول من السبعة أجزاء** » مخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٧٧ ورد: « وذكرت المجالس الباطنية ».

الصوم، الحج، الزكاة، الجهاد، الولاية. كما يشير إلى أن الحاكم بأمر الله أصدر سجلاً أسقط فيه عن الناس « الزكاة والأعشار والأخماس وسائر السدقات (= الصدقات) إلى أبد الآبدين » (المخطوطه نفسه، ورقة ٣٥ ب).

الخصال السبع التوحيدية

ومحل هذه السبع دعائم التكليفية الناموسية التي أسقطها الحاكم، فرض « سبع خصالٍ توحيدية دينية:

أولها وأعظمها: سِدق (= صدق) اللسان،

وثانيها: حفظ الإخوان،

وثالثها: ترك ما كنتم عليه وتعتقدونه من عبادة العدم والبهتان،

ورابعها: البراءة من الأبالسة والطغيان،

وخامسها: التوحيد لمولانا جلّ ذكره في كل عصر وزمان ودهر وأوان،

وسادسها: الرضا بفعله كيفما كان،

وسابعها: التسليم لأمره في السرّ والحدثان[1] ».

ويقول المؤلف ـ حمزة، وتاريخ الرسالة في شهر رمضان سنة ٤٠٨ هـ ـ إن « محمداً بن عبد الله، الناطق السادس، لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها، وسدّ الطرق وقال: فمن لم يترك ما كان عليه

---

[1] « **الرسالة الموسومة ببدء التوحيد لدعوة الحق** »، المخطوط رقم ١٤٠٨ بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٣٦ أ.

قديماً من دين آبائه وأجداده قُتِل وسُمي كافراً، ومَنْ ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت إليها وقع عليه اسم الإسلام، وكان في سَلمه غير مُلام. وضمن لهم محمد الجنة على الدوام »[1]. وكأنـــه يريد من هذا أن يقول إنه كما نسخ محمد (صلعم) الشرائع التي قبله، نسخ الحـــاكم بـــأمر الله الفاطمي شريعة محمد (صلعم).

وقد أسقط الحاكم بأمر الله الباطن كما أسقط الظاهر وجعلهما في الحد سواء. ولهـــذا كان لا بد من شريعة جديدة تخلص من تينك الشريعتيْن اللتيْن أسقطهما. ويشرح الرسالة التي عنوانها: « **الجزء الأول من السبعة أجزاء** » هذا الموقف، فيقول:

« علمنا أنه جلّ ذكره أسقط الباطن مثلما أسقط الظاهر، إذ جعلهما في الحد سواء.

فنظرنا ما ينجّينا من الحالتيْن جميعاً، ويخلّصنا من الشريعتيْن سريعاً، ويـــدخلنا جنـــة النعيم التي هي دعوة القائم، قائم الزمان. فعلمنا أن الصلاة الواجبة علينا وعليكم في خمســـة أوقات هي صلة قلوبنا وقلوبكم بتوحيد مولانا جلّ ذكره، على يد خمســـة حـــدود: الســـابق، والتالي، والجدّ، والفتح، والخيال. وهم معروفون، موجودون في عصرنا هذا. فمن تركها ثلاثاً على يد ثلاث وهم: ذو معة، وذو مصَّة، والجناح ــ فقد كفر وارتدّ وجحد، لأن الجحود للنعم هو الكفر بها.

والفحشاء والمنكر هما الشريعتان: الظاهر، والباطن.

فمن وصل قلبه بتوحيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ ولا معبود سواه ــ نهاه توحيد (٨ ب) مولانا جلّ ذكره عن التفاته إلى الشريعتيْن ونظره

---

[1] **الرسالة المذكورة**، ورقة ٣٤ ب.

إلى ورائه وانتظاره للعدم المفقود الذي لم يصحّ له وجود. فهذه الصلاة الحقيقية التي فرضت عليكم حقاً. وهذا سِدْق (= صدق) اللسان الذي الزمتم به سِدْقاً (= صدقاً).

وأنا أبين لكم الست فرائض التي تتلو سِدْق (= صدق) اللسان، ونقضَ الست دعائم التي تتلو الصلاة ظاهراً وباطناً وإقامة حقيقتها، بتوفيق مولانا جلّ ذكره.

فالحذر الحذر معاشر الإخوان الموحدين، بعد سماع هذه الفرائض التوحيدية، ونقض الدعائم التكليفية الناموسية، أن يتكلم أحد منكم **بالرأي والقياس**، ولا يوقع في نفسه من ظهور مولانا جلّ ذكره ــ الإياس. ولا تظنوا أن الشرائع تمتد على ما مضت به الأدوار والأكوار، ولا تقيم الأسابيع والأعصار، بقدرة مولانا الواحد القهار. فقد قال مولانا المعز: « أنا سابع الأسبوعين، والواقف على البيعتيْن، ولا أسبوع بعدي. » فأعني بالأسبوعين: الشريعتين: الظاهر والباطن، لأن شريعة المهدي سعيد بن أحمد هي سابع (٩ أ) الشرائع الظاهرة، وشريعة أساسه قدّاح التأويلي هي سابع الشرائع الباطنة، وقوله: « الواقف على البيعتين » أعني أنه حضر ووقف على بيعة الناطق والأساس. وقوله: « ولا أسبوع بعدي »: ولا شريعة تتم بعدي، أعني بذلك إظهار محض التوحيد، وهو توحيد مولانا الحاكم جلّ ذكره »[1].

وقد خصصت هذه الرسالة للبديل عن الصلاة، وهو صدق اللسان. إن صدق اللسان هو عندهم الفريضة الأولى التي هي عوضٌ عن الصلاة.

فلنأخذ في تفصيل الخصال التوحيدية السبع:

---

[1] « **الجزء الأول من السبعة أجزاء** » في المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٨ أ ــ ٩ أ. والأجزاء السبعة هي التي يتناول كل واحد منها إحدى الخصال التوحيدية السبع وهذا الجزء الأول يتناول أولاها وهي خصلة صدق اللسان.

أ ــ صدق اللسان

ويؤكد صاحب الرسالة، وهو المقتنى بهاء الدين في أغلب الظن، وإن لم يرد ذكره في نهايتها، أن خصلة صدق اللسان من أهم الخصال، بل أهمها لأن « السّدْق (الصدق) هو التوحيد بكماله، والكذبَ هو الشرك والضلالة. فمن كذب على أخيه، فقد كذب على داعيه. ومن كذب على داعيه، فقد كذب على إمامه. ومن كذب على إمامه فقد كذب على مولانا سبحانه، فيستوجب سَخَطه، كما أنه إذا سدق لأخيه كان أجدر أن يسدق لداعيه، وكذلك أجدر أن يسدق لإمامه ولمولانا سبحانه، فيستوجب إحسانه ونعمه وامتنانه.

واعلموا أن كل من تعوّد لسانه الكذب فقد أشرك بمولانا سبحانه، لأن الكذب دليلٌ على شخص إبليس اللعين، وهو ثلاثة أحرف، وفي حساب الجمّل ستة وعشرون حرفاً:

ك عشرون، **ذ** أربعة، **ب** اثنتان ــ إبليس (٤ أ) وزوجته وأربعة وعشرون أولادهما يقومون مقامهما. فمن والاهما فقد تبرأ من الوليّ وحدود التوحيد. والسدق ثلاثة أحرف: **س** ستون، **د** أربعة، **ق** مائة ــ فذلك مائة وأربعة وستون حرفاً، منها تسعة وتسعون على حد الإمامة، كما قال: « إن لله تسعة وتسعون اسماً مَنْ أحصاها أدخل الجنة » ــ كذلك لقائم الزمان تسعة وتسعون حداً بين يديه من عرفها دخل حقيقية دعوته المستجنّة بأهلها، أعني محيطة بهم. وستون حرفاً دليل على ستين حداً للجناح الأيمن والجناح الأيسر. وأربعة أحرف دليل على أربعة حدود علوية، وهم: ذو معه، وذو مصة، والكلمة والباب. وهم: قائم الزمان، والمجتبى، والرضى، والمصطفى. فذلك مائة وثلاثة وستون حداً. والواحد الذي يبقى دليلٌ على توحيد

مولانا ومعرفة ناسوت المقام. فمن عرف هذه الحدود، المشيرة إلى معرفة المعبود، واستعمل السدْق ــ رقي الدرجات، وفاز بالخيرات، وتبرأ من الضد (٤ ب) والكذب. ومن كذب على أخيه، أو حرف عليه قوله، فقد كذب على مولانا سبحانه، وانسلخ من إيمانه، واستحوذ عليه شيطانه. ومن استعمل ضد ما أمره به إمامه، فقد عظمت خطاياه وآثامه.

فالحذر الحذر معاشر الموحدين، أن تخالف قلوبكم ما تنطق به ألسنتكم لإخوانكم، فإن ذلك يسخط قائم زمانكم، وهو نفس الشرك، وإن الشرك لظلم عظيم.

فقد ثبت أن السّدْق (= الصدق) دليلٌ على معرفة الحدود، وأنه النهج المقصود، والسّنَنُ الأقوم المحمود، وأن الكذب دليلٌ على إبليس، وأنه القول المستفظع المفسود، وهو يؤدي إلى الجحود والإشراك بالمعبود[1]. »

ولكن الغريب هو أن فريضة الصدق هذه لا تقوم إلاّ بالنسبة إلى الأخوان في ديانة التوحيد، وليست واجبة بالنسبة إلى غيرهم! يقول صاحب هذه الرسالة بعد ذلك مباشرة:

« **وليس يلزمكم، أيها الإخوان، أن تسدقوا (= تصدقوا) لسائر الأمة،** أهل الجهل والغُمّة، والعمى والظلمة، وأن لا يراكم فيه شيء لهم. والسدق فهو من نفس الأدب، **وليس لغيركم عليكم فرض، ولا ذلك إلاّ لبعضكم بعضاً.** فمن كذب على أخيه أو كذب له فقد نافقه وشكّ فيه. ولا يجوز الكذب (٥ أ) بين الموحدين،

[1] « **الجزء الأول من السبعة أجزاء** »، المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٣ ب ــ ٤ ب.

لأنه شك في الدين وضعفٌ في اليقين » (**الرسالة نفسها**، المخطوط نفسه، ورقة ٤ ب ـــ ٥ أ).

فالصدق ليس مطلوباً إلاّ بين الإخوان في ديانة التوحيد، وأما بالنسبة إلى من عـداهم فليس الصدق فريضة. بل الكذب مرخص به بالنسبة إلى غير الموحدين، وفـي هـذا يقـول صاحب الرسالة المذكورة: « وإنما رخصّنا بذلك عند الأضداد (٦ أ) إذا كان يؤول أمره إلـى مضرّة، مثل أن يكون أحدكم قد قتل رجلاً من عالم السّواد، فإذا سألوه عن ذلـك جـاز أن لا يسدقهم (يصدقهم) وإلاّ حققوا عليه القتل بإقراره، وأقاموا عليه الشهادة بقلة إنكاره. وما أشـبه ذلك، مثل أن يكون قد أخذ لأحدهم شيئاً، أو غصبه على ريع أو مال، أو كان للضدّ عنده دينٌ بغير وثيقة، أو وديعة بغير بيّنة، وكان مُعْسراً عن وفائه، غير واصل إلى رضائه ـــ يجوز له الإنكار وقلة السّدْق عند الإعسار خيفة من ثبوت البيّنة عليه ومطالبته بما لم تصل يده إليـه. وإنْ كان ذا إيسار، لا فاقة به ولا إعسار، فلا بأس أن يسدقه، لأنه لا ضـرر ولا إضـرار، وليس للحكام من المقدار أن يفسد المعاملة في الدار. وإنما سهّلنا هذه الصورة، إذا دعت إليها الضرورة » (ورقة ٦ أ).

وإذن فالرخصة في الكذب على غير أهـل المـذهب تقـوم إذا دعـت الضـرورة، والضرورة مثل الإفلات من العقاب إذا قتل، أو الإعسار إذا طولب بالدين أو الوديعة ولم يكن ثم بيّنة على ذلك.

أما بالنسبة إلى جمـاعة الأخوان الموحدين فيمـا بينهم وبين بعض فلا يجوز الكذب. « وإذا كان لأحدهم عند أخيه مالٌ وعَلِم إعساره (٦ ب) صبر عليه، وإنْ سأله الزيـادة دفـع إليه. فهذا، مع إعساره لا ينكره، وذاك لعلمه بسِدْقه أبداً يعذره. » (المخطوط نفسه، ورقة ٦ أ ـــ ب).

ب ـــ حفظ الإخوان

ولكن لا نجد بين رسائل الدروز الواصلة إلينا رسالة تتعلق بالجزء الثاني من السبعة أجزاء، ولا بباقي الأجزاء، أعني باقي الخصال التوحيدية، ولا بد من تلمس القول في كل واحدة منها في ثنايا الرسائل كلها.

وفيما يتصل بالخصلة الثانية، وهي حفظ الإخوان، نجد أوسع حديث عنها في رسالة « **التحذير والتنبيه** »، وهي من رسائل حمزة، فهو يقول في آخرها:

« وأوصيكم بحفظ إخوانكم، فإن بحفظهم يكمل إيمانكم. فأجيبوا دعواهم، واقضوا حاجاتهم، واقبلوا معذرتهم، وعادوا من ضامهم، وعودوا مرضاهم، وبرّوا ضعفاءهم، وانصروهم (٧٩ ب) ولا تخذلوهم[١] ».

وأحياناً يرد الأمر بحفظ الأخوان والأخوات، كما في الرسالة الموسومة باسم: « **تقليد لاحق التقليد الأول إلى الشيخ المختار** » حيث يرد: « حفظ الأخوان والأخوات، وهو المنجي من جميع الموبقات[٢] ».

و« **الرسالة الموسومة بالتنبيه والتأنيب والتوبيخ** » تشير إلى أمر ـــ صدر به سجل عن الأمر العالي ـــ بحمل السلاح. ولكن صاحب الرسالة يؤوله تأويلاً روحياً فيقول:

« ألم تؤمروا ـــ في سجلّ مكرم عن الأمر العالي لشريف المعظم ـــ

---

[1] رسالة « **التحذير والتنبيه** » في المخطوط رقم ١٤١٨ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٧٩ أ ـــ ب.
[2] المخطوط رقم ١٤٢٤عربي بباريس ورقة ٣٢ أ.

بحمل السلاح في جميع الأماكن، حرماً للكبير والصغير، والقريب والبعيد، وفي الحرم الأمين؟ ـــ إشارةً إلى إظهار التوحيد، والتصريح بالتسبيح والتمجيد. كما تقدمت الإشارة لكم في زمن التقية والستر، (وهو) مثبت في سطور الحكمة والذكر: مَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، ومن غَلّـــقَ بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن: أي: اصمتوا عن الكلام، واخمـــدوا ســـيف اللسان، إلى أن يؤذن لكم بالإيضاح والتبيان[1] ».

وهذه الرسالة أرسلت إلى معد بن محمد ومن معه بالقاهرة في السنة الرابعة عشرة من سني قائم الزمان حمزة، أي سنة ٤٢٢ هـ، ويغلب على الظن أنها من وضع بهاء الدين، وقـــد أراد أن يؤنب معد بن محمد ومن شايعه لتقصيرهم في حق ديانة التوحيد.

جـ، د ـــ ترك عبادة العدم والبهتان، والبراءة من الأبالسة والطغيان

والمقصود هو ترك سائر المعتقدات والتمسك بعقيدة التوحيد وحدها. فما دامت عقيـــدة التوحيد ناسخة لما سبقها من عقائد وشرائع، فإن على الموحّد أن يطرح سائر العقائد ولا يتعلق إلاّ بعقيدة التوحيد. ولهذا نجد إسماعيل بن محمد التميمي الداعي، صهر حمزة بن علـــي بـــن أحمد، يقول في رسالة « **الشمعة** »:

« كلّ مَنْ ذكر عن نفسه أنه موحّدٌ، وهو متمسك بشيء من الشرع، فقد أبطل وكـــذب في قوله، بل هو ملحد كافر. ومَنْ كان من أهل الباطن تأويلياً وذكر عن نفسه أنه موحّد، فقد

[1] « **التنبيه والتأنيب والتوبيخ** »، في المخطوط رقم ١٤٢٤ ورقة ١٢ أ.

كذب وأبطل في قوله، بل هو مشرك كافرٌ أشرك بمولانا ــ جلّ اسمه ــ وخالفه، لأن الباطن قرين الظاهر... كل من ادعى التوحيد، وهو يقول بالظاهر والباطن، كان كاذباً في قوله[١]. »

وقد بيّنا تفصيلاً من قبل ونحن نشرح « **ميثاق ولي الزمان** » أمر التقية عند الدروز، فليراجعها القارئ هناك (راجع ص ٦٨٨ ــ ٦٩١)، ولا داعي للعود إليها.

هـ ــ توحيد الحاكم

يرى الدروز أن توحيد رب الدار لم ينكشف في زمن من الأزمان إلاّ في وقت ظهور الحاكم. « وإنه لمّا شاء على ظهور[٢] الأشياء أظهر توحيده خاصة لتيــك الصــورة المُســمّاة بالحاكم، لأنه في تيك الصورة قبلَ مواثيقنا، وكشف نفسه سبحانه لقصد التوحيد والعبادة لها.. وكشف الإمام الهادي إلى توحيده، الناطقَ بتقديسه وتمجيده، وكَشَفَ الحدود المطلقية في دعوة التوحيد وإشهارهم بين العالم ومعرفة العالم لهم[٣] ».

وتوحيد الحاكم غاية لا تدرك، ولذا يدركها كل واحد يوحده « من حيث مبلغ عقلــه، وما تنبسط فيه استطاعته، وتتسع فيه همّته وخاطره[٤] ».

والحاكم لا ضد له « لأنه بلا شبه ولا ندّ ولا نظير، والضد (٤٣ ب)

---

[1] رسالة « **الشمعة** » لإسماعيل بن محمد التميمي، في المخطوط رقم ١٤٢٣ عربي بباريس، ورقة ٩٨ ب ــ ٩٩ أ.

[2] كذا في المخطوط رقم ١٤٢٧؛ وفي رقم ١٤٢٤: على ظواهر الأشياء.

[3] « **رسالة بني أبي حمار** » في المخطوط رقم ١٤٢٤ ورقة ٢٨ أ.

[4] « **رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد** » في المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بباريس، ورقة ٤٢ ب.

لا يكون إلا للشكل والمثل. ومولانا سبحانه ــ مُعِلّ علة العلل، جلّ ذكره، وعزّ ــ اسمه، ولا معبود سواه ــ ليس له شبهٌ في الجسمانيين، ولا كفؤٌ في الروحانيين، ولا نظير في النفسانيين، ولا مقاوم له في النورانيين، ولا ضد في الجرمانيين، ولا ناطق بالتكليف[1] يبيّن له، ولا أساس عنيف يعضده وينتمي له. » (**الرسالة نفسها**، المخطوطه نفسه، ورقة ٤٣ أ ــ ب).

ومن توحيده الإيمان بأن الحاكم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وما من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم (**الموضع نفسه**، ورقة ٤٥ أ)، والعلم بأنه « لا يغيب عن العالم نوره وحجابه »[2].

و، ز ــ الرضا بفعله كيفما كان، والتسليم لأمره في السر والحدثان

والوصية الخامسة هي الرضا بفعل الحاكم كيفما كان، وهي أن يرضى بقضاء الحاكم، ويسلم جميع أموره إليه، ويتكل عليه في السرّاء والضراء. وفي **رسالة البلاغ**، نجد حمزة بن علي يقول في هذه الوصية إنه لو طلب الحاكم « من أحدكم أن يقتل ولده، لوجب عليه ذلك بلا إكراه قلبٍ، لأن من فعل شيئاً وهو غير راضٍ، لم يُثَبْ عليه. ومَنْ رضي بأفعاله وسلّم الأمر إليه، ولم يُرَاءِ إمام زمانه، كان من الموحدين الذين لا خوفٌ عليهم من الظاهر، ولا هم يحزنون بشرك الباطن »[3].

---

[1] في المخطوط: يبنى.

[2] رسالة « **كشف الحقائق** » في المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بباريس ورقة ٩٤ ب.

[3] « **رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد إلى كافة الموحدين المتبرئين من التلحيد** »، في المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بباريس، ورقة ٤٨ ب.

وفي « **رسالة النساء الكبيرة** » يرد في مخاطبة النساء الموحّدات: « ألم تسمعن في مجالسكن أن مَنْ صبر على قضاء الله عَبَرَ به قضاءُ الله وهو مأجور، ومَنْ جَزِعَ من قضاء الله عَبَرَ به قضاءُ الله وهو مأثوم. فإذا كان ولا بدّ من عبور قضاء الله عليه ــ رضي أو سَخِطَ ــ فكان الواجب أن يصبر على عبوره فيكون محموداً على ذلك ألم تعلمنّ يا موحدات أنكنّ كتبتنّ على أنفسكنّ وثائق رفعت في ظاهر الأمر لعلاّم السرائر والضمائر تَقُلْنَ فيها بأنكنّ سلّمتنّ أرواحكن وأموالكنّ وأولادكنّ ولحمكنّ ودمكنّ لمولانا الحاكم، سبحانه، راضياتٍ بحكمه عليكنّ؟ أفترى أنّكن أقررتن وأشهدتنّ على أنفسكنّ بما ليس في قلوبكنّ؟ فقد دلّ على أنكنّ أضمرتنّ أنه لا يعلم ما أخفيتن في صدوركنّ. جلّ ثناء المولى وتعس معتقدو ذلك. وإنكن (٤٢ ب) إذا علمتنّ أنه علاّم الغيوب، فيجب عليكنّ ألا تخالفن أنكن سلمتنّ جميع أموركن إلى المولى الكريم. فما اعتراضكنّ فيما حلّ بكنّ؟ وإيّاكنّ أن تظنن بمولاكن ظن السوء، فتدور عليكنّ دائرة السوء. إلا أنه لا يخافن أحدكنّ ذنبه، ولا يرجون إلاّ ربه. ألم ينطق « المجلس » بالثلاث محن حين يقول المؤمن في الأولى[1] هذه مهلكتي، فينجو منها، ثم تأتي المحنة الثانية فيقول: هذه مهلكتي لا محالة، ثم تأتي الثالثة فتكون هنيهَةً؟ وهذا المؤمن الذي يفزع من المحن هم[2] الذين وقع عليهم الإيمان اسماً على المجاز، لا على الحقيقة والمؤمن الحقيقي هو الموحّد. والموحّد الحقيقي فقد سلّم جميع أموره إلى مولاه، فلا يخاف شيئاً من المحن. أليست المحنة الثالثة كانت

[1] في المخطوط: الأدلة.
[2] كذا وكان الأصح أن يقول: هو من الذين...

على النصارى واليهود؟ ألم تعلمن أن اليهود هم المخالفون أهلَ الظاهر، وأن النصارى (٤٣ أ) هم أهل الباطن الواقفون على اللعين صاحب الباطن[1] ».

وإذن فالطاعة والتسليم بقضاء الحاكم والخضوع له في رضا واستسلام ــ هذه أمور واجبة على الموحّدين، مهما كان نوع المحنة التي يصابون بها.

وهذا التسليم لأمره ينبغي أن يكون في السرّ والعلانية.

تأويل غرائب أفعال الحاكم بأمر الله

ويتصل بخصلة الرضا بفعله كيفما كان تأويل الأفعال الشاذة التي صدرت عن الحاكم بأمر الله.

وهنا نجد رسالة قد خُصصت بأكملها لتأويل هذه الأفعال، وهي رسالة عنوانها: « **كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل** ». ولأهميتها البالغة نورد ها هنا نصها[2]:

كتاب فيه حقائق ما يظهر قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ من الهزل وذلك بالتأييد لقائم الزمان، مُظهر الكلمة والبيان على ذكره السلام

الحمد لمولانا وحده وشدّة سلطانه. توكلت على مولانا الباري العلاّم العليّ الأعلى، حاكم الحكام، مَنْ لا يدخل في الخواطر والأوهام، جلّ ذكره عن وصف الواصفين وإدراك الأنام.

[1] « **رسالة النساء الكبيرة** » في المخطوط رقم ١٤١٨ عربي بباريس ورقة ٤٢ أ ــ ٤٣ أ.
[2] بحسب المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٦٢ ــ ٦٤ أ.

بسم الله الرحمن الرحيم ــ صفات عبده الإمام

الحمد والشكر لمولانا ــ جلّ ذكره ــ وبه أستعين في الدين والدنيا وإليه المعاد، الذي يُحْيِي ويميت وهو الحيّ الذي لا يموت، الذي هو في السماء عــالٍ، وفــي الأرض متعــالٍ، حاكماً، عليه توكلت، وبه أستعين، وإليه المصير، وهو المعين. وصلوات مولانا جــلّ ذكــره وسلامُه على الذي اصطفاه من خلقه (٦٢ ب) واختاره من عبيده، وجعلهم الــوارثين لــديار أعدائهم بقوته وسلطانه، الحاكم، القادر، العزيز القاهر، وهو على كل شيءٍ قدير.

أما بعد! معاشر الإخوان الموحّدين، أعانكم المولى على طاعته!

إنه وصل إليّ من بعض الإخوان الموحدين ــ كثّر المولى عددهم، وزكّى أعمــالهم، وحسّن نياتهم ــ رقعةٌ يذكرون فيها ما يتكلم به المارقون من الدين، الجاحدون لحقائق التنزيه، ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الرديّة، وما تميل إليه أديانهم الدنيّة ــ فيما يظهر لهم من أفعال مولانا ــ جلّ ذكره ــ ونطقه، وما يجري قدامه من **الأفعــال** التي فيها حكمةٌ بالغة شتى فما تغني النذر[1]، وتمييز العالم الغبيّ الذين من أعمالهم الهزل، **وأقوالٌ** فيها صعوبة وعَــدْل؟ ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا ــ جلّ ذكره ــ كلها حكمة بالغة، جداً كانت أم هــزلاً، يخــرج حكمته ويظهرها بعد حين. ولو تدبروا ما سمعوه من الأخبار المأثورة عن (٦٣ أ) جعفر[2] بن محمد بن علي بن عبد مناف بن عبد المطلب: « إياكم الشرك بالله والجحود له، بما يختلج

---

[1] إشارة إلى الآية الكريمة: « حكمة بالغة فما تغني النذر » (**سورة القمر**، آية ٥).

[2] أي جعفر الصادق، الإمام السادس عند الشيعة. ويلاحظ الخطأ في الجزء الأخير من النسب، وكان الصواب أن يقول: ... بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف.

في قلوبكم من الشك في أفعاله كيفما كانت. ولا تنكروا على الإمام فعله، ولو رأيتموه راكباً قَصبَة وقد عقد ذيله خلف ثوبه وهو يلعب مع الصبيان بالكعاب، فإن تحت ذلك حكمة بالغة للعالم، وتمييزاً للمظلوم من الظالم. »

فإذا كان هذا القول في جعفر بن محمد، وجعفر وآباؤه وأجداده كلهم عبيدٌ لمولانا جلّ ذكره ــ فكيف أفعال من لا تدركه الأوهام والخواطر بالكلية، وحكمته اللاهوتية التي هي رموزات وإشارات لبطلان النواميس، وهلاك الجواميس، وتمييز الطواويس! فلمولانا الحمدُ على ما أنعم به علينا بعد استحقاق نستحقه عنده، وله الشكر على ما أظهر لنا من قدرته خصوصاً دون سائر العالمين إنعاماً وتفضّلاً. ونسأله العفو والمغفرة بما يجري منّا من (٦٣ ب) قبائح الأعمال وسوء المقال. ونعوذ به من الشرك والضلال، إنه وليّ ذلك والقادر عليه، وهو العليّ المتعال.

ولو نظروا إلى أفعال مولانا ــ جلت قدرته ــ بالعين الحقيقة، وتدبّروا إشاراته بالنور الشعشعاني، لبانت لهم الألوهية والقدرة الأزلية، والسلطان (كذا!) الأبدية، وتخلصوا من شبكة إبليس وجنوده الغويّة، ولتصور لهم حكمةُ ركوب مولانا ــ جلّ ذكره ــ وأفعاله، وعلموا حقيقة المحض في جدّه وهزله، ووقفوا على مراتب حدوده، وما تدل عليه ظواهر أموره، جلّ ذكره وعزّ اسمه ولا معبود سواه.

١ ــ فأول ما أظهر من حكمته ما لم يعرف له في كل عصر وزمان، ودهر وأوان، وهو ما ينكره العامة من أفعال الملوك: من تربية الشّعْر، ولباس الصوف، وركوب الحمار بسروج غير مُحَلاّة لا (من) ذهب ولا فضة. والثلاث خصال معنى واحد في الحقيقة، لأن الشعر دليل على ظواهر التنزيل، والصوف دليل على ظواهر التأويل

والحمد دليل على النطقاء بقوله لمحمد: (٦٤ أ) « يا بُنَيّ أقم الصلاة وآتِ الزكاة، وأمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر... إن ذلك من عزم الأمور. ولا تصعَر خدّك للناس[1] »، « ولا تمش في الأرض مَرَحاً، إنّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً »[2]. كل ذلك كان عند ربك شيئاً محذوراً. وانقُصْ من مشيك واغضض من صوتك، إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير »[3].

والعامّة يروم أن هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده. فكَذَبوا وحرّفوا القول. إنما هو قول السابق، وهو **سلمان**. وإنما سمّى الناطق ولده لحد التعليم والمادة، إذ كان سائر النطقاء والأوصياء أولاد السابق المُبْدَع الأول، وهو **سلمان**، فقال لمحمد: « أقم الصلاة » ــ إشارة إلى توحيد مولانا جلّ ذكره، « وآت الزكاة » ــ يعني: طهّر قلبك لمولانا جلّ ذكره ولحدوده ودعاته، « وأمُرْ بالمعروف » ــ وهو توحيد مولانا جلّ ذكره، « وانْهَ عن المنكر » ــ يعني شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف، « إن ذلك من عزم الأمور »: يعني الحقائق وما فيه (٦٤ ب) من نجاة الأرواح من نطق الناطق، « ولا تصعّر خدّك للناس » ــ وخدُه وجه السابق، وتصعيره: ستره فضيلته، « ولا تمش في الأرض مَرَحاً »: والمرح هو التقصير، واللعب في الدين، والأرض ها هنا هو الجناح الأيمن، والأيمن هو الداعي إلى التوحيد المحض، « إنك لن تخرق الأرضَ » ــ يعني بذلك: لن تقدر على تبطيل دعوة التوحيد، « ولن تبلغ الجبال

---

[1] **سورة لقمان**، آية ١٧ ــ ١٨ وينقص منها: « واصبر على ما أصابك ».

[2] **سورة الإسراء**، آية ٣٧.

[3] **سورة لقمان**، آية ١٩. وربما كان قوله « انقص » تحريفاً من الناسخ، وصوابه: « وقصد » فيكون كما في القرآن الكريم. غير أنها ستكرر بعد ذلك.

طولاً » ــ والجبال هم الحجج الثلاثة الحرم، ورابعهم: السابق الذي يعبده العالم دون الثلاثة. وأجلّهم الحجة العظمى، واسمه في الحقيقة: ذو مَعَةٍ، لأن قلبه وعى التوحيد والقدرة من مولانا جلّ ذكره بلا واسطة بشرية. « وانقص من مشيك »: يعني اخفض من دعوتك في الظـــاهر، الذي هو يمشي في العالم مثل دبيب النملة السوداء على المَسْح الأسود في الليلة الظلماء، وهو الشرك بذاته. مثل النار إذا وقعت في التين، لا يشعر بضوئها إلاّ بعد هلاكه، كــذلك محبــة الشريعة والإصغاء إلى زخرفه[1] والتعلق بناموسه يعمل (٦٥ أ) في الأعضاء ويجــري فــي العروق، كما قال بلسانه وقوة بلَسه وسلطانه ولطافة تجري في العروق مجاري الــدم حتــى يتمكن في القلب ويغري سائر العالمين. وقال الناطق[2]: « مازج حبي دماء أمتي ولحومهم فهم يؤثرونني على الآباء والأمهات ». فرأينا الخبريْن واحداً معناهما. وقد قال في القرآن: « قــل أعوذ برب الناس »[3] ــ ورب الناس ها هنا هو التالي، وهو في عصر محمد: المقداد. « ملِك الناس، إله الناس، من شرّ الوسواس الخنّاس »[4] ــ يعني زخرف الناطق. « الذي يوسوس في صدور الناس »[5]: يعني الدعاة والمأذونين والمكاسرين، حتى يردهم عن توحيد مولانا الحاكم بذاته، المنفرد عن مبدعاته، جلّ ذكره.

« والذات » هو لاهوته الحقيقي، الذي لا يُدْرَك ولا يُحَسّ، سبحانه وتعالى.

---

[1] الأصوب أن يقال: « وزخرفها »، لأن الضمير يعود على الشريعة.
[2] الناطق = محمد (صلعم).
[3] **سورة الناس**، آية ١.
[4] **سورة الناس**، آيات ٢ ــ ٤.
[5] **سورة الناس**، آية ٥.

واغضض من صوت »: يُعنى بذلك اخفض وانقص واستر نطقك بالشريعة.

« إنّ أنكر الأصوات »: يعني الدعوة الظاهرة، « لصوتُ الحمير »: يعني بذلك أشدّ (٦٥ ب) كلامٍ وأفحشه نطقُ الشرائع المذمومة في كل عصر وزمان: فمنهم تظهــر الشــكلية والضدية والجنسية.

فأظهر مولانا ــ جلّ ذكره ــ لبس الصوف وتربية الشعر، وهو دليلٍ على ما ظهــر من استعمال الناموس الظاهر، وتعلق أهل التأويل بعليّ بن أبي طالب وعبادته.

وركوب الحمار دليل على إظهار الحقيقة على شرائع النطقاء.

وأما السروج بلا ذهب ولا فضة فدليل على بطلان الشريعتين: الناطق، والأساس[1].

واستعمال حَلْى الحديد على السروج دليلٌ على إظهار السيف على ســائر أصــحاب الشرائع وبطلانهم.

واستعمال الصحراء في ظاهر الأمر، وخروج مولانا ــ جلّ ذكره ــ في ذلك اليــوم من السرداب إلى البستان، ومن البستان إلى العالم دون سائر الأبواب.

٢ ــ والسرداب والبستان الذي يخرج مولانا ــ جلّ ذكره ــ منهما ليس لأحدٍ إليهمــا وصول، ولا له بهما معرفة، إلاّ أن يكون كمن يخدمهما أو خواصهما. وهو دليل على ابتــداء ظهور مولانا سبحانه بالوحدانية ومباشرته بالصمدانية (٦٦ أ) بالحدّين اللذين كانا خفيّين عن سائر العالمين، إلاّ لمن يعرفهما بالرموز والإشارات، وهما **الإرادة والمشيئة**،

[1] **الأساس** = عليّ بن أبي طالب.

كما قال: « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فسبحان الذي بيده كلّ شيء وإليــه تُرْجعون »[1]. والإرادة هي ذو معة. والمشيئة تاليه، كمـا قال: « وما تشاؤون إلاّ أن يشـاء الله[2] »، فليس يعرفهما إلاّ الموحدون لمولانا جلّ ذكره.

ومن **السرداب** يخرج إلى **البستان**: كذلك العلم يخرج من ذي معة إلــى ذي مَصّــة، الذي هو بمنزلة الجنة، صاحب الأشجار والأنهار. ــ ثم يخرج منها إلى المقس. فأول ما يلقى بستان بَرْجَوَان، وهو المعروف بالحجازي، فلا يدخله ولا يدور حوله في مُضيّه، وهو دليــل على الكلمة الأزلية. ــ ثم يمضي إلى البستان المعروف بالدّكة، وهو دليل على السابق، وهو دّكّة العالم، وعلومهم منه، إذا كانوا لا يعرفون فوقه شيئاً أعلى منه. وهذا البستان، المعروف بالدكة، على شاطئ البحر. وكذلك علم التأويل ممثوله البحر. والمستجيب (٦٦ ب) للعهــد إذا بلغ علم السابق ومعرفته حَسِب أنه قد بلغ الغاية والنهاية في العبادة.

وبستان الدكة، مع جلالته، ملاصقٌ لموضع الفحشاء والمنكر، دون سائر البســاتين: دليل على أن علم السابق واصِلٌ بالنطقاء، الذين هم معــادن النــواميس الفانيــة الحشــوية، والأعمال الفاحشة الدنية.

والمقس دليل على الناطق. وما في المقس من الفحشاء والمنكر دليلٌ على شــريعته. والنساء الفاسدات اللواتي فيه دليل على دُعاة ظواهر شريعته وارتكابهم الشهوات البهيمية في طاعته.

ثم إنه ــ علينا سلامُه ورحمته ــ يخرج إلى **الصناعة** ويدخل من

[1] **سورة يس،** آية ٨٢.
[2] **سورة الإنسان،** آية ٣٠؛ **سورة التكوير،** آية ٢٩.

بابها، ويخرج من الآخر. والصناعة دليلٌ على صاحب الشريعة. والصناعة ممنوعة من دخول العالم فيها والخروج لإضافة الشريعة. فدخول مولانا ــ جلّ ذكره ــ فيها من باب وخروجــه من باب: دليلٌ على تحريم الشريعة وتعطيلها.

ثم إنه ــ علينا سلامه ورحمته ــ يدور حول **البستان** المعروف **بالحجازي**، وهو دليل على الكلمة (٦٧ أ) الأزلية. والدوار حوله بلوغ إلى الكشف بلا سترة تحوط بالدين.

ثم إنه ــ جل وعز سلطانه ــ يبلغ إلى القصور، وهما قصران عظيمان خرابان: دليل على بطلان الشريعة وخرابهما.

ثم إنه ــ علينا سلامه ورحمته ــ يدخل من باب **البستان** المعروف بالمختص، وهــو دليلٌ على التالي، إذّ كان التالي مختصاً بعلمه الأساسي والتأويل. وأكثر العالم يميلــون إليــه، وهو هيولى العالم الجرماني. ومن الشيعة من يعتقد ويعبد التالي. ومن الشيعة من يقول بــأن التالي مولانا. وهذا هو الكفر والشرك. وإنما هو التالي الذي عجز الناس عن معرفته، وهــو الجنة المعروفة **بالمختص**، متصلة بالجنة المعروفة **بالعصّار**. **والعصّار** دليل على الناطق، لأنه يَعْصِر علم التالي فيُخْرِج منه الحقيقة والتوحيد، فيكتمه عن العالم الغبيّ ويُظهر لهم الثفل، وهو الكُسْبُ الذي لا ينتفع به غيرُ البهائم. كذلك البستان المعروف **بالعصار**، وهــو خــراب مــن الفواكه والأشجار والرياحين والأثمار. وبستان **المختص** عامرٌ بالفاكهة (٦٧ ب) والأزهــار، والرياحين والأشجار. ومنه يخرج الماء إلى الحوض الذي تشرب منه البهائم. والمــاء هــو العلم، والحوض هو المادة الجارية من التالي، والدوابُّ هم النطقاء والأسس. كذلك العلم يخرج من التالي إلى الأساس في كل عصر وزمان. والسابق محمدُ

الناطق، ومن الفاتق إلى الراتق، ومن السابق الشهيد إلى الطالب الطارق.

وهذان البستانان بين المسجديْن المعروفيْن **بمسجد تبر، ومسجد رَيْدان.** فمسجد ريدان محاذي بستان العصار. ومسجد تبر محاذي بستان المختص. **ومسجد تبر** دليل على الناطق، والتبر دليل على الذهب والذهب دليل على إذهاب شريعته. وهذا المسجد لم تُصلّ فيه صلاةُ جماعةٍ قط: دليل على أن ليس للناطق ولا لمن تبعه اتصالٌ بالتوحيد. ومسجد ريدان: دليل على حجة الكشف القائم بالسيف والعنف، الداعي إلى التوحيد المنكر عند سائر العالمين، كما نطق عبد مولانا ـــ جلّ ذكره ـــ في القرآن على لسان الناطق السادس: « يوم (٦٨ أ) يَدْعُ الداع إلى شيء نُكُر »[1] ـــ وهو عبادة مولانا جلّ ذكره وتوحيده، الذي أنكره سائر النطقاء والأسس وأئمة الكفر، كما قال عبد مولانا ـــ جلّ ذكره ـــ في كتابه: « قاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا إيمان لهم، لعلهم ينتهون[2] »: أراد لا إيمان لهم بمعرفة مولانا جلّ ذكره. والايمان هو التسديق (= التصديق). وتوحيدُ مولانا ـــ جلّ ذكره ـــ صعب مستصعب، لا يحمله نبيٌّ مرسل، ولا وصيّ مكمل، ولا إمام معدل، ولا مَلَك مفضل، بل يحمله قلب صافٍ لبيب، أو موحّد راغب مستجيب، لا يعبد غير مولانا جلّ ذكره بحقيقة الحقائق، وترك ما كان عليه من الأديان والطرائق. وعبد مولى الأساس والناطق، ومُبْدع التالي والسابق الحاكم على جميع النطقاء والشرائع، المنفرد عن جميع المخلوقات والبدائع، ولكل شيء ضدٌ بين يديه. فبإزاء الباطل، الذي هو جنّة العصار، وهو دليل

---

[1] **سورة القمر**، آية ٦.
[2] **سورة التوبة**، آية ١٢.

على الناطق: حقٌ يُرْفَعَ وهو مسجد ريدان، وهو ذو مَعَةٍ ــ وبإزاء الحق (٦٨ ب) الذي هــو جنة المختص وهو التالي: باطل يطلب فساده، وهو مسجد تبر، وهو الناطق، والمــولى جــلّ ذكره ينصر أولياءه، ويُهْلِك أعداءه، ويُتمّ نوره ولو كره المشركون المتعلقون بعليّ بــن عبــد مناف، والكافرون المتعلقون بالناطق وعدمه.

فريدان خمسة أحرف: دليلٌ على خمسة حدود: النفسانيين، والنورانيين، والروحانيين، والجرمانيين، والجسمانيين. وهو ذو معة العقل الكلي النفساني، وذو مصة: النفس الروحــاني والجناح الرباني. والأيمن: الباب الأعظم، وهو السابق والتالي، معدن العلوم ومنه ابتناؤهــا. فريدان كلمتان: « ري » و« دان ». و« ري » الأشياء وهم الحجــج والــدعاة والمــأذونون والمكاسرون، كما قال عبد مولانا جلّ ذكره: « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »[1]: الأشياء الحقيقة، والدين الأزلي، والتوحيد الأبدي على يد ريدان، يوم الدين، وهو عبد مولانا ومــولى الخلق أجمعين، جلّ ذكره، وعزّ اسمه، ولا معبود سواه. سبحانه جلّ وعلا أن يكون ديان (٦٩ أ) أو سلطان أبو برهانَ أو الله أو الرحمن، إذ كان الكل عبيده في سائر الأدوار، المســتغفرين له في الليالي والأسحار، العابدين له طوعاً وكرهاً في العيان. سبحانه عــن إدراك الأوهــام والخواطر، أو يعرف في الإعلان والسرائر، أو بباطنٍ أو بظاهر، إذ كان لا يــدرك بعــض ناسوته، وقدرة مقام جبروته، وعظم جلال لاهوته.

وما من المساجد مسجد سقطت قُبّته، وهوى المسجد بكماله غيرُ مسجد ريدان. فــأمر مولانا ــ سبحانه وتعالى ــ بإنشاء قُبّته، وزاد

---

[1] **سورة يس**، آية ١٢.

في طوله وعرضه وسُموّه: دليلٌ على هدم الشريعة الظاهرة على يد عبده الساكن فيه[1]، وإنشاء توحيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ فيه بالحقيقة ظاهراً مكشوفاً. وابتداء الشريعة الروحانية في بسيط روحاني توحيدي لاهوتي حاكمي لا يعبدون غيره وحده، ولا يشركون به أحـــداً فـــي الســـرّ والاعلانية[2]. سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علوّاً كبيراً.

٣ ــ ثم إن مولانا ــ علينا سلامه ورحمته ــ ظهر لنا (٦٩ ب) في الناسوت البشرية. ونزوله عن الحمار إلى الأرض، وركوبه آخر محاذي باب المسجد: دليل على تغيير الشريعة، وإثبات التوحيد، وإظهار الشريعة الروحانية على يد عبده **حمزة بن علي بن أحمد** ومملوكـــه هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين، بسيف مولانا وشدّة سلطانه، وحده لا شريك له.

٤ ــ ووقوفه في ظاهر الأمر وحاشاه من الوقوف والسير والجلوس والنوم واليقظـــة، « لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم، لـــه ما في السموات وما في الأرض[3] »: يعني النطقـــاء والأسس، « مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه[3] »: يعني: من ذا الذي يقدر على إطلاق داعٍ أو مأذون إلا بمشيئته، « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم[3] »: يعني من آدم إلى محمد بـــن إســـماعيل، « ولا يحيطون بشيء من علمه[3] »: يعني حجته « إلا بما شـــاء » وهو المشيئة، أعظم الدرجـــات، « وسِعَ كرسيّه السموات والأرض[3] » والكرسي هو التأييد الذي يصل إلى

[1] كان حمزة، كما رأينا، يسكن في جامع ريدان.
[2] كذا في المخطوط.
[3] **سورة البقرة**، آية ٢٥٥، وهي **آية الكرسي**.

الحدود العاليه، « ولا يؤوده حفظهما[1] »: وهما الجناح الأيمن والجناح (٧٠ أ) الأيسر، « وهو العليّ العظيم[1] »: العالي على كل من تقدم ذكره ومن تأخر ممن ينظرهم الشيعة المشركون.

وكان وقوفه عند الميل، والميل دليلٌ على التأييد، إذ كانت الأميال يستدلون بها على الطريق. كذلك التأييد يطرق العبد من المعبود، ويعود إلى الوجود. ونزوله إلى الأرض محاذي باب المسجد: إشارة منه إلى عبد باب حجابه على خلفه، والداعي إليه بتأييده وأمره، إذْ كان التأييد هو الأمر العالي الذي يكون بلا واسطةٍ بشرية. والباب دليل على الحجة.

٥ ــ ونزوله عن الحمار إلى الأرض وركوبه آخر كان في نفس آذان الزوال. وصلاة الزوال دليل على الناطق. وتغيير مولانا ــ جلّ ذكره ــ في نفس الأذان، دليلٌ على إزالة الظاهر. ويكون اعتمادكم من موضع تغييره، وهو يُسمّى المقام المحمود والمشهد الموجود، والمنهل العذب المورود، إلى قصر مولانا الحاكم بذاته، وهو المقام المحمود، محاذي بابَ شريعة روحانية وعلومٍ (٧٠ ب) حاكمية. وأنا أذكرها لكم في غير هذا الكتاب إنْ شاء مولانا، وبه التوفيق في جميع الأمور، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو حسبي ونعم النصير المعين.

٦ ــ ثم إن مولانا ــ علينا سلامه ورحمته ــ لا بد له في كل ركبة من الإعادة إلى البساتين المعروفين بالمقس: دليل على إظهار النشوء الثالث الخارج من الكفر والشرك، وهما الظاهر والباطن، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره.

[1] **سورة البقرة**، آية ٢٥٥، وهي **آية الكرسي**.

٧ ــ ودخوله إلى القصر من الباب الذي يخرج منه، والسرداب بعينه: دليل عن إثبات الأمر، وكشف الطرائق بكَتْبِ الوثائق، ورجوع الأمر إلى ما منه بدأ روحانيةً غير تكليفيــة، ولا ناموسية شيطانية، ولا زخرف هامانية. وأعاذنا المولى وإياكم من الشك فيه، والشرك به بمنّه وفضله. إنّه وليّ ذلك، والقادر عليه.

٨ ــ وأما نزوله في ظاهر الأمر إلى مصر، وما شاهدناه، ففيها تمكّن الشيطان الغويّ ــ لعنه الله ــ من قلوب العامة الحشوية، والعقول السخيفة[1] الشرعية، مما يسمعونه مــن (٧١ أ) ألسُن الركابية قدّام مولانا ــ جلّ ذكره ــ بما يستقر في عقولهم السخيفة[1] من كلام الهــزل والمزاح. ولم يعرفوا أن فيه « حكمة بالغة فما تغني النذر »[2]:

فأول مسيره إلى المشاهد الثلاثة، وليس فيها أذان ولا إقامة ولا صلاة جماعة إلاّ فــي الأوسط الذي هو المنهج الأقوم والطريق الأسلم التي مَنْ سلكها نجا، ومَنْ تخلّف عنها هَلَــك وغَوَى.

٩ ــ ثم إنه ــ علينا سلامه ورحمته ــ يسير إلى راشدة، أيضاً ثلاثة مساجد متفاوتات (في) بنيانها. وأحسن ما فيهم[3] وأعلاهم وأفضلهم: الذي يصلّي الخطيب فيــه يــوم الجمعــة. ويُصلى فيه خمس صلوات على دائم الأيام، وهو الوسطاني، وهو دليل على توحيد مولانا جلّ ذكره وإثبات خمسة حدود علوية فيه: وهو دليل على حجة الكشف. والمسجدان اللــذان معــه متفاوتان في البناء: دليل على الناطق والأساس، وكذلك الناطق في ترتيب حدوده: أفضل من الأساس

[1] في المخطوط: السخفة.
[2] **سورة القمر**، آية ٥.
[3] كذا بضمير المذكر العاقل!

والأساس أعظم شأناً في ترتيب الباطن ورموزه من الناطق في المعقولات (٧١ ب) والبيان. فلما ظهر التوحيد زالت قدرتهما جميعاً. وسميت « راشدة » لأن بمعرفة الحجة وهدايته والأخذ منه يرشد المستجيبون ويبلغون نهاية توحيد مولانا، جلّ ذكره.

١٠ ــ ثم إنه ــ علينا سلامه ورحمته ــ يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الأمر: دليل على التأييد لعبده، وقدّام المسجد عقبة صعبة الصعود لمن يسلكها. وليس إلى القرافة محجة إلاّ على هذه العقبة: دليل على البراءة من الأبالسة، أصحاب الزخرف والناموس، وليس للعالم نجاةٌ إلاّ بالبراءة منهم. كما أن المحجة على هذه العقبة، وهي صعبة مستصعبة لكن فيها افتكاك الرقبة، وهو التخلص من الشريعتيْن: الظاهر والباطن.

١١ ــ أما ما يرونه من وقوفه في الصوفية واستماعه لأغانيهم والنظر إلى رقصهم: فهو دليل على ما استعمل من الشريعة التي هي الزخرف واللهو واللعب. وقد دنا هلاكهم.

١٢ ــ وأما **بئر الزئبق** فهو دليل على الناطق، من فوقه واسع (٧٢ أ) ومن أسفله ضيق، كذلك الشريعة: دخولها سهل واسع، والخروج منها صعب ضيق. لكنّ من يقفز في هذا البئر ويعرف سرّه ويقف على معناه ويريد المولى نجاته ــ خرج من بابه: وهو دليل على أساسه. والوقوع في الشريعة لا بدّ منه حتماً لزاماً[1] لكل أحد، ويخلّص المولى من يشاء برحمته منها، كما قال الناطق في القرآن: « إن منكم إلاّ واردها »: يعني الشريعة، « كان على

---

[1] في المخطوط: لزماً.

ربّك »: يعني السابق « حَتْماً مَّقْضِيّا »[1]. ثم يُنجّي الذين اتقوا من الناطق « ويذر الظالمين »، يعني أهلَ الظاهر، « فيها[2] جثياً »: يعني حيران حزيناً دائماً.

ومَنْ خرج من هذا البئر سالماً أخذ من الحكام ما يستنفع به، كذلك مَنْ كان تحت الشريعة وعلم التأويل ورموزه وتخلّص من شبكتيهما جميعاً وعلم ما يراد منه، وصل إلى التوحيد، واستنفع بدينه ودنياه. ومن قفز فيهما بغير معرفة ولا قوة، وهما السابق والتالي، انكسرت رجلاه واندق عنقه: دليل على أن من انقطع من السابق (٧٢ ب) والتالي اللذين هما الأصلان المحمودان وخالفهما، « خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين[3] ».

١٣ ــ وأما **بئر الحفرة** فهو دليل على الأساس، وهو أشدّ عذاباً من بئر الزئبق وأتعب خروجاً، لأن من اعتقد الظاهر، وهي الشريعة، إذا بلغ الباطن اعتقد أن ليس فوق الأساس شيء، وأنه الغاية والمعبود، فيبقى في العذاب الأبدي، إلى أن يريد المولى نجاته، فيحتاج الداعي (أن) يتعب معه منْ قبل أن يكسره ويجبره ويخرجه مما هو عليه من الكفر والشرك.

١٤ ــ **وأما لعب الركابية بالعصيّ والمقارع قدام مولانا** ــ جلّ ذكره ــ فهو دليلٌ على مكاسرة أهل الشرك والعامة وتشويههم بين العالم وإظهار أديانهم المغاشم، ويكشف زيغهم باستجرائهم على المخاطبة بحضرته.

---

[1] **سورة مريم**، ٧١.

[2] إشارة إلى الآية: « ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً» (**سورة مريم**، آية ٧٢).

[3] **سورة الحج**، آية ١١.

١٥ ــ وأما الصراع فهو دليلٌ على مفاتحة الدعاة بعضهم البعض. وقد كان للعالَم في قتل سويد والحُمَام عبرةٌ لمن اعتبر، ونجاة من الشرك لمن تدبّر، لأنهما كانـــا رئيســـين فـــي الصراع، ولكل واحدٍ منهما عشيرة تحميه (٧٣ أ) وأتباع. وهما دليلان على الناطق والأساس. وقتلهما دليلٌ على تعطيل الشريعتين: التنزيل التأويل، والهوان بالطائفتيْن: أهل الكفر والتلحيد.

١٦ ــ أما ما ذكره الركابية **من ذكر الفروج والأحاليل** فهما دلـــيلانِ علـــى النـــاطق والأساس. وقوله: « اوريني[1] قمرك » يعني اكشف. عن أساسك، وهو موضع يخـــرج منـــه القَذَر، دليلٌ على الشرك فإذا كشف عن أساسه وأخرج قُبُله، أي عبادة أساسه، نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده. ومَنْ شك هلك، كما أن الإنسان إذا لم يَبُل ولا يتغوّط أخذه القولنج فيهلك.

والنار ها هنا علم الحقيقة وتأييده ــ جلّ ذكره ــ فيحرق ما أتت به الشريعتان، كمـــا أنهم يحرقون فروج بعضهم بعضاً بالنار: دليل على احتراق دولتهما وانقضاء مدتهما. وإظهار توحيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ بغير شاكٍّ فيه ولا يُشْرك به لا نـــاطق جســـماني، ولا أســـاس جرماني، ولا سابق روحاني، ولا تالٍ نفساني، ولا يبقى لمنافق جولة، ولا لمُشْرِك دولة. (٧٣ ب) ويكون أولو الأمر منكم وأهل الحساب منكم والمتصرفون في جميـــع الـــدواوين مـــنكم، والعمال منكم. ويكون الموحدون لمولانا ــ جلّ ذكره ــ في نعيم دائم، وإحسان غانمٍ، ومُلْـــك قائم، كما قال عبد مولانا ــ جلّ ذكره، وعزّ اسمه، ولا معبود سواه ــ: « ونزعنا مـــا فـــي صدورهم من

[1] عامية أصلها: أرني. و« **القمر** » كناية عن الدبر. والقبل هو الإحليل، القضيب.

غِلٍ » وهو التنزيل والتأويل، « إخوان »: التوحيد « على سُرُرٍ متقابلين[1] »، يعني مراتب الدين الحقيقية، وهو توحيد مولانا جلّ ذكره والعبادة له وحده لا شريك له. جعلنا المولى ــ جلّ ذكره ــ وإياكم ممن نظر وأبصر وتدبّر وتفكر في أفعال مولانا جلّ ذكره، كما قال: « والذين يتكفرون في خلق السموات والأرض » يعني النطقاء والأسس، « ربنا ما خلقت هذا باطلاً، سبحانك، فقِنا عذاب النار[2] »، يعني حاشاك أن تدعنا في جهالة الظاهر وشِرْك الباطن، وقنا عذاب النار: يعني التخلص من الشريعتيْن جميعاً.

فعليكم ــ معاشر الإخوان الموحدين لمولانا جلّ ذكره، العابدين له وحده دونَ غيره ــ بالحفظ لإخوانكم (٧٤) والتسليم لمولانا جلّ ذكره، والرضا بقضائه في السرّاء والضرّاء ــ تنجوا من عذاب الدين وشقوة الدنيا، بمنّة مولانا وقوّته.

والحمد والشكر لمولانا وحده في السرّاء والضرّاء، وهو حسبنا ونعم النصير المعين. تمت الرسالة بحمد مولانا وحده، قوبل بهما وصحّت ».

* * *

ذلك هو نص هذه الرسالة البالغة الأهمية في تأويل ما كان الحاكم بأمر الله يأتيه من غرائب الأفعال التي أثارت الاستهجان بين الساخطين عليه، وما أكثرهم! مما دفع حمزة بن علي بن أحمد داعيه الأكبر في الديانة الجديدة إلى تلمس تأويلات باطنية لهذه الأفعال. وكما قلنا

[1] **سورة الحجر**، آية ٤٧.
[2] **سورة البقرة**، آية ١٩١.

من قبل (راجع ص ٥٦٥ وما يتلوها) لهذه الرسالة أهمية خاصة فيما يتعلق بتأييد الأخبار المروية في كتب المؤرخين عن أفعال الحاكم الغريبة، إذ فيها تأييد لها وتوكيد، ودليل قاطع على أن هؤلاء المؤرخين لم يفتروا شيئاً ولم ينقلوا إشاعات كاذبة اخترعها خصوم الحاكم وخصوم الدعوة الفاطمية.

وكما لاحظ دي ساسي بحق: « إن إنساناً لم يكن سلوكه غير نسيج من المتناقضات والتهاويل والأفعال الشاذة المضحكة، لم يكن من شأنه أن يصير موضوع احترام وتوقير من جانب الشعوب، وأن يتلقى العبادة ومراسم التجلّه الخليقة بالألوهية. ولو كانت هذه الأعمال قد وقعت في داخل القصر وفي حضرة عدد قليل من المشاهدين، لكان من المحتمل أن يكتفي حمزة بإنكارها، لكنها كانت تتم علانية، وعلى ملأٍ من جميع الرعية، وأحياناً كثيرة بمراسم، كل هذا الأمر يكشف عن جنونه. لهذا اتخذ حمزة الوسيلة الوحيدة التي كان في وسعه التذرع بها، من أجل أن يبرر في نظر المشاهدين، ما كان في سلوك الحاكم من شذوذ مثير. فافترض أن كل هذه الأفعال كانت رموزاً، ولا ينبغي أنْ يُنظر إليها إلاّ على أنها رموز وإشارات تهدف كلها إلى تقرير مذهب الموحدين، وعقائد هذه الديانة وأسرارها، والقضاء على سائر المذاهب الأخرى. وكان يكفل لهذه الوسيلة النجاح أن حمزة كان يأمل في ضمّ الأنصار إليه من بين أتباع التأويل، أي مذهب الباطنية بتأويلاته. فلما كان هؤلاء على علم بجزء كبير من عقائد ديانة التوحيد، وهي عقائد استعارها حمزة من مذهبهم، وأن تعلقهم بعليّ وذريته كان يبث فيهم توقيراً أعمى لبيت فاطمة، فإنه كان من الطبيعي أن يظن بهم أنهم سيكونون أقلّ نفوراً من المذهب الجديد، وإنّ التأويلات التي أراد حمزة من ورائها أن يبرر أفعال

الحاكم المضحكة الجنونية كانت أدعى إلى أن تجد في نفوسهم معارضة أقلّ بقدر ما كانوا متعودين على تأويل كل الأوامر والنواهي الأساسية في الشريعة الإسلامية، وكل الآيات القرآنية، وكل أحاديث الرسول، وحتى أفعال محمد (صلى الله عليه وسلم) والأئمة المنحدرين من صلب عليّ[1] ».

وتكملة لرسالتنا هذه ينبغي أن نورد ما في الرسالة التي عنوانها: « **الجزء الأول من السبعة أجزاء** » والتي أوردنا فصولاً كثيرة منها من قبل ـــ مما يتعلق بموضوع تبرير أفعال الحاكم الغريبة. فصاحب هذه الرسالة يؤول بعض أفعال الحاكم بأمر الله هكذا:

« وتظاهُر مولانا سبحانه قبل غيبته بلباس السواد سبع سنين، وتربية الشعر سبع سنين، وسجن النساء سبع سنين، وركوب الأتان سبع سنين: وكل ذلك إشارة إلى ما نحن فيه، لم يُغيّر لنا سبحانه ما ألفناه لعلمه بقلة إدراكنا لما لم تجرِ به (١٠ أ) العادة، رحمةً منه علينا، وإحساناً إلينا:

١ ـــ فلباس السواد كان إشارة إلى الغيبة، وأن المحنة والظلمة تقيم بعد غيبته سَبْعَ سنين على أوليائه وعباده،

٢ ـــ وتطويل الشعر كان إشارة إلى استتار الإمام، لأن الرأس عندهم بمنزلة الإمام. فلما أشار إلى ذلك، علمنا أن الإمام يستتر سَبْع سنين،

٣ ـــ وسجن النساء كان إشارة إلى إسكات الحدود. ومن ذلك

[1] Silvestre de Sacy : *Exposé de la religion des Druzes, tiré des livres religieux de cette secte, et précédé d'une introduction et de la vie du Khalife Hakem* – Biamr – Allah. Tome I, p. 165-167, Paris 1838.

أن الأربع الحُرَم تعرف بحُرَم الإمام. وكل شيء أشار لنا به وجدناه ولقيناه،

٤ ــ وركوب الأتان فقد جمع به مطلوبات العالم لو علموا مطلوبهم، لأن اليهود ينتظرون مطلوبهم يأتيهم على أتان، والنصارى ينتظرون مطلوبهم[1] في الصورة التي غاب فيها مولانا سبحانه فظهر للجميع ولم يعرفوه. وفي ركوب الأتان من الإشارات ما يقنع سائر الفرق. والفرج بمشيئته قريب، وقد مضى من المحنة أكثرها وبقي أيسرها » (المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس، ورقة ٩ ب ــ ١٠ أ).

« وحُرَم الإمام » المذكورة في رقم ٣ يقصد بها الحدود الأربعة الذين يأتون بعد العقل وهي: النفس، الكلمة، السابق، التالي. ويطلق على كل واحد لقب « حُرْمة » أي زوجة، على أساس أن كل حد هو بمثابة زوجة بالنسبة إلى من يسبقه، على سبيل المجاز طبعاً.

كذلك نجد في « **الرسالة الموسومة بالتنبيه والتأنيب والتوبيخ** » ــ تأويلات أخرى لتصرفات الحاكم بأمر الله، نذكر منها:

١ ــ ما صدر منه من الأمر العالي بوقوف الكافة على فرد الجانب الأيمن في وقت السلام (في المخطوط رقم ١٤٢٤، ورقة ١٦ أ)،

٢ ــ ما أمر به من جعل عدد الأسطر فردياً لا زوجياً في رقاع

---

[1] أي المسيح الذي بشر بمجيئه في **سفر زخريا** حيث ورد: « افرحن بكل قواكن يا بنات صهيون! وأطلقن صيحات السرور يا بنت أورشليم! ها هو ذا ملكك قد أقبل إليك: إنه عادل ومنتصر! متواضع وراكب على أتان، على جحش، هو ولد أتانه » (إصحاح ٩ جملة ٩). والمسيح عيسى ابن مريم قد ركب أتاناً، في يوم أحد السعف لما دخل القدس، كما ورد في **سفر متى** (إصحاح ٢١ عبارة رقم ٥) « قولوا لبنت صهيون: ها هو ذا ملكك قد أقبل عليك: هو متواضع، يركب اتانه وجحشاً هو ولد دابة حمل ».

الحوائج التي ترفع إليه، **(نفس الموضع)**،

٣ ــ ما أمر به من جعل العطايا من بيوت المال عددها فردياً **(الموضع نفسه)**،

٤ ــ جعل من يدخل « إلى الحضرة المقدسة وما يظهر من النساء والرجال » فردياً،

٥ ــ جعل الأقوال والأفعال فردية العدد،

٦ ــ أصدر أمراً برفع « المعجم من الكتّاب والحُسّاب » **(الموضع نفســـه)**. فصاحب الرسالة يؤول هذه القرارات أو التعليمات الستة بأنها « دلالة على الإفصـــاح بتوحيـــد الإلـــه الرحمن » **(الموضع نفسه)**، وكلها « دلائل على التوحيد، وإشارة إلى تنزيه الحكيم الحميد » **(الموضع نفسه)**. فهذا الأمر باستعمال الفرد لا الزوج في كل شيء تأويلـــه إبـــراز التوحيـــد والواحد فرد لا زوج.

٧ ــ ابطاله الخطبة بالجامع الأزهر وقطع الحجر والنحر في يوم عيد الأضحى يفسره صاحب الرسالة بأنه « استئناف دور جديد، وإعلان الكلمة إلى التوحيد » **(المخطوط نفســـه، ورقة ١٦ ب)**.

موقف الدروز من المسيحية

وهنا لا بد أن نشرح موقف الحاكم، وديانة التوحيد بعامة، من المسيحية.

يبدو موقف الحاكم وديانة التوحيد بعامّة من المسيحية في الرسائل التوحيدية التالية:

١ ــ رسالة « **خبر اليهود والنصــارى** » (المخطوط رقم ١٤٠٨ بباريس ورقة ١٠ أ ــ ١٨ ب).

٢ ــ « **الرســالة الموسومة بالمسيحية، وأم القلائــد النّســكية، وقامعــة العقائــد الشركية** » (المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس ورقـــة ٦٩ أ ــ ٨١ ب).

٣ ــ « **الرسالة الموسومة بالقسطنطينية، المنْفَذة إلى قسطنطين متملّك النصرانية** » (المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٥٥ ب ــ ٦٩ أ).

١ ــ والرسالة الأولى تذكر أن بعض أهل الذمة وقفوا بين يدي الحاكم وهو بالقرافـــة (مقبرة القاهرة) في مقابر تُعرف بقباب الطير، وقالوا إنهم يهود ونصارى ويريدون أن يسألوه عن مسائل في الدين،

ولكنهم خائفون منه، فأمّنهم فقالوا له:

« أنت تعلم أن صاحب الشريعة، الذي هو محمد بن عبد الله، الرسول المبعوث إلى العرب، الذي لهجرته كذا وكذا سنة ــ وذكروا (١١ ب) عدد السنين التي لهجرته إلى تلك السنة التي خاطبوه فيها ــ إنه حين بُعِث إلى العرب، وجاهد سائر الأمم، لم يسُمنا الدخول في شريعته إلاّ إن اخترنا ذلك بلا إكراهٍ، أو أداء الجزية، ولم يكلفنا إلا هذا[1]. وكذلك كل واحدٍ من أئمة دينه وخُلَفاء مذهبه ومتفقهي شريعته، لم يَسُمْنا ما سُمْتنا أنت إياه: مِنْ هدم بيعنا وأديارنا، وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص، حتى إنك أبحْتَ التوراة والإنجيل يُشد فيها الدلوك[2] والصابون، وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة. وقد أخبر صاحبُ الملة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه أن التوراة فيها حكمة الله.[3] ثم إنه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم أمر رسلنا والأفاضل من أتباعهم، مثلما هو موجود في كتبنا. وأكثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى ويوشع وإسماعيل (١٢ أ) واسحق ويعقوب ويوسف وزكريا ويُحَنّا. وهؤلاء كلهم أنبياؤنا وأئمة شرائعنا. ومثل ما ذكر الفضلاء منا، مثل بقايا موسى وحواريّ عيسى. وما حكاه أيضاً في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قُسُسنا ورهباننا بقوله: « إن منهم قسّيسينَ ورهباناً[4] »، « وإذا سمعوا

---

[1] أي أداء الجزية إذا أرادوا البقاء على ديانتهم.

[2] **الدلوك:** الأدهان أو المراهم.

[3] **الرسالة الموسومة بالتعقب أو الانتقاد، لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد** (المخطوط رقم ١٤٢٤ « ورقة » ٨١ ب ــ ٩٢ ب).

[4] **سورة المائدة**، آية ٨٢، وقد وردت في المخطوط محرفة هكذا: إن فيهم قسساً ورهباناً.

ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق[1] » ولو استقصينا كلّ ما جاء في الكتاب المنزّل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا، لكان أكثر ما نزل عليه في هذا المعنى. ثم قد كان من خلفاء الملة وأئمة الشريعة من المحمودين: آبائك، والمذمومين: أعدائهم وأعدائك، مثل بني أمية وبني العباس من عتا في الأرض وملكها طولاً وعرضاً، مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم، وكل يخطب لهم في كل بقعة بلغت إليها دعوة رسولهم وصاحب شريعتهم ـ ولم يحدثوا علينا رسماً، ولا نقضوا لنا شرطاً، اقتداءً (١٢ ب) منهم بصاحب ملتهم وشريعتهم ولعلمهم بتفضيل رسلنا وتعظيم كتبنا وملتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبيهم. فمن أين جاز لك أنت يا أمير المؤمنين أن تتعدّى حكم صاحب الملة والشريعة، وفعل الخلفاء والأئمة، الذين ملكوا قبلك البلاد والأمة؟! وليس أنت صاحب الشريعة، بل أنت أحد أئمة صاحب الشريعة وأحد خلفائه والقائم في شريعته لتتمّها وتشُدّ أركانها، وبنيانها، وبذلك نطقت في كلامٍ في غير موضع من مواقفك التي خاطبت بها، وأشْهَرَ ذلك عنك أقربُ الناس إليك من أوليائك، وأنت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق معنا ولا أحد من أئمته وخلفائه كما ذكرناه. وهذه حاجتنا التي سألناها وأمرُنا الذي قصدناه وطلبنا الأمان عليه، ونريد الجواب عنه، فإن يكن حقاً وعدلاً آمنّا به وسَدّقناه (= صدقناه)، وإنْ يكن متعلقاً بالملك والدولة والسلطان بقينا على أدياننا غير شاكّين في مذاهبنا وأزلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من أهل ملتنا. وما جئناك إلاّ مستفهمين غير شاكّين في عدلك ورحمتك وإنصافك. وعلى هذا أخذنا أمانك، وقد قلنا الذي عندنا وأخرجناه من أعناقنا، وكما تقتضيه أدياننا

[1] **سورة المائدة**، آية ٨٣.

والأمر إليك: فإنْ تَقُل لنا سمعنا وأطعنا وأجبنا. وإنْ أذنت لنا ولم تَقل، انصرفنا. ونحن آمنون بأمانك الذي آمنتنا.

فقال عليه السلام: أما الأمان فباق عليكم. وأما سؤالكم فما سألتم إلاّ عمّا يجب لمـــثلكم أن يسأل عن مثله. وأما نحن فنجيبكم إن شاء الله. ولكن امضوا وعودوا إلى حالنا ليلة غـــد، وليأت كل واحد منكم ــ يعني من اليهود والنصارى ــ بأفقَهِ مَنْ يقدر عليه من أهل ملته في هذا البلد، ليكون الجواب لهم والكلام معهم.

ولما كان في ليلةِ غدٍ حضر القوم في المكان بعينه، ووقفوا وسلّموا وقالوا: « قد (١٣ ب) أتينا بمن طلبه أمير المؤمنين منا ». وقدّموا أحد عشر رجلاً، ومن قبلُ سبعة.

فقال لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لهؤلاء أخذتم ولهم قدّمتم.

قالوا بأجمعهم: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال للنفر: وأنتم رضيتم أن تكونوا متكلمين عن أهل ملّتكم نائبين عنهم؟

قالوا: نعم!

قال: فهل تعلمون في هذه البلدة منْ أهل ملّتكم مَنْ هو أفقهُ منكم؟

قالوا: لا!

قال عليه السلام: وأنتم تحفظون التوراة والإنجيل وأخبار الأنبياء؟

قالوا: نعم!

قال عليه السلام: عارفون بمبعث صاحب الشريعة الذي أنا قائمٌ بملّتــه، وذابٌّ عــن شريعته، وسيرته وأخباره وما جرى بينه وبين رؤساء ملتكم ومتقدميكم من اليهود والنصارى: من الجدل والمسائل والاحتجاجات، ومَنْ سلّم لأمره منهم، ومَنْ لم يُسلّم، من مبعثه إلى حــين وفاته؟

قالوا: لم نحط بذلك كله، بل أحطنا بأكثره، مما يلزمنا حفظه وعلمه (١٤ أ) مما جرى بينه وبين علمائنا تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا. وذلك عندنا محفوظ مــدوّن مكتــوب تتوارثــه أحبارنا وأحبارٌ عن الأولين من قبْلنا حتى وصل ذلك إلينا، ويتصل ذلك بغيرنا كما وصل إلينا، إلى أن يرث الله الأرضَ ومَنْ عليها.

قال عليه السلام: إن أصحابكم سألوني البارحة عن سؤال، بعد أن أخذوا أماني علــى نفوسهم، ووعدتهم[1] أن أجيبهم عن سؤالهم إذا حضر علماؤهم. وقد حضرتم واعترفــوا لكــم بالعلم والفضل وسدّقتموهم أنتم على ذلك واعترفتم عندي به لما قلتُ لكم: أتعرفون في هــذه البلدة من هو أعلمُ منكم من أهل ملتكم بأخبار صاحب شريعة الإسلام ونسبه وشيعته وعلمــه وشريعته، قلتم: لا وأنا أسألكم وفي آخر السؤال أجيبكم وأخبركم بما سألني عنــه أصــحابكم. وأماني فباقٍ عليكم وعليهم، على شرط وهو أني كلما سألتكم عن شــيء يقتضــيه (١٤ ب) مذهبكم وشريعتكم ومذهب صاحب ملّة الإسلام وشريعته فتجيبوني عنه بما هو مــأثور فــي كتبكم المنزلة على أنبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم وأحباركم. وما لم يكن عنــدكم ولا تعرفونه ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسل، فرُدوا عليّ وادفعوه

[1] في المخطوط: وأوعدتهم.

بحججكم التي عسى أن تدفعوا بها سواي وما عرفتموه وفهمتموه، فلا تنكروني إياه لقيام الحجة عليكم به وفيه.

قالوا: نعم!

قال لهم: إنْ سدقتم (= صدقتم) فأماني يعمّكم، وإنْ كذبتم انفسخ أماني عنكم، وعاقبْتُكم، وكانت عقوبتكم جزاءً لكذبكم. أرضيتم؟

قالوا: نعم!

قال: أبلغكم أنه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الإسلام، أتاه رؤساء شريعتكم وعلماؤكم من الملتين: اليهود والنصارى، وهم فلان وفلان وفلان ــ وسمّى لهم رجالاً من أحبارهم ورهبانهم ــ وأمسك.

فقالوا: (١٥ أ) نعم يا أمير المؤمنين، وفلان وفلان، وفلان، وسَمّوا له بقية أسماء الرجال حتى أتوا على آخرهم.

قال عليه السلام: قد صحّ عندي أنكم سدقتم (= صدقتم) لما أتممتم أسماءَ الرجال الباقين الذين بدأت أنا بذكرهم. أفي ذلك عندكم شك تشكون فيه أو ريبةً ترتابون بها؟

قالوا: لا.

قال لهم: لما استحضرهم، وما قال لهم؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين، فمنه القول ونحن سامعون. فما عرفناه أقررنا به وسلّمنا فيه، وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرناه لأمير المؤمنين.

قال عليه السلام: قال لهم صاحب الملة والشريعة: أم تكونوا

منتظرين لزماني، متوقعين لشخصي، وترجون الفرج مع ظهوري؟ فلمّا أن ظهرت فيكم وأعلنتُ دعوتي وشهرتُ أمر ربي، كذبتموني وجحدتموني، ونافقتم عليّ: فطائفة منكم قاتلوني، وطائفة منكم رحلوا من جواري حَسَداً لي وبغضة، حسبما تفعله الأمم الباغية في الأزمان المتقدمة، إذا (١٥ ب) ظهر مثلي: سُنّةٌ استنّها الظالمون، أولهم إبليس اللعين مع آدم الكريم. فهل كان ذلك منه إليهم؟

قالوا: نعم.

قال: فإذا علمتم أن ذلك كان منه، فما كان جوابهم له عن ذلك بعد استماعهم كلامَه؟

قالوا: قد قلنا أوْلى لأمير المؤمنين أن يقول، ولنا أن نسمع، ونحن محمولون على الشرط الأول الذي شرطه أمير المؤمنين علينا: أنّ ما عرفناه أقررنا به، وما لم نعرفه أنكرناه، فنربح بذلك سلامة أدياننا بالتسديق (= التصديق) بالحق، وسلامة أنفسنا من القتل بالتزام الشرط.

قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابهم أنهم قالوا: ما أنت الذي كنا منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه، ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره.

قال لهم: ما لديكم على صحة ذلك أنّى ما أنا هو؟[1]

قالوا: ما هو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشّرت به أنبياؤنا لأممهم.

قال لهم: ما هو؟ بيّنوه.

---

[1] أيْ: ما دليلكم على أنني لست ذلك الذي تنتظرون زمانه وتتوقعون شخصه؟

قالوا ثلاث (١٦ أ) خصال: إحداها ليس اسمه كاسمك، وقد نطق بذلك لسانك في نبوّتك، وجهرت به لأصحابك، وجعلت ذلك فضيلة لك. فمنه أخذناك لما قُلْتَ ما حكيته عن المسيح: « ومبشّراً برسول يأتي بعدي اسمه أحمد[1] »، يحلّل لكم الطيّبات، ويحرّم عليكم الخبائث، ويضع عنكم إصْركم والأغلال التي كانت عليكم[2]. فهو كما قلنا: ما أنت المسمى، إذ اسمك محمد، والذي بشرت به ــ باتفاقٍ منا ومنك ــ اسمه أحمد.

والثانية: مدته، قد بقي لها أربعمائة سنة من يوم مبعثك إلى حين ظهور هذا المنتظر، فقد خالفته أيضاً في الاسم والمدّة.

والثالثة: المنتظر إنما يدعو إلى توحيد ربه، بلا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفةٍ تلحق نفوسنا، حسب ما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ووضعه عنا إصرنا[3] والأغلال التي كانت علينا. فأي حجة بَقِيَتْ لك علينا، وليس اسمُك اسمَ من يُنْتَظَر، بقولك، ولا فعلك فعله، ولا المدة (١٦ ب) مدتَه؟ فقد خالفته كما قلنا في الاسم، والمُدّة، والفعل.

وإذا كنت إنما تدعونا إلى شريعةٍ فبقاؤنا في شريعتنا أثر وخيرٌ لنا.

وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفيات وانقضاء الشرور، ورفع المصائب

---

[1] **سورة الصف**، آية ٦.

[2] إشارة إلى الآية: « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » (**سورة الأعراف**، آية ١٥٧). وفي المخطوط: عنكم ضركم.

[3] في المخطوط: ضرنا.

والشكوك، وأن لا يتجاوزه في عصره كافر ولا منافق. وأنت أكثرُ أصحابك يظهرون النفاق عليك، وإنما بغلبة سيفك عليهم سلّموا لأمرك وإذا كان ذلك كذلك، فلِمَ تلومنا على قتالك وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك؟

ثم قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أكذا كان؟

قالوا: نعم كذلك كان، وكل قولك حقٌ وسِدْق.

قال: فما كان جوابه لهم عن هذا الكلام؟

قالوا: يقول أمير المؤمنين حسبما جرت به العادة، ونسمع ونقرن بالجواب إذا عَلِمناه، وننكره إذا جهلناه.

قال لهم عليه السلام: أمّا إذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك أنكم تعرفون صفة الحال كما جرت، إن شاء الله.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان جوابه لهم: لا (١٧ أ) أقاتلكم على الدخول في ملّتي ولتكذيبي والصدوف عن أمري، لأنكم أصحاب شرائع وكتب، ومتمسكون بأمرها ناطقون. وليس أقاتل من هذه صفته، ولا أنا رافع الشرائع، ولا ذلك كله إليّ، بل كلما ملكتُ بلداً بسيفي ممن فيه عبدة الأوثان والتنادُر فلي أن ألزمهم الدخول في ملّتي وأقتلهم. ومَنْ كان في البلدة منكم عرضت عليه إما بالدخول في مِلّتي واتباع أمري وشريعتي، أو أداء الجزية. فإذا كره الوطن الذي ملكته وبسيفي فتحته: فمن وَزَن الجزية منهم أقررته في مكانه، ومَنْ انتقل عني تركته. ومَنْ قاتلني منهم على مثل ذلك قاتلته، وانتظرت فيكم حكم ربي.

قالوا: لك ذلك، فما قلت إلاّ حقاً، ولا نرى منك إلا سدقاً.

قال لهم: إذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأوّلتم عليّ، ورفعتم منزلتي وفضلي الذي قد أتاني[1] من عند ربي، وزعمتم أن الذي تنتظرونه له اسمٌ تعرفونه، وفعــلٌ تعلمونــه، ومــدة تنتظرونها، وهي من (١٧ ب) مبعثي إلى حين ظهور هذا المنتظر بقي له أربعمائة ســنة ــ فاكتبوا بيني وبينكم مواصفةً تتضمن كلّ ذلكَ وذكره. وعلى أنكم تدفعون إليّ الجزية طول تلك المدة التي ذكرتم أن المبعوث إليكم فيها يأتي غيري. فإن كنت من جملة المخترصين الكذابين فأنتم تُكْفَوْن مؤنتي، ويرجع إليكم المُلْك إذا ظهر من تنتظرونه. وإنْ لم يظهر ومدتي قائمــة، وشريعتي ماضية، وحكمي لازم، ولم يأتكم في هذه المدة من تنتظرونه، فلصاحب ملّتي والقائم بدعوتي، والإمام الذي يكون في ذلك العصر أن يدعوكم إلى ما دعوتكم إليــه اليــوم. فــإن اجبتموه وسلمتم لأمره ودخلتم في شريعتي وطاعته فقد سَلِمْتُم وسَلّمتم. وإن أبيتم عليه كما أبيتم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم، فله أن يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه على أنفسكم ويقــابلكم: فإن قاتلتموه قتلكم ولا يقبل لكم عذراً ويستبيح مِلّتكم ويهدم شريعتكم بهدمــه (١٨ أ) لِبــيعَكم، ويعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحتجون به ولا مَحال تركنون إليه، ولا إبليس تعوّلون عليه، وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين. فهذا نص المواصفة. أهكذا هو؟

قالوا: نعم!

قال أمير المؤمنين: والمواصفة لم تزل تنتقل من بعد صاحب الشريعة والملّــة مــن وصيّ سادق إلى إمام فاضل، حتى وصلت إليّ وهي عندي

---

[1] في المخطوط: أقاني.

فلم يكن له عليه السلام أن ينقض شرطاً أسّسه وحكماً بيّنه، وهو معروف وقت أن نشـأ فـي الجاهلية محمد الأمين. فكيف ينقضي ما أنعم به عليكم، ولم يُجز لأحدٍ من أئمة دينه وخلفـاء شريعته أن ينقضي ما أمر به من قبل انقضاء المدة، اتباعاً وتسليماً لحكمه. فلما وصل الأمـرُ إليّ، وانقضت تلك السنون المذكورة في المواصفة في عصري، وعند تمامها أمـري أخـذتُ منكم بحقّه، ودعوتكم إلى شرطكم وشرطه، حسبما تقتضيه الأمانة وحكم المعاهـدة. (١٨ ب) أكذلك بلغكم أنه صفة الحال؟

قالوا: نعم! كذلك كان.

قال: فأي حجة بقيت لكم عليه وعليّ بعد ما أوضحناه؟ وأيّ أمرٍ تعديت فيه، بزعمكم، عليكم إذا كنت بشرطكم أخذتكم، وما كنتم تنتظرونه أقمته عليكم؟ وقد أوسعتكم حلماً وعـدلاً، إن أبقيتُ نفوسكم على أجسامكم، ونعمكم عليكم إمهالاً لتنتبهوا بعـد الغفلـة، وتسـلّموا بعـد المعاهدة. فأي حجة لكم بعد ما وصفناه؟ وأي حق معكم بعد ما قلناه؟ وأيّ عذر يقوم لكم بعـد ما شرحناه؟ قولوا واسألوا تجابوا وتُنْصَفوا، ولا يكـون لكـم قـولٌ ولا حُجـة. فانصـرفوا محجوجين كاذبين نادمين شاكّين خائبين.

فقال: ماذا تقولون؟

قالوا بأجمعهم: هذا والله كلّه حق وسِدْق لا نشك فيه ولا نرتاب به. قد سمعنا لو فهمنا. ولله الحجة البالغة رب العالمين، وصلى الله على نبيّه وآله الطاهرين.

ثم الكلام في هذا الفصل. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله

وحده، وبه أستعين[1] ».

* * *

وواضح أن هذه الرسالة قصد بها إلى تبرير موقف الحاكم من اليهود والنصارى: من هدم بيعهم وكنائسهم وإجراء ألوان من الاضطهاد عليهم، كما بيّناه تفصيلاً من قبل (راجع ص ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦١).

ويرى دي ساسي[2] أن هذه المناظرة بين الحاكم من ناحية وعلماء اليهود والنصارى من ناحية أخرى قد حدثت بالضرورة بعد سنة ٤٠٠ هـ، ويعتقد أنه لا يمكن أن تكون قد حدثت بعد سنة ٤٠٤ هـ، إذ أن الحاكم قد سمح في سنة ٤٠٤ هـ لليهود والنصارى الذين لا يريدون الخضوع لقوانينه ولا اعتناق الإسلام أن يرحلوا إلى بلاد الروم ليخلصوا من اضطهاداته لهم.

غير أننا نشك في أن تكون المناظرة قد وقعت على هذا النحو وذلك للأسباب التالية:

١ ــ من غير المعقول أن يسلم النصارى واليهود بأن المدّة هي ٤٠٠ سنة الباقية على مجيء المسيح أو المنتظر، إذ هذه المدة معناها تماماً أن المقصود هو الحاكم بأمر الله نفسه، الذي قام باضطهاد اليهود والنصارى ابتداءً من سنة ٤٠٠ هـ. فواضح أن تحديد المدة على هذا النحو مصنوع.

٢ ــ لا نعرف من أي مصدر من المصادر عن مناقشات النبي محمد (صلعم) مع النصارى أنها جرت على هذا النحو المذكور في هذه

[1] المخطوط رقم ١٤٠٨ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس.
[2] سلفستر دي ساسي: « **عرض ديانة الدروز** » ج ١ ص CCCLXXVI من المقدمة.

الرسالة على لسان الحاكم، خصوصاً المناظرة بين النبي وبين وفد نجران في سنة ١٠ هـ[1].

٣ ــ ويؤكد عدم صدق هذه الرواية لمناظرات النبي مع النصارى الحجج الثلاث التي وردت على لسان النصارى:

أ ــ فالحجة الأولى وهي الخاصة باسم « أحمد » ساذجة لا يعتقد صدورها عن النصارى في عهد النبي، إذ « أحمد » و« محمد » واحد،

ب ــ والثانية غير معقولة أصلاً، بسبب ما فيها من تحديد سنوات لا ينطبق إلا على الحاكم بأمر الله،

جـ ــ والثالثة باطلة، لأن أفعال النبي تؤكد أنه أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث ووضع الإصر والأغلال عن أتباعه.

لهذا كله نحن ننكر أن يكون لهذه الرسالة أي أصل تاريخي. وإنما هي وضعت بعد وفاة الحاكم نفسه لتبرير ما فعله ضد النصارى واليهود.

٢ ــ الرسالة الموسومة بالمسيحية

وهذه رسالة غريبة المبنى والمعنى: لأنها تقريع بأقسى الألفاظ وأفحشها للمسيحيين لأنهم لا يعملون بوصية المسيح، ولا يحذرون من المسيح الضال الكذوب، ولا يقرون بالمسيح الحق الذي ظهرت علاماته في جميع أنحاء العالم. وكلها تهديد ووعيد « بالرد على ما تنتحله

[1] راجع تفصيلها في بحث ماسينيون عن « **المباهلة** » التي ترجمناه في كتابنا: « **شخصيات قلقة في الإسلام** » الطبعة الثانية، القاهرة سنة ١٩٦٤.

جميع فرق النصرانية، وكشفِ عوار ما لقق بمدينة القسطنطينية، وتبين ركاكة عقولكم وقبولكم لما هو خارج عن الحكمة المسيحية »[1]

وصاحب الرسالة يعلم الأناجيل علماً جيداً، وينقل عنها فقرات كثيرة، وخصوصاً « **بشارة متى** » كما يسميه، أي **إنجيل متى**. فيورد نقولاً من الإصحاح الثالث من **بشارة متى** (ورقة ٧٠ أ)، ومن الإصحاح السادس من **بشارة متى** (ورقة ٧٠ ب ــ ٧١ أ)، والوصية التي تقرأ في يوم الثلاثاء الكبير لمّا جلس يسوع على جبل الزيتون (ورقة ٧٣ ب وما يتلوها)، وأمر الساعة التي يظهر فيها السيد المسيح (ورقة ٧٦ أ ــ إشارة إلى **إنجيل متى**، إصحاح ٢٤ عبارة ٣٦)، الخ

وديباجة الرسالة تتحدث عن حمزة بن عليّ بن أحمد على أنه « المسيح الأحد »، وهي موجهة « إلى جميع مَنْ تقرّب إلى اللاهوت بحقيقة القربان، وتمسك به من كل أهل الحق: قسيس، وبطرك ومطران »، وكاتبها الذي وجهها إلى هؤلاء لا بد أنه بهاء الدين المقتنى، وهو ينعت نفسه بأنه « العبد الفصيح، ومملوك السيد الهادي المسيح » (ورقة ٦٩ أ). ويشير على أن « السيد » (= حمزة بن علي بن أحمد) قد وجه رسالة إلى الراهب الجرجاني « ذكر فيها ما لا تهتدى أفهامكم به، ولا تصبر عقولكم عليه، من ذكر هذه السنين، حتى ذكر فيها حدّ هذه العُسرة والفترة التي تكون على المستجيبين من أجل خطاياهم » (ورقة ٧٧ أ).

والكاتب يأخذ على النصارى أن عقولهم تصور لهم أن السيد المسيح لا يظهر إلاّ عندهم، ولا ينتظر مجيئه سواهم، مع أن المسيح سيظهر للعالم كله. « والسيد (= حمزة) قد عَرّف أن ظهوره لخلاص

---

[1] في المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٨١ أ.

الأمم من الخطيئة » (٧٦ ب) ولهذا يقرّع المسيحية فيقول: فتنبهوا أيها الجهلة من مراقد الغفلة، وارجعوا إلى الحق مع أولياء **السيد** (= حمزة) قبل انقضاء المهلة. فقد دارت الأدوار، وظهر توحيد الأب من **حيث العالم**، ولاحت الأنوار... ثم قال السيد في هذه الوصية: الحق أقول لكم: إن هذه العُسْرة لا تزول حتى تتم هذه الأشياء كلها. وهذه نصوصات الإنجيل، التي لا يردّها (٧٧ أ) وينكرها إلاّ كل كافرٍ ضِلّيل، وقد رددتموها أيها الكفرة العميان، وخرجتم عن دين السيد المسيح، كما خرجتم عن سائر الأديان » (ورقة ٦٦ ب ــ ٧٧ أ).

فبهاء الدين يوبخ النصارى وخصوصاً رؤساءهم على أنهم لم يدركوا أن حمزة هو المسيح الذي ينتظرونه، وأنه قد جاء إلى العالم كله ليخلص الأمم من الخطيئة. ويشير تأييداً لهذا إلى ما جاء في إنجيل متى عن مجيء ابن الإنسان (إصحاح ٢٤ عبارات ٢٦ ــ ٣٦)، وما يصحب ذلك من علامات، حيث ورد: « مثل البرق ينطلق من الشرق ويسطع حتى المغرب، كذلك سيكون مجيء ابن الإنسان... وبعد عسرة تلك الأيام، ستظلم الشمس، ويفقد القمر لألاءه، وتسقط النجوم من السماء، وتترنح قوى السموات. وهناك تظهر في السماء علامة ابن الإنسان، وهنالك تضرب كل شعوب الأرض على صدورهم، وسيرى ابن الإنسان قادماً على سحاب السماء بقوة ومجد وسيبعث بملائكته مزودين ببوق رنان، ليجمع مختارين من أنحاء الأفق الأربعة، ومن أقصى السموات إلى أقصاها... الحق أقول لكم، لن يمر هذا الجيل حتى يحدث كل هذا. ستذهب السماء والأرض، ولكن كلماتي لن تذهب. أمّا متى يكون هذا اليوم، وفي أيّ ساعة، فلا أحد يعرف ذلك، ولا ملائكة السماء، ولا الابن، لا أحد إلاّ الآب وحده. »

٣ ــ الرسالة القسطنطينية

وتتضح معاني « **الرسالة المسيحية** » بصورة أدق وأشد إحكامــاً، وعلى نحو أبعــد عن المهاترة ــ في « **الرسالة الموسومة بالقسطنطينية، المنفذة إلــى قســطنطين متملــك النصرانية** ».

ونبدأ فنورد نصّها لأهميتها:

« توكلت على الإله الحاكم المنزّه بالتقديس والتسبيح، وشكرت عبده الإمــام[1] الســيد المسيح، من العبد الخاضع الناصح، ومملوك المسيح الإمام المتأله لطاعة المولى الإله الحــاكم الماسح ــ تذكرةً لقسطنطين ابن ارمانوس، متملك النصرانية، ومَنْ بحوزته مــن القسيســين والبطاركة والمطارنة والأساقفة المتمسكين بدين المعمودية (٥٦ أ) القائلين ــ كــانوا ــ فــي القدم بنفي العدم ووجود المعنوية، والناسين لعقائد أسلافهم الحواريين المتحققين لوجود الإلهية الأزلية، الخارجين عن مذهب القديسين لمناسبتهم في القِدَم للمُسْلِمية[2] واليهودية.

السلام على من عرف مسيحه ومولاه، وحقق وجوده فأجاب دعاءه ونــداه[3]، وسَــلّم لأمره قبل بلوغ الأجل منتهاه!

أما بعد:

فالحمد للحاكم المولى الإله العالّ لجميع العلل العقلية، المنَزّه عن العدم والقِدَم والكيفية، والمنفرد بجبروته عن العظم والمائية والكمية، المتعالي في توحيده عن الألفــاظ الجوهريــة، المقدّس بعظمة لاهوته عن

---

[1] الإمام السيد المسيح = حمزة بن علي بن أحمد.
[2] يقصد: اللاإسلام.
[3] أيْ نداءه.

دقائق الأغراض البديهية، الذي تجالل عن الضدّ والحدّ والنعت، وتسامى عن صفةٍ داخلةٍ تحت حصر الزمان والوقت. فالعقول الصافية لعجزها عند استغراب المعالم البديهيات، ونَكَلَها عن استنباط النتائج إلا بعد تصور المقدمات ــ تشهد بأنه معبود (٥٦ ب) الأزمان والعصور ومُؤزّل الأزل ومدّهر الدهور، وأمره المبدع مكوّن الأكوان. وإمام الأئمة ومسيح الأزمان. ومدّيل الدول ونافخ الصور. وقائم العصر وصاحب صَبْحَة الظهور، الذي خصّه المولى وجعله لكشف معاني التوحيد عَلَماً ومنهاجاً، وسراجاً في حنادس ظلم الجهالة وهاجاً، وسبباً لنسخ الشُرع[١] الشركية وكسر قلائد الأوثان، وهدم القِبَل الإفكية وقطع نواميس أهل العدم أولي الإلحاد والطغيان، وحجة قاطعة لحجاج أهل البَلَس والجحود وتبياناً شافياً لأهل القدس المسيحية الركع السجود.

فتنبهوا، أيها المسيحيون، قبل زلزال النفوس والألباب، وهجوم الصارخة وبلوغ أجَل الكتاب، وظهور دابة الأرض وكشف الحجاب. فقد تقاربت الدوائر والأطراف، وآن « للنون » من « كان »: « كُن » الاتصال والانعطاف: فأرْعُوا[٢] أسماعكم، أيها الأخوة، للقول الصحيح، وتيقظوا، (٥٧ أ) أيها الغَفَلة عن أيام الدينونية[٣] وفصح حواريّ السيد المسيح. فقد ظهر لتسهيل طرق الرب فمُ الذهب[٤] يُحَنّا

---

[1] جمع: شريعة.

[2] في المخطوط: فأريقوا، وربما كانت: فأصيخوا.

[3] في المخطوط: الدننونية.

[4] يلاحظ أن الكاتب يخلط بين يوحنا صاحب الإنجيل الرابع، ويوحنا الذهبي الفم ويوحنا المعمدان.

الحواري، وتشعشعت الافاق بالنور لقيام المسيح المتأله لطاعة المولى الإله الحاكم الباري.

فإن كنتم يا جماعة القديسين، لما سطره فم الذهب يحثّا في إنجيله مستجيزين، وبمـــا اجتمع عليه رؤساء ملتكم موقنين، وللثلثمائة وثمانين عشر الـــذين أنطقـــوا بـــروح القـــدس بالقسطنطينية مسدقين (= مصدقين)، ولشريعة أيمانكم التي لا يتم لجميع فرق النصـــرانية ــ على اختلاف مقالاتهم ــ قدسٌ ولا قربانٌ إلاّ بها متحققـــين ــ فـــأعيروني أفهـــامكم مَعشـــر القديسين، وتأملوا قول الأحبار منكم عند كل قربان، وانتظاركم لمجيء يسوع المسيح لخلاص كل إنسان، وقولكم: وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات. فهذا هـــو الحق والسّدق (= الصدق) لمن عرف بالتوحيد حلولَ يوم الميقات.

فهذه شرعة إيمانكم تشهد عليكم بالغفلة والتقصير، وتسمكم بسمة أهل (٥٧ ب) التخلف والتغدير، وهي التي اجتمع عليها رؤساء النصرانية وأكابر المتدينين بماء المعموديـــة: مـــن البطاركة والمطارنة والأساقفة والأحبار الذين انطقوا بروح القدس بمدينة القسطنطينية، أعني الثلثمائة وثمانية عشر رجلاً الذين يصفون أنهم أنطقوا بها بروح القدس، وهي التي لم تختلف جماعتكم، عند اختلافهم في المذاهب، في شيء منها، ولا يتم له دينٌ ولا قربان إلاّ بها، وهي:

« نؤمن بالله الآب مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكرْ الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إلهٌ حقٌ، مِنْ إلهٍ حق، من جـــوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء.

« من أجلنا، معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء

وتجسّد من روح القدس وصار إنساناً وحُبِل به، وولِد من مريم البتول، وأُلِم، وصلب أيام فنطوس[1] بن فيلاطوس، ودفن وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس على يمين أبيه. وهو مستعد للمجيء (٥٨ أ) تارة أخرى للقضاء بين الأحياء والأموات.

« ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه روحٌ مُحْيية.

« وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا والذنوب.

« وبجماعة واحدة قديسية[2] سِلّيحية جائليقية.

« وبقيامة أبداننا[3] والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين ».

فمجموع هذه الشريعة ليست مما أمر بها السيد مسيحُ الأزمان: أن يتجسّد ويقال في هذه المواضع التي أمر بها هؤلاء الرؤساء وجعلوها سبباً لعبادة الأوثان. بل قد أمر السيد بتلاوتها للحواريين وشرح معانيها للأحبار الروحانيين، وأثبتوها في أناجيلهم، وشهدوا بها بعد تبيين الأغراض لجماعة الموحدين، وهي معروفة عندنا معشرَ الحفظة الكاتبين، منصوصة في مواضعها من أناجيل الأربعة الحواريين، أعني: يُحَنّا، ومتّى ومرقس ولوقا القديسين. فالواجب علينا أن نذكر ذلك في مواضعه من الأربعة أناجيل، ليتأدى بنا إلى الكافة معرفةُ التحريم والتحليل، ونوقفكم، من حيث (٥٨ ب) لا تعلمون، على مشاكلتكم

---

[1] في المخطوط: فيطوس ابن قيلاطوس.

[2] تُقرأ بتشديد اللام أو بتخفيفها، وهي من السريانية **ܫܠܝܚܐ** = رسول. أي: رسولية. راجع معجم بيين سميث Payne Smith: *Thesaurus Syriacus* ، ص ١٦١٠، أكسفورد سنة ١٨٦٨. وراجع دوزي: « **تكملة المعاجم العربية** » جـ ١ ص ٦٧٢، ليدن سنة ١٨٨١.

[3] في المخطوط: وبقيامة أبداناً.

لأهل العدم والتعطيل، الواقفين على ظواهر الأمور دون حقائقها، كوقوفكم على ظواهر الأقاويل:

وأما قولكم في التسبيحة التي جعلتموها للقربان إنهُ « ألّم وصُلب أيام فنطوس بن فيلاطوس[1] ودفن وقام في اليوم الثالث »: فهذا مثبت في **إنجيل يُحَنّا**[2] في الإصحاح الثاني عند مخاطبة اليهود ليسوع، فقال لهم: « اهدموا الهيكل وأنا أقيمه بعد ثلاثة أيام » فأنكر اليهود قوله إنه يبني الهيكل بعد ثلاثة أيام. وإنما عنى هيكل جسده. وذكر لتلامذته أنه قد كان قال هذا، فَسَدّقوا الكتاب والكلمة، وهذا نصه في **إنجيل يُحَنّا**.

ويجب أن تعلموا، يا جماعة القديسين، إنما عنى بغيبته ثلاثة أيام: **اليومَ** الذي هو فيه وقت قيامة بالحق، ودعوته للخلائق إلى دعوة التوحيد والسّدْق، وكشفه للأمم أنه إله من إلهٍ حق، أعني بذلك أن الباري ــ جلّت قدرته ــ موجود في خليقته، وأنه يظهر لهم من حيث هم كما أوجب في (٥٩ أ) صورٍ كصورهم، وأنه ليس بمعدوم، لتقوم الحجة بوجوده على كافة بريّته. فتأملوا حقائق هذا القول، وتوسّلوا في التوفيق إلى وليّ الهداية والطّوْل.

وأما **اليوم الثاني** فهو ظهور الفارقليط، لأن يسوع بشّر به وعليه تنبّأ، كما قال يسوع في **إنجيل يُحَنّا** إن موسى عليّ كتب، وبذكري تنبّأ. والفارقليط فهو محمد، وهو أحد أصحاب النواميس، أعني: نوح وإبراهيم وموسى، الذين ظهروا قبل السيد المسيح.

---

[1] راجع الصفحة السابقة، حاشية رقم ١.

[2] **إنجيل يوحنا**، الإصحاح الثاني، عبارات ١٩ ــ ٢٢.

ذلك قول يسوع في الإصحاح الخامس عشر[1] لما عرف بمجيء الفارقليط، أعني محمد، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون بانطلاقي إلى أبي، لأن لأبي ابناً هو أعظم مني. والآن قد قلت لكم من قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنون بي. ولم يقلْ: تؤمنون به. وبعده: فلست أكلمكم كلاماً كثيراً، لأن رئيس الدنيا يأتي، وليس له فيّ شيء، ولكن ليعلم الناس إنما أحبّ أبي. ولم يعرف العالَم معنى قوله. وإنما قال إنه رئيس الدنيا[2]، وليس هو رئيس الآخرة، وإنما تم له ذلك (٥٩ ب) ولغيره من أصحاب النواميس لتمام حكمة الباري، لتقوم الحجة على العالم دوراً بعد دور، ويقع عليهم الذم لأنهم لم يقوموا بما أمرهم به الباري جلّت قدرته، من أداء حكمة التوحيد، بل نكلوا عنها ورجعوا إلى عبادة العدم بالتقليد، كما أنتم اليوم.

وقال، يعني الفارقليط، « ليس له فيّ شيء »، عرّفكم أنه لا يدعو الخليقة إلى توحيد المعبود، كما دعاكم **السيد إلى إيحاد**[3]

---

[1] **إنجيل يوحنا** الإصحاح الخامس عشر، العبارة ٢٦: « حينما يأتي الفارقليط، الذي سأبعث به إليكم من عند أبي، روح الحق، الذي يصدر عن الأب؛ وسيشهد علي، وأنتم أيضاً ستشهدون، لأنكم معي منذ البداية ». والإصحاح السادس عشر، العبارة ٥ ــ ٧: « والآن سأذهب إلى من بعثني، ولا يسألني أحدكم: « إلى أين تذهب ». ولكن لأني قلت هذا لكم، ملأ الحزن قلوبكم. ومع ذلك فإني أقول لكم الحق: الأفضل لكم أن أذهب؛ لإني إن لم أذهب، فلن يأتي الفارقليط إليكم أما إن ذهبت، فاني سأبعث به إليكم. وحين يجيء سيفحم العالم في أمر الخطيئة، وفي أمر العدل، وفي أمر الحكم: في أمر الخطيئة، لأنهم لا يؤمنون بي: وفي أمر العدل، لأني ذاهب إلى الأب ولن تروني بعد؛ وفي أمر الحكم، لأن أمير هذا العالم مقضى عليه ». فلاحظ الخلاف بين هذا النص وبين رواية صاحب الرسالة له.

[2] « رئيس الدنيا » إشارة إلى: « أمير هذا العالم » الوارد في العبارة رقم ١١ من الإصحاح الحادي عشر من **إنجيل يوحنا**، والتي أوردناها في التعليق السابق مباشرة.

[3] **إيحاد**: توحيد.

الباري الإله **الحاكم** الموجود.

وأما **اليوم الثالث** فهو قيام المهدي ــ صلى الله عليه ــ لدعوته للخلائق إلــى بــاطن الكتب الأربعة الدّالة لأهل الحقائق على التوحيد، أعني: الزبور والتوراة والإنجيل والقــرآن. وقد وصلت رسالاته ودلالاته إلى قسطنطين، متملك النصرانية في وقته، ولا شك أنّها مُسَطّرة عند جماعة رؤساء العلم منهم، إذ ليست دعوته كدعوة أصحاب النواميس والتخدّع، لأنه دعــا إلى اليوم الآخر الذي أشار إليه بظهور السيد المسيح.

فلو تدبّر متدبر ذو فهم، وكشف الغطاء عن قلبِ متيقظ مستبصــرٍ ذي علــم، لتأمــل ظهور المهدي عليه السلام ودعوته إلى (٦٠ أ) باطن الكتب الأربعة المــذكورة فــي زمــن قسطنطين الأول، وظهور السيد المسيح بالدعوة إلى التوحيد في زمن قسطنطين الثاني، ولكان فيه لذوي الألباب مُزْدَجَر، ولمن كان فيه أدنى مُسْكة من علم الحقائق معتبر.

أما **اليوم الآخر** فهو تمام الأول، لأن الإصحاح السابع من **إنجيل يُحَنا** يشهد بذلك، لما قالت إخوة يسوع له: « تحوّل عما ها هنا لترى تلامذتك الأعمالَ التي نعمل، فإنه ليس لأحــدٍ (أن) يعمل شيئاً سرّاً. فأظْهر نفسك للعالم. ولم يكن إخوة يسوع آمنوا به. فقال لهم يسوع: أما وقتي فلم يبلغ بعدُ تحقيقاً » ــ[1] أعني أن يومه لم يتم، وإنما يتمّ عند قوله إنه متهيّئ للمجــيء تارة أخرى: « أما وقتكم فهو مُهَيّأٌ في كل حين[1] ».

فعرّفهم أن وقته الذي يشهر فيه كلمة التوحيد لم يتمّ ولم يَبْلُغ،

[1] **إنجيل يوحنا**، الإصحاح السابع، العبارات ٣ ــ ٦. والنص الوارد هنا مطابق لما في نص **الإنجيل**.

وأن وقتهم، أعني الذين لم يعرفوا كلمة التوحيد، مهيّأ في كل حين. وهذا هو اليوم الآخر الذي هو تمام الأوّل الذي أعلن فيه التمجيد والتسبيح وظهر لحوارييه، كما أوعدهم السيد المسيح، كما قال في الإصحاح[1] (٦٠ ب) السادس عشر: إني نزلت من السماء، ليس أعملُ بمشيئتي، وإنما أعمل بمشيئة مَنْ أرسلني. وإنما مشيئة مَنْ أرسلني أن كل مَنْ أطاعني أبعثه في اليوم الآخر، لأن هذا رضا أبي، لأن كل مَنْ يرى الابن ويؤمن به تجب له الحياةُ الدائمة، وهي إنما أقيمت في اليوم الآخر.

فهذه بشارات السيد المسيح، التي بَشّر بها كل ذي عقل صحيح، فها هو لمجيئه قد استعدّ ووَقى، وظهر لأهل التوحيد الذين بعثهم في اليوم الآخر، كما أوعد لمن أخلص وصفا. فلا تكونوا أيها القديسيون كالذين قال لهم يسوع في الإصحاح الثاني[2] من **إنجيلُ يُحَنَا المعمداني**: إن النور جاء إلى العالم، فأحب الناس الظلمة أكثر من محبتهم للنور، لأن أعمالهم كانت خبيثة، لأن كل من يعمل القبائح يبغض النور وليس يقْبل إلى النور كيلا يفتضح بأعماله. وأمّا ذلك الذي يعمل الحق فإنه يقبل إلى النور لتعرف أعماله أنها من الله مقبولة.

فتفهموا أيها القديسيون، كلام السيد بهذه الحكم الجلية. فالبشرى في الإصحاح العاشر (٦١ أ) تحقيقاً لمجيئته من جهة أخرى وهو[3] قوله: « أنا الراعي الصالح، وأنا عارفٌ برعيتي، ورعيتي تعرفني، كما أن أبي عارفٌ بي وأنا عارفٌ بأبي، ونفسي أبذلُ دون الغنم.

---

[1] لم نجد هذا الذي يورده في الإصحاح السادس عشر من **إنجيل يوحنا** ولا من أي إنجيل آخر؟ لكن المعنى موجود بوجه عام في الأناجيل. راجع مثلاً **مرقص** ١٤: ٣٦، **متى** ٢٦: ٣٩.

[2] الصحيح أنه الإصحاح الثالث، العبارات ١٩ ــ ٢١.

[3] **إنجيل يوحنا**، الإصحاح العاشر، العبارات ١١ ــ ١٨ مع بعض الاختصار.

وإن لي كباشاً أخرى ليسوا من هذا الزرب، وينبغي لي أن آتي بهم فيسمعوا صوتي وتكــون الرعية كلها واحدة والراعي واحداً. من أجل هذا أرسلني، وأنا أضع نفسي لأجدهما أيضاً ». فعرّفهم أن الزرب الأول هو شريعة عيسى، لأنــه نصــب حوارييــه يعمــدون النــاس، أي يصبغونهم بالعلم الحقيقي في أعقاب شريعة موسى بعد غيبة امليخيا عنهم لما فســقوا وقتلــوا الأنبياء ــ بدعوتهم إلى توحيد الباري الموجود.

ثم قال: « وإن لي كباشاً أخَر ليسوا من هذا الزرب، وينبغي لي أن آتــي بهــم » ــ فالزرب الآخر هو شريعة محمد. وكذلك أوعدهم بمجيئه تارة أخرى. وهذه شريعة محمد قــد تَقضّت أيامُها، وجميع النحل قد وَهَتْ قواها وانحلّ نظامها.

وعرّفهم أيضاً غيبته في (٦١ ب) الإصحاح التاسع[1] في قوله: « فينبغي لي أن أعمل أعمالَ من أرسلني ما دام النهار، فإنه سيأتي الليل الذي لا يستطيع الإنسان فيــه العمــل » ــ أعني بذلك أن شريعة الناموس مَثَلُ الليل المظلم الذي لا نــور فيــه، لأن دعــواتهم، أعنــي أصحاب الشرائع، إنما كانت مخالفة لأمور الباري جلّت آلاؤه ولتوهيم النــاس وإلــى العــدم والشرك والابلاس.

فهذه بشارات السيد المسيح، قد فلجت بها الحجة عليكم بالعبد الخاضع النصــيح. ثــم عَرّفَ العالَم بمجيئه، وأنه الذي يدعو العالم إلى توحيد الباري الموجود، وينهاهم عن عبــادة العدم المفقود. فلا تتأسّوْا أيها القديسيون بأهل التنميس والأرتياب، ولا ترجعوا بعــد توحيــد المعبود على الأعتاب، فلكم سوابق الدين الصحيح، فلا تنكروا ــ بعد المعرفة ــ رجوعَ السيد المسيح. وتأمّلوا ما قاله السيد في الإصحاح

[1] **انجيل يوحنا**، الإصحاح التاسع، عبارة ٤.

العاشر[1] وهو: « جئت إلى العالم كي يبصروا، والذين يبصرون يعمون ». فسمع هذا القــولَ الأحبار الذين كانوا معه فقالوا له: « يا سيدنا، لعلّ (٦٢ أ) نحن أيضاً عميان. فمن أجل هــذا خطيئتكم ثابتة. »

وإنما عرّفهم أن مَنْ كان يدّعي معرفة الحق ثم دُعي إلى الذي يدّعيه ولم يقبله، فهــو أعمى القلب، لا أعمى العين.

وقوله: « الذين يبصرون يَعْمُوْن » ــ يعني الذين كانوا يقرّون بمعرفته ولم يشاهدوه. فلما جاءهم يدعوهم إلى تحقيق ما أوعدهم به من دينهم الذي هم عليه أنكروه وأبعــدوه. فــلا تكونوا، أيها القديسيون، بهذه المثابة، ولا تحققوا على نفوسكم هذه الأعمال المنافية للأعمــال المستطابة.

وكذلك قال السيد في[2] **إنجيل متى:** « ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا! أليس باسمك تنبّأنا، وباسمك أخرجنا الشيطان؟ فأقول لهم: اغربوا عنّي أيتها العجــزة العــادون ». فاذهبوا فما أن عرفتكم « قط ». وهذا القول إنما يكون لمن أعرضَ عليهم معرفة السيد المسيح قبل ظهوره فلم يؤمنوا به، لأنه قال في **إنجيل**[3] **متى:** « كما كان (٦٢ ب) في البــدء كــذلك يكون في الأخير. » « فقد بشر به يُحَنّا[4] في البدء قبل ظهوره، ودعا بني إسرائيل إلى معرفته

---

[1] الصواب إنه التاسع من **إنجيل يوحنا** حيث يرد في العبارة رقم ٣٩ ــ ٤٠: « هنالك قال يسوع: « جئت إلى هذا العالم من أجل الحكم: لكي يبصر الذين لا يبصرون، ولكي يصير الذين يبصرون عمياناً ». وسمع ذلــك الفريسيون الذين كانوا معه فقالوا له: « هل نحن عميان، نحن أيضاً؟ » فأجابهم يسوع: « لو كنتم عمياناً لكنتم بلا خطيئة؛ لكنكم تقولون: « نحن قيصر » إن خطيئتكم ثابتة ».

[2] **إنجيل متى**، الإصحاح السابع، العبارات ٢٢ ــ ٢٣.

[3] **إنجيل متى**.

[4] **يوحنا المعمدان**.

والاستضاءة بنوره، فأنكروا قوله وجحدوه، وفعلوا ما لم يقولوا إنهم فعلوه. وكذلك قال[1]: « أنا الصوت الذي يهتف في البرية » ــ أي: سَهِّلوا طرق الرب، فقد نادى المنادي والصوت قد علا، وأجاب إليه أهل الحقائق، وعَنَدَ منه من كذّب وتولّى. فقد تسهّلت طرق الربّ، وتغلّقت السنابلُ عن الحبّ. وأنتم، يا جماعة القديسين، أولُ من اقتفى آثار الحواريين الحدود، وبلغ في الطاعة نهاية المجهود، وأول مَنْ أبصر وصبر على توحيد الموجود من الأمم، فدامت بذلك عليكم سوابغُ النعم. فإن ارتهنتموها بالشكر وقبول الأمر ودوام التذكار، وأجبتم السيد المسيح في دعوته لكم إلى توحيد المولى الإله الحاكم الجبار ــ كنتم أولاده بالحقيقة، ودامت بذلك عليكم سوابغُ النغم، وعوقب بأسبابكم المتخلف من جميع الأمم. وإن أبيتم فالراجفة (٦٣ أ) عن قليل بكم ترجف، وكتائب الأسباط إلى جهتكم تزحف وتوجف. فقد أذعنوا له بالطاعة وعرفوه، وصحّ عندهم الموعود الذي كانوا ينتظرونه. وقد حضرت الساعة التي أوعدهم فيها بالمجيء، وأنه لا يكلمهم فيها بالأمثال، بل يشرح لهم أمر الأب علانية بتصحيح المقال. وهو قوله في الإصحاح السابع[2] عشر: إنما أكلمكم بهذه الأشياء بالأمثال. ولكنه سوف تأتي ساعةٌ لا أكلمكم فيها بالأمثال، بل أشرح لكم أمر الأب علانيةً في ذلك اليوم الذي تسألون فيه باسمي.

ولم أرد، ياجماعة القديسين، الردّ على حقائق مذهب النصرانية، وإنما امتثلت المرسوم في أن أحقق عند أهل الفضل منهم والتديّن بمعرفة معاني الأمور الإلهية، وأعرّفهم من نصوص الإنجيل الزّلّلَ

---

[1] **إنجيل متى** ٣: ٣، **مرقس** ١: ٣؛ **لوقا** ٣: ٤؛ **يوحنا** ١: ٢٣.

[2] الصحيح هو: الإصحاح السادس عشر من **إنجيل يوحنا**، العبارة ٢٥ ــ ٢٦.

الذي ارتكبوه، وأنهم وَهِموا فيما تصور لهم فيه واعتقدوه. ولما دعوا إلى إيحاد[1] الباري المعبود فأعدموه، ولم يقفوا على معنى الكلمة المتحدة بالسيد المسيح فيفضلوه.

وهذه الرسالة إلى جميعهم (٦٣ ب) تحذيراً وإنذاراً. وإيجاب الحجة عليهم وإعذاراً لقول السيد لمن أمّم النجاة، وشرب ريّه من ماء الحياة: « إنْ كنتم مستيقظين فلا تناموا، حتى إذا جاءتكم الكلمة وجدتكم مستعدين ».

فقد أوجزت لكم في الخطاب، وبيّنت الحقائق لذوي العقول والألباب، نصيحةً لجماعة القديسين، وذوداً لهم إلى منازل السابقين. وأنا أوضّح الردّ على جميع النحل الشركية، المباينة لعقيدة الأمة المسيحية، وأقطع احتجاجهم فيما ادعوه لشُرعهم[2] أنها مضاهية لدعوة السيد المسيح وقيامه بكلمة التوحيد الأزلية، ليكون ذلك لجميع شُرَع أهل العدم والتعطيل ناسخاً، ولما ألبسوه على الأمم بزخرفهم قاطعاً فاسخاً، وأجعلُ ذلك رداً معجزاً على جميعهم بآية واحدة من القرآن، الذي تصول بتأويله هذه الأمة ــ أعني المُسْلمة ــ على كافة أهل النحل والأديان، المشتمل على بعض جميع شُرَع أصحاب النواميس، وأبيّن عجزهم عن حمل الكلمة المتحدة بروح الحق، القديمة الأزل والتأسيس (٦٤ أ) بمعنى لطيف ثابت القاعدة والأصل، رقيق الحواشي قائم في جوهر النفس والعقل، منزه للباري جلّت آلاؤه عن الظلم والجور، ومثبت لحقيقة العدل، لأن الباري العلاّم، مبدع العوالم ومولى الأنام، لم يهمل الأمم بريّته، ولم يتركهم سُدىً، ولم يخليهم في كل وقت وزمان من داعٍ إلى كلمة التوحيد والهدى، إماماً موجوداً

[1] **إيحاد** = توحيد.
[2] جمع شريعة.

معصوماً عن الخطل والشرك والهوى، لتقوم الحجة بالتوحيد على جميع الأمم والعوالم، تتـزه المولى ـ بمجد وجوده ببثّ كلمة التوحيد، التي هي الأمانة إلى الأمم ـ عن سِمة الجائر الظالم. فما بُعث بالأمر إلى الأمم نبيٌّ مؤيد ولا رسول إلاّ ومجامع رسالاته بأمانة التوحيد وكلمة الحق معقودة[1] موصولة.

فقد سطرتُ في هذه الصحيفة وَكيدَ نَسْخ شريعة الإسلام، وبيضتها[2] منتظراً الجواب منكم بالطاعة إلى كلمة التوحيد وكَشْف اللثام. وهو[3]: « إنّا عَرَضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبيْن أن يحملنها وأشفقن منها وَحَمَلها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً[4] ». (٦٤ ب) فهذه أعظم قوارع القرآن، وأوكد حجج التأويل والبيان والبرهان:

إن المعنى في السموات والأرض والجبال عندهم السامي المتعالي هم النطقاء أصحاب الشرائع والنواميس وأُسُسهم وحُجَجُهم الدعاة إلى العدم والشرك والتبليس، الذين تفسخوا ونكلوا في التوحيد عن الأداء، ورجعوا على الأعقاب إلى القهقرى. وانفرد بكلمة التوحيد مسيح الأزمان إمام الورى، لأن الباري ـ جلّت قدرته ـ أعلى وأعدل من أن يأمر بعرض أمانة التوحيد على السموات والأرض والجبال الجماد.، بل هي على ممثولاتها المقدّم ذكرهم ليصحّ التأويل المبيّن لنقض شريعة العدم والتلبيس والإلحاد.

وإذ قد صحّ ذلك وثبت عند ذوي العقول والألباب بأن أصحاب

[1] في المخطوط: معقود موصول.
[2] في المخطوط: وبيضته.
[3] الصواب: وهي إشارة إلى آية القرآن التي أشار إليها منذ قليل.
[4] **سورة الأحزاب**، آية ٧٢.

الشرائع كفروا بأمانة التوحيد ورجعوا على الأعقاب، وستروا ما أمِروا ببثّه وأوهموا بالشرك والارتياب ــ فقد دحضت حُجّة من تمسك بنواميس الشرع. وتبيّن جحدهم للتوحيد وتمسكهم (٦٥ أ) بالعدم والزور المبتَدَع. فإن اعترض معترض من أهل النحلة، الحائدين عن سَنَن الدين وحقيقة القبلة، وقال: إنما عرض[1] الأمانة عليهم عَرْضاً، ولم يجعلها حتماً فرضاً ــ يقال له: قد جهلت أمر الباري ونهيه، جلّت آلاؤه. اعلم أن أمر الباري ــ عظم علاؤه. وتقدّست أسماؤه ــ عرْضٌ وتخيير، ونهيه عظةٌ وتحذير. لأنه لو كان أمره حتماً واجباً، ونهيه جزماً لازباً، لم يشك في توحيده من البرية أحد، وتساوى الكافة في الدين والمعتقد. وعند تساويهم يبطل الثواب والعقاب. وهذا شيء لتدفعُه العقول والألباب.

فقد صحّ أن الذين أؤتمنوا على الأمانة خانوا فيها وكفروا، ورجعوا عن كلمة التوحيد إلى غير ما به أمروا.

فأما الإنسان الذي حملها وكان ظلوماً جهولاً، فسيُردّ وينظر بيمينه إلى عنقه بجحده مغلولاً، وهو الشيطان المفرد ذكره في القرآن، الذي لم يك شيئاً مذكورا، كما قال: « هل أتى على (٦٥ ب) الإنسان حينٌ من الدهر »[2] وهو صاحب ناموس شريعة الإسلام الذي أشهده بالتأنيس على نفسه وليّ الدين والإنعام، وغشي على بصره وقلبه أن يستر عورته بغيره من الكلام، فقال للناس ــ يعني نفسه، وقد أعدمه المولى عقله وحسّه: « عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزّكى، أو يذّكّر فتنفعه الذكرى. أما مَن استغنى،

[1] في المخطوط: أعرض.
[2] **سورة الإنسان**، آية ١.

فأنت له تَصَدّى، وما عليك ألا يزّكى، وأما من جاءك يسعى، وهو يخشى، فأنت عنه تَلَهّـــى. كلاّ إنها تذكرة، فمن شاء ذكره[1] ».

فإن أصختم أسماعكم للتيقظ والانتباه، وأجبتم العبد الناصح من قبل أن يخـــتم علـــى القلوب والأفواه، ويَحُلّ ما ختم[2] على الكواهل وكتب على الجباه ـــ شَرَح لكم نســـخَ الشـــرائع والنواميس بالقول الصحيح، وكنتم بالحقيقة عبيد السيد المسيح، وتصح لكم دعوة جدكم إسحق المغتصبة من أبيكم العيص إلى يعقوب، ولد إبراهيم، الذبيح، وتشملكم الرحمة بتلك الدعوات، وتحل (٦٦ أ) بساحتكم الميامن والبركات، وتظهر بين أظهركم أنوار الحـــواريين الأمـــلاك، وترتقون بإجابة دعوة التوحيد إلى أعنان الأفلاك، وتُهْرَع إليكم أهل الجزائر والأقاليم، وتكونوا أنصار بالحقيقة ومعدنَ التوحيد وأصناف التعاليم.

وإن ألغيتم الجواب، وأحرمتم الصواب، فما على الرسول إلاّ البلاغ المبين، والنصيحة لكل موحد ذي دين. فقد نسخْت شريعتكم بما اعتورها من الضعف والتعطيل، واقرارُكم بمـــن جمعها لكم عند شككم فيها بعد الدهر الطويل. هذا بعد تحققكم بسدْق (= بصدق) حواريي السيد أصحاب التحريم والتحليل، طلبتم شهادة غيرهم رجوعاً إلى الناموس، وهم الشـــهداء علـــيكم بحكم الإنجيل.

فتأملوا ما قاله السيد[3] لما سأله القادمون إليه: متى يرجع ملك بني إســـرائيل ويظهـــر الدين؟ فقال لهم: ها أنا إذن أقبل كاللص، وسوف تجهلون الوقت الذي أتى فيه. فمن سبق إليّ جعلته سارية

---

[1] **سورة عبس**، آيات ١ ـــ ١١.

[2] في المخطوط علامة على الحاء بأنها مهملة.

[3] إشارة إلى ما في **رسالة بولس الأولى** إلى أهل تسالونيك العبارة الثانية من الإصـــحاح الخـــامس: « أنـــتم تعلمون جيداً أن يوم الـــرب سيأتي مثـــل اللص في جنح الليل »، وما في **رســـالة بطرس الثانية (٣: ١٠)**: « سيأتي يوم الرب مثل اللص ».

في بيت إلهي: (٦٦ ب) فأخبرهم أنه سيرجع، ولكنه يأتي على غفلة: فمن انتبه وتيقظ حـــرر نفسه وأهله. فشبه نفسه باللص الذي يأتي والناس في غفلتهم، والممدوح هـــو الســـابق إليـــه والمسارع نحوه.

وكذلك قال[١]: « ادخلوا من الأبواب الضيقة، ولا تدخلوا من الأبواب الواسعة فإن فيها التلف. » فعنى[٢] بالضيقة صعوبة التوحيد. فتأملوا، أيها القديســـيون، حقـــائق هـــذا التحقيـــق والتصريح، وارجعوا إلى الحق قبل قطع المعاذير بظهور السيد المسيح. وقـــد نســـخت فيمـــا بيضت أيضاً ــ بتأييد الوالي ــ شريعة التنميس والبهتان، بآية واحدة معجزة التأييد والبرهان، ودحضتها بقولٍ ثابت معجز، واستأصلت شأفتها بحسام لسانٍ قاطع للطّلا مجهز. فهذه دلالات مسيح الأزمان، وصاحب رجعة الكشف وغيبة الامتحان، التي بشر بها لأصفيائه الحواريين، حين وعدهم بالمجيء للقضاء بين العالمين.

فتنبهوا، أيها القديسيّون، من سكرة الغافلين، واسألوا رؤساء (٦٧ أ) نحلتكم السادقين، ليوقفوكم على الحق اليقين بأن السيد المسيح إنما خاطب حوارييـــه ودعـــاهم إلـــى التوحيـــد والتقديس، ونهاهم عن الأعمال الدنيوية المشتملة على التغيير والتلبيس، ولم يـــأت بشـــريعة علمية شرع أصحاب النواميس. وكذلك رد على اليهود في الإصحاح الثامن[٣]

---

[1] **إنجيل متى**، الإصحاح السابع، العبارة رقم ١٣.

[2] ص: ما عنى.

[3] **إنجيل يوحنا**، الإصحاح الثامن، عبارات رقم ٣٩، ٤٣، ٤٤: « فأجابوه: « أبونا هو إبراهيم »؛ فقال لهـــم يسوع: « لو كنتم أبناء إبراهيم، لفعلتم أفعال إبراهيم. وها أنتم تريدون قتلي، أنا الذي أقول الحق، الذي سمعته من الله. وإبراهيم لم يفعل هذا... لماذا لا تفهمون قولي؟ ذلك أنكم لا تستطيعون الاستماع إلى كلامي. إن أباكم الشيطان، وأهواء أبيكم (هذا) هو ما تريدون تحقيقه منذ البدء كان هذا قتلا: ولم يكن (أي الشيطان) على حق، لأنه ليس فيه حق؛ وإذا قال أكاذيب فهو يستمدها من ذاته، لأنه كذوب وأبو الكذب ».

اجتمعوا على جميع هذه الشريعة التي جعلوها لهم قـرابين، وتأسّـوْا بأصـحاب النـواميس المموهين، لبعد زمنهم من زمن أسلافهم أهل الحقائق الموحّدين، وقصور أفهامهم عن منـازل أهل القدس الحواريين.

والآن، يجب عليكم، يا جماعة القديسين، أن تتأمّلوا هذا الخطاب، وتُعِدّوا لما قد أوضح لكم مفهومه سادق الجواب. فقد ظهر روحُ القدسَ الواحدُ، روح الحق، لغفران الخطايا بجماعة واحدة قديسية صبرت في طاعته على المحن والبلايا، وآمنت بقيامة أبدانها والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين ـــ وأضاءت بنور كلمة التوحيد الآفاق للمستبصرين، وتضاءل لارتفاعها زخـرف الفاسقين. فتنبهوا، أيها المسيحيون، فقد فرح الزارع بالحاصد، وقامت بوجـود كلمـة الحـق الحجةُ على الكافر والجاحد. وقد جمعنا بزورَ أثمار الحياة، وآن اجتثاث شجرة الفراعنة (٦٨ ب) الطغاة. وهذا قول السيد: فانظروا إلى الأرضين قد ابيضت وآن حصادها، وآية التوحيد قد ظهرت وقرُب ميعادها. فأين تذهبون؟! فقد تلجلج الخصمون، وافتضح المختلفون المـدّعون، وفاز السادقون الموحدون، وخسِر المقصّرون المبطلون.

فتنبهوا أيها المسيحيون عن مراقد الغفلة والمهل، فقد دارت الأدوار وتَقَضّتْ أيامُ جميع الملل، والأممُ في غمرة ساهون، وعن الاستعداد ليومٍ لا مردّ له لاهون، وعن طلوع الشـمس من فلك الأنوار، وظهور أمر المولى الإله **الحاكم** الجبار بحجب مـن الملائكـة الروحـانيين الأطهار، وأفواج من الكروبيين أولى الأجنحة والأنوار، يقدمهم السيد مسيح الأمم في الأدوار والأكوار. قد فتحَت أبواب السماء لنصرته، وتزلزلت فجاج الأرض لهيبته وقدرته، وطبع لـه بخاتم العزّ والبقاء، وأفلح من لمقاليده قبل الظهور ألقى. فوحقّ الحق، لكأنكم (٦٩ أ) بعظمٍ ما توعدون، ولكل أجلٍ كتابٌ، وسوف تعلمون وستذكرون

لما قالوا له إن أبانا نحن هو إبراهيم: فقال لهم يسوع: لم يفعل إبراهيم هذه الأفعال، غير أنكم إنما تعملون عمل أبيكم إبراهيم. ثم قال لهم: « أنتم لا تفهمون قولي »، لم يقل « عملـــي ». وقال: « وانكم لا تطيقون استماع **كلمتي** » ولم يقل « فعلي ». « وإنما أنتم من أبٍ محـــالٍ، وشهوَة أبيكم تَهْودون، ولم تعلموا ذلك الذي هو منذ البدء. فقال للناس ولم يثبّت قولـــه علـــى الحق لأن ليس فيه حق، وإذا تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كـــذوب وأبـــو الكـــذب. » فعرّفهم أن الكذب هو الشرائع الناموسية، وعرّفهم منزلة أبيهم إبراهيم، لما انتسبوا إليه نســـبة دينية. ــ ثم قال لهم[1] بعد ذلك: « الحق أقول لكم: إن من يحفظ قولي (٦٧ ب) لا يرى الموت أبداً » ــ ولم يقل إن من يعمل عملي لا يرى الموت أبداً. والقول هو كلمة التوحيد الحقيقيـــة. والدليل على ذلك أنه إنما أمر حواريه يعمدون الناس بالماء المعين. والماء دليل على حقيقيـــة التوحيد وعلم الدين. وكذلك يسمي المواضع التي يعمدون الناس فيها: البيعة والمذبح. وإنمـــا عنى **بالمذبح** أنه يذبح فيه عقائد النواميس ونِحَل المشركين، ويوقفونهم بالتوحيد على الطريق المستقيم. والبيعة فهي يمين، وميثاق، وتشديد، كان يؤخذ بها على كل من أجاب إلـــى دعـــوة التوحيد التي هي الكلمة المتحدة بالسيد المسيح، لأن جوهره صار متحداً بجوهر كلمة التوحيد الصريح، لأنه لم يتجسد في فعله بشيء من الناموس والشرع، ولا أمرهم بشيء مـــن الإفـــك والبدع. ولذلك بطل قولُ كل من ادّعى أن الكلمة المتحدة بالسيد المسيح قد أتى بمثلها كلّ من تنبأ من أصحاب الشرائع الناموسية ولم يفرقوا بين ما أتوا به من الشرك وبين كلمة التوحيـــد القدسية. (٦٨ أ) وإنما رجع المتخلفون من النصرانية المتأخرون، أعني الذين

---

[1] **إنجيل يوحنا**، الإصحاح الثامن، العبارة رقم ٥١.

ما أقوله لكم. وأفوّض أمري إلى وليّ الحق فأجره غير ممنون.

وكُتب لتسع بقين من شهر صفر من السنة الحادية عشر من سنين قائم الزمان، وتمام السابعة من غيبة الامتحان. تمت والحمد لمولانا الحاكم وحده، والشكر لمسيح الأمم وهاديها عبده »[1].

* * *

ذلك نص الرسالة التي وجهها بهاء الدين المقتنى إلى قسطنطين بن أرمانوس. ونلاحظ عليها ما يلي:

١ ــ أما قسطنطين بن أرمانوس، الموجهة إليه هذه الرسالة، فهو قسطنطين الثامن، ابن الامبراطور رومانس الثاني Romain II . وقد ولد في سنة ٩٦١ وتوفي في ١٢ نوفمبر سنة ١٠٢٨. ولما توفي أبوه في سنة ٩٦٣ وعمره سنتان صار امبراطوراً بالاشتراك مع أخيه باسيليوس الثاني Basile II . ولما بلغ باسيليوس سنّ الرشد انفرد بالحكم ولم يترك لأخيه قسطنطين غير المزايا التشريعية المرتبطة بلقب امبراطور. وتزوج من هيلانة بنت أحد أعيان بيزنطة، فولد له منها ثلاث بنات هن: ايدوقه وزوئيه وتيودورا Eudocie, Zoé, Théodora وعاش قسطنطين بعد وفاة أخيه في سنة ١٠٢٥ وتولى الامبراطورية بعده فأصبح امبراطوراً وحده من سنة ١٠٢٥ حتى سنة ١٠٢٨م. غير أنه وقد ألف حياة اللهو استمر عاكفاً على ملذاته تاركاً شؤون الحكم الفعلي لوزرائه وكانوا وصوليين خالين من الكفاية. وخلال مدة حكمه القصيرة هذه أمر بسمل عيون كثير من النبلاء الذين خاف قسطنطين من مطامعهم. ولما لم يعقب ذكوراً فقد قرر في أخريات حياته أن يزوج ابنته زوئيه إلى كبير من كبراء

[1] عن المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس ورقة ٥٥ ب ــ ٦٩ أ.

البلاط، وهو محافظ القسطنطينية واسمه رومانوس أرجير Romain argyre ، ومات بعد ثلاثة أيام فتبوأت عرش الإمبراطورية البيزنطية ابنته زوئيه وشاركتها أختها تيودورا وزوجها رومانوس الثالث.

وكان سلفه باسيليوس الثاني قد قام في سنة ٩٩٥م (٣٨٥ هـ) بحملة ضخمة على الشام، واستولى على حلب وحمص وشيزر وفرض سلطان بيزنطة في تلك النواحي. ثم عاد في سنة ٩٩٩م (٣٨٩ هـ) بعد الهزيمة المنكرة التي أصابت دوق انطاكية دميان دي لاسين Damien Dalassène . إلى غزو الشام وانتصر عدة مرات وبلغ في زحفه حتى بلغ طرابلس الشام. وفي سنة ١٠٠١م (٣٩١ ــ ٣٩٢ هـ) عقد مع الحاكم بأمر الله معاهدة، استمرت نافذة المفعول حتى سنة ١٠٢٥[1] (٤١٥ هـ).

وتاريخ الرسالة هو ٢١ صفر سنة ٤١٩ هـ ويناظر ٢١ مارس سنة ١٠٢٨م، ووفاة قسطنطين الثامن كانت في ١٢ نوفمبر سنة ١٠٢٨م ويناظر ٢١ شوال سنة ٤١٩ هـ. وإذن فالتواريخ ممكنة والرسالة قد كتبت قبل وفاة قسطنطين الثامن بسبعة أشهر و٢٢ يوماً. فلا محل للطعن فيها من الناحية التاريخية الزمنية.

٢ ــ كان الاحتكاك بين بيزنطة والشام شديداً طوال عهد باسيليوس الثاني كما رأينا، وإن كانت معاهدة سنة ١٠٠١م (٣٩٢ هـ) وضعت حداً للقتال بين بيزنطة وسوريا الإسلامية، واستمرت المعاهدة قائمة حتى آخر حكم باسيليوس الثاني. ولكن في عهد قسطنطين الثامن (سنة ١٠٢٥م ــ سنة ١٠٢٨) تجددت الاشتباكات. وهذا يفسر اهتمام

---

[1] راجع:

a) Schlumberger : *L'épopée byzantine*, II, p. 201 sqq.;
b) Vasilien : *Histoire de l'Empire byzantin*, I, pp. 412-413;
c) *Grande Encyclopédie*, s.v.

المقتنى بهاء الدين باجتذاب بيزنطة وربما بأخذ جانبها في الصراع بين الدولة الفاطمية الإسلامية وإمبراطورية بيزنطة المسيحية. وهذا يفسّر لنا لهجة التودّد التي خاطب بها بهاء الدين الإمبراطور وكبار رجال الدين المسيحي في بيزنطة. فهو ينعتهم بالقديسين، ويقرّب ما بين دعوة التوحيد الدرزية وبين العقائد المسيحية، هادفاً من وراء ذلك إلى بيان أن الفارقليط الذي أعلن عن قدومه المسيح عيسى بن مريم هو نفسه حمزة بن علي بن أحمد، وأن هذا الأخير هو السيد، مثلما كان المسيح هو السيّد Seigneur ، وأن على المسيحيين أن يؤمنوا بأن حمزة وديانة التوحيد التي دعا إليها هو الفارقليط الذي أعلن عن مجيئة المسيح وقال عنه إنه ابن الله وهو أعظم من المسيح عيسى بن مريم وإنه سيفحم العالم في أمر الخطيئة وأمر العدل وأمر الدينونة أو الحكم **(إنجيل يوحنا،** الإصحاح الخامس عشر، العبارات ٢٦ وما يتلوها**)**.

٣ ــ وبهاء الدين في سبيل ذلك يلجأ إلى:

أ ــ تأويل بعض أحداث حياة المسيح تأويلاً يؤدي إلى ما يهدف إليه، مثل تأويل غيبة المسيح ثلاثة أيام، وتأويل أقوال المسيح في الأناجيل على النحو الذي يتفق مع عقيدة التوحيد: من مسخ الشرائع السابقة، والدعوة إلى كلمة التوحيد الأزلية، الخ... كما رأيناه تفصيلاً في الرسالة.

ب ــ ينقل الكثير من نصوص الأناجيل، وبخاصة **إنجيل يوحنا** الذي اعتمد عليه كل الاعتماد، وكذلك ينقل أمانة مجمع نيقيه الذي اتفق فيه ٣١٨ حبراً من كبار أحبار الكنيسة المسيحية ووضعوا صيغة الإيمان. وهو في نقله أحياناً يتصرف في النقل، حتى يكون المنقول أقرب إلى تحقيق الغاية التي يستهدفها. ولكنه على وجه العموم

أمين في نقل النصوص.

جـ ـــ ويأخذ على أحبار النصارى الذين وضعوا صيغة الإيمان هاتيك أنهم لم يفهموا المقصود الحقيقي الذي قصده المسيح فيما يتعلق بثلاثة أمور: آلامه، وموته، وبعثه من القبر في اليوم الثالث.

فيفسّر هذه الأيام الثلاثة من الصلب إلى قيامة المسيح بأن اليوم الأول يقصد به قيام المسيح برسالته، واليوم الثاني هو رسالة الفارقليط، الذي هو محمد (صلعم). فكما بشر موسى بمجيء يسوع كما قال يسوع نفسه (**إنجيل يوحنا**، الفصل الخامس، العبارة رقم ٤٦)، فكذلك بشر عيسى بمجيء محمد. والغريب كما لاحظ دي ساسي[1] بحق، أن بهاء الدين يطبق هنا على الفارقليط ما قاله يسوع عن « أمير هذا العالم الذي سيأتي ». واليوم الثالث هو يوم رسالة « المهدي » الذي ظهر ليدعو الناس إلى اعتناق مذهب التأويل. ويقول بهاء الدين إن « المهدي » هذا بعث برسالة إلى قسطنطين ـــ ويفترض دي ساسي أنه ربما كان قسطنطين السادس أو السابع ـــ الذي كان على عرش بيزنطة في عهده، يدعوه فيها إلى اعتناق مذهبه، وأن قسطنطين تسلّم رسالة المهدي، ولا بد أنها لا تزال موجودة بين أيدي زعماء النصارى. وهذا المهدي، هكذا يقول بهاء الدين، دعا الناس إلى معرفة اليوم الأخير الذي يظهر فيه المسيح، وهذا المسيح هو حمزة بن علي بن أحمد، واليوم الأخير هو وقت ظهور « العقل » باسم حمزة وعلى صورته. وهذا اليوم الأخير هو وقت ظهور « العقل » باسم حمزة وعلى صورته. وهذا اليوم الأخير هو تتمة اليوم الأول، وهو الذي عنه يخبر المسيح حين قال: « لم يأتِ وقتي بعد » (**إنجيل يوحنا**، الإصحاح السابع، العبارات ٣ ـــ ٦).

[1] دي ساسي: « **عرض لديانة الدروز** » جـ ٢ ص ٥٣٥، باريس سنة ١٨٣٨.

٤ ــ الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد

وهذه آخر الرسائل الأربع الموجهة ضد المسيحية. وكاتبها هو المقتنى بهاء الدين، وينعت نفسه بأنه « العبد المقتنى الناصح المملوك لمسيح الأزمان، ومحلل معاقد (٨٢ أ) الملل وناسخ الأديان، وقاتل الإبليس والشيطان، ومُهْلِك العجل والشيصبان »، ووجهها إلى « المحكوم عليه بعد أرومانوس الهالك، يعني الأرخن مخائيل، الممتحن بخرف المكسورة الناب، ابنة قسطنطين، المختطف المرتعش العاجز الضلّيل، وإلى جميع فرق النصرانية النجسة الطاغية، والأمة المنكرة الفاسقة الباغية، الدعيّة الكاذبة الخطيّة، القريبة المدة والأجل، المؤاخذة بسوء العقيدة وخبيث العمل، المقطوعة الأصل والأمل، الممنوعة من البقاء والمهل ».

وكما لاحظ دي ساسي بحق، فإن مخائيل هذا الموجّهة إليه الرسالة لا بد أنه الإمبراطور مخائيل البفلاجوني، الذي خلف رومانوس أرجور Romain argyre . وكما قلنا في تعليقنا على الرسالة السابقة، كان أرمانوس قد تزوج من زوئيه، بنت الإمبراطور قسطنطين الثامن. وزوئية قد أمرت بقتل زوجها أرمانوس، ولهذا يرد هنا وصفه بـ « الهالك »، أي الذي مات قتلاً. وبعد قتل زوئيه لزوجها أرمانوس تزوجت مخائيل ورفعته على عرش الإمبراطورية البيزنطية في سنة ١٠٣٤م (سنة ٤٢٧ هـ)، وكانت آنذاك عالية السن، ولهذا ينعتها بهاء الدين بـ « المكسورة الناب » الخرفة. وكان مخائيل عرضة لنوبات من الجنون « وهذا، فيما أعتقد، معنى هذه الكلمات: المختطف المرتعش »[1].

[1] دي ساسي: « **عرض لديانة الدروز** » جـ ٢ ص ٥٤٨ ــ ٥٣٩. باريس، سنة ١٨٣٨.

وواضح أن هذه الرسالة كتبت بعد سنة ١٠٣٤ (٤٢٥ هـ) لأنها مرسلة إلى مخائيل هذا، أي بعد الرسالة السابقة بأكثر من ست سنوات. ولهجتها البالغة العنف والاقذاع تدل على أن الرسالة السابقة لم تأت بأية نتيجة، وأن العلاقات قد زادت سوءاً إلى أبعد حد بين الدروز وبين نصارى القسطنطينية. فالمقتنى بهاء الدين يحمل حملة شعواء على نصارى بيزنطة لأنهم اضطهدوا أتباع ديانة التوحيد، أي الدروز، وساعدوا دجالاً أبرص أعور كان عدوّاً لديانة التوحيد، فقتلوا أولياء ديانة التوحيد، « ونهضوا لنصرة الأبرص الأعور الدجّال، ليصحّ قول السيد لما ظهر بلسان العرب، فيما مضى من الأعوام والحقب، إشارة إلى معجزة الفائض على النبوّات، وقوله الحتم في نسخ المذاهب والمقالات:

فكأنّ دجّال القيامة أعورٌ قد ثار في يوم الكريهة من حَلَب
والروم أجمع عونه، وهو الذي لا شك موردها الخزيّة والحَرَب

ثم قام بعد ذلك يتلو هذا القول إشارة إلى حوارييه وأوليائه، وحججه وأنبيائه:

يا ربّ أنجز وعدهم بوليّهم في دار مصرٍ في جمادى أو رجب

ثم قال بعد ذلك دلالة على تناهي مدتكم (٨٤ أ)، وتعييناً على استئصال شأفتكم:

إذا رأيت الوقت فارقب حينه وترى النصارى قد تناهت في الرّتَب
فهناك حين الأمر، فاعلم أنه قد فار تنّور السفينة وانقلب
بادر إليها بالقبول فإنها ريح السلامة في الإقامة والطلب[1] »

---

[1] « **الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد، لأداء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد** »، المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٨٣ ب ــ ٨٤ أ.

ويتوعدهم بأنهم أي رؤساءهم قد نقضوا تعاليم السيد المسيح، لأنهم يقتلون الأبـــرار، صـــنيع آبائهم. ويستشهد بمـــا ورد في **إنجيل متى** (إصحاح ٢٣، عبارات ٢٩ ــ ٣٦) فيورده هكذا: « الويل لكم أيها الكتبة والأحبار الكثيرون الربا! إنكم تبنون قبور الأنبياء، وتزينـــون[1] قبـــور الأبرار. وأنتم القائلون: لو كنا على عهد آبائنا لم نشركهم في قتل الأنبياء. وأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء أولئك الذين قتلوا الأنبياء وأنتم مقيمون على صفة آبائكم. أيها الثعابين، فأنتم أولاد الأفاعي. فكيف تهربون من عقاب جهنم »[2] فهذه شهادة عليكم في نصوص الإنجيل الذي لا يرده وينكره (٨٤ ب) إلا مَنْ عقيدته الجحد والتعطيل. ثم عرّفكم فـــي الإصـــحاح الثـــامن عشر[3]، بعد هذا القول المنزه عن الكذب والنكر لإتيان رسله في هذا الزمان والعصـــر، قبـــل ظهوره ورجعته، وذلك في آخر الوقت عند خروجه من العالم وحضور غيبته، فقـــال عطفـــاً على ما تقدم: « ومن أجل ذلك إني مرسلٌ إليك أنبياء وحكمـــاء وكتبـــة، فتقتلـــون بعضـــهم وتصلبونهم، وتجلدون آخرين في مجامعكم وتطردونهم من مدينة إلى مدينة، وتخرجونهم حتى تعاقبوا بكل وفاء الأبرار التي[4] سفكت على الأرض، مثل دم هابيـــل السّـــدّيق (= الصـّــدّيق) الكامل الأرجح، إلى دم زكريا أبو يحنا[5] الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. أقول لكم حقاً يقيناً إن هذه العسرة لا تزول حتى تؤاخذوا بهذه الأشياء، وتحل بكم هذه الأمور كله » (**إنجيل متى**،

[1] المخطوط: ترمون ــ والتصحيح عن أصل الإنجيل.

[2] **إنجيل متى**، الإصحاح الثالث والعشرون، العبارات ٢٩ ــ ٣٣.

[3] كذا، وهو في الأناجيل المتداولة، الإصحاح الثالث والعشرون من **إنجيل متى**.

[4] في المخطوط: الذي سقك.

[5] كذا، والذي في **إنجيل متى**: زكريا، ابن برخيا. وهنا مشكلة في صحة هذا الاسم، فراجعهما فـــي الشـــروح على هذا الموضع من **إنجيل متى**.

إصحاح ٢٣، عبارات ٣٤ ــ ٣٦). ويقول لهم بهاء الدين إنهم سيعاقبون بقبيح أفعالهم برسله وحوارييه في خروجهم لنصرة الأبرص الأعور الدّجّال في هذا الزمان.

كذلك يورد ما في « الفصل الذي يقرأ في اليوم الأول من الغطـاس: وأقبـل يُحَنّـا الصابغ وجعل يعلن صوته ويقول: توبوا أيها الناس، فقد اقترب ملكوت السماء، (المبرئ من البرص والضلال والعمى.)[1] ومن قبل هذا بشر شعيا النبي عن فعل إليا، وهو يحنـا الصـفا، فقال: موت منادٍ في القفر. أعدّوا طريق الرب، وَسَهّلوا سُبُله »[2].

ويقول لهم بهاء الدين متوعداً إن يحنا الصابغ (= يوحنا المعمدان) سيعود، وهم عنـه لاهون معرضون. ويورد قول يسوع: « الحق أقول لكم إنه لا يتم في أولاد النساء أعظم من يحنا الصابغ، وأخوه الصغير في ملكوت السماء أعظم منه. » وهو تحريف عمـا ورد فـي **إنجيل متى** (إصحاح ١١، عبارة ١١) إذ يرد: « الحق أقول لكم، لم يظهر بين أبناء النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان، ومع ذلك فإن أصغر صغير في ملكوت السموات أعظم منه ». ويقول عن يوحنا المعمدان (يحنا الصابغ، كما في عبارة الرسالة) إنه هو إيليا («اليـا » فـي نص الرسالة) « الـذي قيل إنه مزمع أن يأتي في مجد أبيه. فمن كان لـه أذنـان سـامعتان فليسمع » ــ وهذا هو ما ورد في **إنجيل متى** إصحاح

[1] هذه العبارة غير واردة في أصل **إنجيل متى**.

[2] **إنجيل متى**، الإصحاح الثالث، العبارات ١ ــ ٣؛ وفي النص هكذا: « في تلك الأيام ظهر يوحنا المعمـدان الذي يعظ في قفر اليهودية وهو يقول: توبوا، لأن ملكوت السموات قد اقترب. وهو الذي « يشير إليه نبـوءة النبي أشعيا لما قال: صوت ينادي في القفر: أعدوا طريق الرب، وسهلوا سبته ». فقارن بـين هـذا الـنص وكيفية ايراد بهاء الدين له. وقوله الصابغ Baptiste = المعمدان.

١١ عبارة، رقم ١٥. ثم يخلط على عادة هذه الرسائل التوحيدية كلها ــ بين يوحنا المعمــدان Jean Baptiste وبين يوحنا الذهبي الفم Jean Chrysestome فيقول: « قتلتم أيها الكفــرة فــمَ الذهب يحنا، وهو إليا، وقتلتم قبله بين الهيكل والمذبح أباه زكريا » (المخطوط رقــم ١٤٢٤ عربي بباريس، ورقة ٨٦ ب). ويقول في موضع آخر (ورقة ٨٩ ب) «: فم الــذهب يحنــا الذبيح ».

ويواصل إيراد نصوص من **إنجيل متى** خاصة بيوحنــا المعمدان، الذي هو إليا الذي « يأتي ليتمم الأشياء كلها. والحق أقول لكم إن إليا قد أتاكم في البدء ولم تعرفوه، وكما كــان اتيانه في البــدء لإيجاب الحجة والنعمة، كذلك يكون مجيؤه في الأخيــر لإيجــاب العقــاب والنقمة[١] ». وهذا هو النص الوارد في **إنجيل متى**، إصحاح ١٧ عبارة رقم ١١ ــ ١٢.

ولا بد أن الروم قد قتلوا بعض الدروز، ولهذا يهددهم بهاء الدين المقتنى بإيراد، قول يسوع ولكن بتطبيقه على هؤلاء الذين قتلهم الروم: « من أمات نفسه من أجلي فقد أحياهــا، ومَنْ قتلها فقد قتلني. ومَنْ قتلني فقد قتل أبي الذي أرسلني[٢] ». ويصف ما فعلوه برسل ديانــة التوحيد الذين أرسلوا إليهم فيقول: « قمتم مع الدّجّال وقاومتم وجحدتم أهل الحــق، ومــاريتم وغالبتم، وقتلتم رسل السيد وخالفتم » (المخطوطه نفسه، ورقة ٨٨ أ).

ويتهمهم بأن « جميع علامات ظهور السيد، التي شرحها يُحَنّا عبده المبشر بظهوره قد اشتهرت في الآفاق، وقبلها أهل الطاعة الموحدين

---

[1] « **الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد...**»، المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بباريس، ورقة ٨٧ أ.
[2] **الرسالة المذكورة**، ورقة ٨٧ أ.

أهل العدل والوفاق، وجحدتموها بالظلم أيها الكفرة المُرّاق، والخروج عن الطاعة إلى الشرك والإباق، وقد تزايدتم في البَلَس لرد كلمة السيد باللدد والنفاق، وعكفتم على آبـائكم الزنادقـة بالجحد والشقاق، ولم تتأملوا شهادة يُحَنَّا في البدء الأخير بسدق نبوّته » (المخطـوط نفسـه، ورقة ٨٩ ب ــ ٩٠ أ).

ويشبه موقفهم مع أهل الحق بموقف الخمس عذراوات الجاهلات فـي المثـل الـذي ضربه يسوع بالعذراوات العشر (**إنجيل لوقا**، الإصحاح ٢٥ العبارات ١ ــ ١٢)، ويعلق عليه فيقول: « هذا هو مثلكم مع أهل الحق أيها الأغنام المنكرون والجحدة المفترون. فكـأني والله بهذا المثل الحق، وقد هجم عليكم وأنتم لا تعلمون، وأدركتكم الساعة وأنـتم عـن ورودهـا غافلون. وبعد هنيهة تفتضح مصائد النواميس، ويَهلك أهل الغش والتـدليس. إن جميـع مـا تخرصونه وتلفقونه وتغرّون به من يتبعكم وتخدعونه إضاعاتٌ مكتوبة، ونواميس مخترعـة مكذوبة، لأنكم خالفتم (٩٢ ب) أمثاله الصحيحة وإشاراته، وأهملتم نصوصات رجعتـه فـي الإنجيل السادقة وعلاماته. فأنتم مشرفون على شفا جُرُف هاوية الجحيم، ومقرّنون في الأصفاد عن قريب، وشاربون من الزّقّوم والجحيم، وقد أعذر نذيرُ الآخـرة، ونصـح الأمّـة البـارّة والفاجرة، امتثالاً لمرسوم الإمام القائم العدل، واحتساباً في السرّاء والضرّاء، وصـبراً علـى مكايد أهل السّفَه والخلاف والجهل. فليختم ذلك بالحمد للمولى الإله الحاكم الممهل الأمم علـى عظيم التمرد والعصيان، والقاضي بالفلج والغلب لوليّ حقه الناسخ لِمِلّلهـم بعـد الإيضـاح، والمُحَلّلِ لمعاقد كفرهم والطغيان. وصلاته عليه ما اختلف جديد النور والظلمة، ومرج بحـر الخلاف والجهل، ودفعه بحر الحقائق بالدلائل والبرهان.

وهو حَسْبُ عبده الضعيف **المقتنى** في اليوم المهول، إذا انقضت مدة العجل والشيصبان. »[1]

* * *

وكما فعل دي ساسي، يحسن بنا أن نختم هذا الفصل من موقف الدروز من المسيحية بما ورد في رسالة « **السؤال والجواب وهو حد ما ذهب إليه الدروز واعتقدوه** »، رغم أنها متأخرة كما قلنا، وتعبر عن تطور في المذهب الدرزي، وليست إذن من أصول المذهب الأصلية:

« س ٢٨: وما قصدنا بالمدح بالإنجيل؟

ج: اعلم أن القصد في ذلك ارتفاع اسم القائم بأمر الله، وهو حمزة، لأنه هو الذي تكلم بالإنجيل. وأيضاً يجب علينا أن نحسّن لكل ملة اعتقادهم. وأيضاً إن الإنجيل (٥ أ) مبني على حكمة إلهية، وباطنها دليل دين التوحيد...

س ٣٠: ما تقول عن الشهداء الذين يفتخر النصارى في شجاعتهم وكثرتهم؟

ج: نقول إن حمزة ما استليق[2] يقرّبهم، بل نكرهم. ولو كان لهم يقين في جميع كتب المؤرخين.

س ٣١: وإنْ قالوا لنا إن يقين دينهم ثابت بموجب دلائل أقوى وأبلغ من كلام حمزة. بماذا نجيبهم؟ ومن أين عرفنا شرف (٥ ب) قائم الحق حمزة بن عليّ، علينا سلامه؟

---

[1] « **الرسالة الموسومة بالتعقب والافتقاد لآراء ما بقي علينا من هدم شريعة النصارى الفسقة الأضداد** » في المخطوط رقم ١٤٢٤ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، ورقة ٩٢ أ ــ ب.

[2] يلاحظ غلبة لهجة العامية اللبنانية على هذه الرسالة، وقد أثبتناها على حالها.

ج: من شهادته بنفسه لنفسه، حيث قال في **رسالة التحذير والتنبيه:** أنا أصل مبدعات المولى، وأنا سراطه والعارف بأمره، وأنا الطور والكتاب المسطور والبيت المعمور، وأنا صاحب البعث والنشور، وأنا النافخ في الصور، وأنا إمام المتقين، وأنا صاحب النعم، وأنا ناسخ الشرائع ومبطلها، وأنا مهلك العالمين، وأنا مبطل الشهادتيْن، وأنا النار الموقدة التي تتطلّع على الأفئدة...

س ٨٦: وكيف الإنجيل الذي عند النصارى؟ وماذا تقول عنه؟

ج: الإنجيل حق، من قول السيد المسيح الذي هو سلمان الفارسي في دور محمد، وهو حمزة بن علي. والمسيح الكَذِب (هو) الذي ولد من مريم لأنه ابن يوسف.

س ٨٧: وأين كان المسيح الحق لما كان (١٣ ب) المسيح الكذب مع التلاميذ؟

ج: كان معه من جملة تلاميذه. وكان ينطق بالإنجيل. وكان يُعَلّم المسيح ابن يوسف، ويقول له: اعمل ما هو كذا وكذا، حسب مرسوم دين النصرانية. وكان يسمع منه كل قوله. ولما خالف قول المسيح الحق ألقى في قلب اليهود بغضته فصلبوه.

س ٨٨: وكيف صار فيه بعد الصلب؟

ج: وضعوه في قبر، وجاء المسيح الحق وسرقه من القبر، وطمره في البستان، وقال للناس إن المسيح قام من الموتى.

س ٨٩: وليش عمل هيك؟

ج: حتى يقيم دين النصارى ويثبتوا على ما علمهم.

س ٩٠: وليش عمل هيك حتى يفند الكفر؟

ج: عمل هيك لأجل أن تنستر الموحدين في دين المسيح (١٤ أ) ولا يعرف فيهم أحداً.

س ٩١: ومن الذي قام من القبر ودخل للتلاميذ والأبواب مغلقة؟

ج: المسيح الحيّ الذي لا يموت، وهو حمزة، عبد مولانا ومملوكه.

س ٩٢: ومَنْ أظهر الإنجيل وبَشّر به؟

ج: مَتّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا ــ وهم الحرم الأربعة الذين ذكرناهم[١].

س ٩٣: وكيف النصارى ما وحّدوا؟

ج: لأجل فعل الله الذي هو الحاكم بأمره.

س ٩٤: وكيف الله يرضى بالشر والكفر؟

ج: من عادة مولانا سبحانه يضلّ ناس ويهدي ناس، كما قال في القرآن[٢]: « عَــرّف بعضه، وأعْرض عن بعض. »

س ٩٥: وإذا كان الكفر والضلال منه تعالى ليش يعذبهم؟

ج: يعذبهم لأجل أنه مَحلّ غشه لهم فأطاعوه.

س ٩٦: وكيف (١٤ ب) يطيع المغشوش وقد التبس الأمر عليه كما قال في القرآن[٣]: ولبسنا عليهم، ومكرنا بهم؟

ج: لا يُسْأل عن ذلك، لأن فعل الحاكم بعبيده لا يسأل عنه،

---

[1] يشير إلى ما جاء في السؤال رقم ٨٤: وما هم الحرم الأربعة؛ ج: هم إسماعيل، محمد، سلامه، علي، وهم: الكلمة، النفس، بهاء الدين، أبو الخير.

[2] **سورة التحريم**، آية ٣.

[3] ربما كان إشارة إلى الآيتيْن: « وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ » **(سورة الأنعام**، آية ٩**)** و« مَكَرْنَا مَكْراً وَهُــمْ لا يَشْعُرُونَ » **(سورة النمل**، آية ٥٠**)**.

لأنه قال[1]: « لا يُسْأل عمّا يفعل وهم يسألون ».[2]

ومن هذه الأسئلة والأجوبة نستخلص أن الدروز يعتقدون أن هناك مسيحَيْن: المسيح الكَذِب وهو المسيح ابن يوسف النجار، والمسيح الحق وهو حمزة بن علي، وأن المسيح الحق، حمزة، كان موجوداً مع المسيح الكذب تلميذاً من تلاميذه، وأنه هو الذي كان يعلم المسيح عيسى بن مريم، ويلقنه الإنجيل ويريه كيف يعمل، وأن المسيح الحق هذا، حمزة بن علي، لما خالفه المسيح الآخر، ابن يوسف النجار، ألقى في قلوب اليهود كراهية المسيح ابن يوسف فصلبوه، ولما صُلب المسيح ابن يوسف ووضعوه، في القبر، جاء المسيح الحق، وهو حمزة بن علي، وسرقه من القبر وطمره في البستان وقال للناس إن المسيح قام من الموتى. وواضح ما في هذا الجزء الأخير من خلط بين دور يوسف الذي من أريمتيا Joseph d'Arimathie والمريمات الثلاث من ناحية وبين هذا الدور المنسوب إلى المسيح الحق. ثم إن المسيح الذي تجلى بعد ذلك لتلاميذه بعد قيامه هو المسيح الحق، حمزة، ويسمونه المسيح الحيّ الذي لا يموت.

والخلاصة أن الدروز يعتقدون أن المسيح الحق هو حمزة بن علي بن أحمد، عبد مولاهم الحاكم بأمر الله، وأنه حيّ أبداً.

---

[1] القرآن الكريم: **سورة الأنبياء**، آية ٢٣.

[2] عن المخطوط رقم ١٤٤٤ عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، ويقع في ١٥ ورقة من الحجم الصغير، وهو بخط حديث، يعتقد دي سلان (راجع فهرسه) أنه من القرن السابع عشر الميلادي.

موقف ديانة التوحيد من اليهودية

أما موقف الدروز من اليهودية فمحدد في « **الرسالة الموسومة بالإسرائيلية الدافعة لأهل اللدد والجحود، أعني الكفرة من أهل شريعة اليهود**[1] » وهي من تأليف بهاء الدين المقتنى[2].

والمنهج المتخذ ضد اليهودية هو بعينه الذي اتخذ ضد المسيحية، أعني إثبات أن المبشّر به هو حمزة، وإيراد آيات من العهد القديم من الكتاب المقدس وتأويلها بما يخدم هذا الغرض.

١ ــ والمسألة الأولى التي يتعرض لها صاحب هذه الرسالة هي قول اليهود بعدم جواز نسخ الشرائع، وهو ما تعرض للرد عليه المسلمون من أهل السنة من قبل (راجع الجزء الأول من كتابنا هذا). وفي رده يقول: العلّة التي أوجب بها اليهود إرسال موسى لا تزال باقية، وإلاّ لم تقم حجة موسى « على أصحاب نوح ولا على من أقرّ بإبراهيم وأنكر موسى » (المخطوط رقم ١٤٣٢ عربي بباريس، ورقة ٣٣ ب)

---

[1] منها نسخة في المخطوط رقم ١٤٣٢ عربي بباريس ورقة ٣٢ أ ــ ٤٢ أ.

[2] يدل على ذلك إشارته إلى رسالتيْن: « **الرسالة المسيحية** » و« **رسالة التعقب والافتقاد** » (راجع المخطوط رقم ١٤٣٢ ورقة ٣٨ أ س ٨ ــ ٩) حيث يقول: وقد أشبعنا الرد عليهم (أي على النصارى) في قبح مذهبهم وسخافة عقولهم وعوار معتقدهم في « **التعقب** » وفي « **الرسالة المسيحية** ».

وهذه العلة هي جهل الناس بحقيقة الدين وإنكارهم لتوحيد الباري تعالى في كل عصر وحين. « وقد علم كل ذي لب أن أصحاب الشرائع قد قطع كلٌ منهم شريعة من تقدم قبله وهو يعلم أن أهلها لم يخالفوا شيئاً مما فرضه عليهم صاحب شريعتهم » (ورقة ٣٤ أ).

وحجة أخرى هي أن من شرّع شريعة هو محدث، فموسى **محَدث** مخلوق. ولا شك أن الشارع للشريعة أفضل من الشريعة التي شرعها « إن الشريعة لا تقوم بنفسها، بل هي محتاجة إلى القائم بها العالم الفاضل. وإذا كان واجباً موجوداً رفع القائم بالشريعة وفناؤه وزواله فممكنٌ إبطال الشريعة ورفعها » (ورقة ٣٥ أ). أما الشيء الذي لا يزول ولا يختلف فيه فهو « فرض الطاعة للباري جلّ وعزّ في كل ما أمر به ونهى عنه... وأمر الباري تعالى هو الثابت في الخليقة وهو الواجب دوامه... إن الأمر الذي لا يُنْسَخ ولا يتغير ولا يرفع من العالم هو ما ذكرناه من راسخ الأمر، وهو الإمام القائم العالم » (ورقة ٣٦ أ).

٢ ــ ويتلو ذلك بأن يقرر أن اليهود يترقبون من سيكون الفرج على يديه، وهو « أفضل من موسى ومن إبراهيم، وانه يأتي بالآيات والبراهين، وانه يدعو الخليقة إلى توحيد رب العالمين. » (ورقة ٣٦ ب).

ويسوق الدليل على ذلك من التوراة. ذلك أن اليهود ــ هكذا يقول صاحب هذه الرسالة ــ « قد أقروا أن موسى قد استخلف. وتواترت الأنبياء بعده، وهذه نصوص توراتهم. فمنهم يوشع وشعيا وارميا وحزقيل ومخائيل[١] ودانيال وغيرهم ممن لن نُسَمّه، إلى زمان امليخيا[٢] آخر الأنبياء عندهم، وفي زمانه جهلوا أمر الرسل وأنكروهم،

---

[1] يقصد ميخا.

[2] يقصد: ملاخيا Malachie .

وحادوا عن سننهم وجحدوهم... واليهود يتحققون من التوراة أن موسى عرّفهم وبشرهم بمجيء المسيح عيسى ودلّهم عليه وأمَرَهم بالقبول منه. وقد دلّتهم التوراة على ذلك، ودلّهم شعيا وارميا وحزقيل على طاعة الأنبياء الناطقين عن أمر الله. فجحدوا ذلك وعَمُوا عنه وأنكروه وتبرّأوا منه. ففضحهم[1] امليخيا وسفّههم وعرّفهم وأعلمهم عن الله أنه لا يقبل لهم قرباناً ولا (٣٧ ب) لهم عنده مقدار ».

وبعد هذا التعميم يذكر أقوال التوراة تفصيلاً:

٢ ــ ومنها: « جاء الأوهام[2] من سينا ــ يعني نور الله بالعبرانية، وأشرق من ساعير الشراه، ولمع من فاران، وظهر من ربوة القدس[3] » وقد علم جميع الأمم أن ظهور موسى من جبل طور سينا، وأن ساعير هو الموضع الذي ظهر منه المسيح عيسى، وفاران هو جبل مكة ومنه ظهر محمد. ثم ذكر ربوة القدس فشرّف أمرها وعظم قدرها، وفضّل (٣٨ أ) صاحبها على جميع من كان قبله، ونسب إليه النور والقدس، وأنه هو الذي يحرق بريح شفافيه الخبيث »[4]. وواضح أن الكاتب للرسالة يتلاعب بهذه الأماكن الجغرافية ويضعها حسب غرضه[5].

---

[1] Malachie وسفره آخر أسفار العهد القديم. راجع **سفر ملاخيا**، الإصحاح الأول، العبارة رقم ١٠: « لا أقبل ما تقدمه أيديكم من قرابين ».

[2] يقصد « الوهيم » = الله. والإشارة هنا إلى ما ورد في سفر « **تثنية الاشتراع** » الإصحاح ٣٣، العبارة رقم ٢.

[3] الوارد في التوراة هو قادس Cades لا القدس.

[4] إشارة إلى ما ورد في **سفر أشعيا** الإصحاح ١٠: ٣٢ ــ ١١: ٤.

[5] إذ أن ساعير هنا שׂעִיר اسم منطقة جبلية شرقي عربة كانت تسكنها الآدوميون. وفاران פָּארָן تقع في جنوب منطقة اليهودية، وتقوم بجوار ساعير وقادس، ويرى البعض أن فاران هي ايلات. وقادش קָדֵשׁ رغم الخلاف في موضعها الحقيقي فهي على كل حال عند الحافة الغربية من وادي عربة. وقد خلط كاتب الرسالة بينها وبين أورشليم القدس.

ب ــ « والدليل من التوراة على ظهور المسيح ودعوته لليهود والنصارى إلى التوحيد والدين الصحيح قول التوراة إنه سيجيء من ساعير نورٌ: مَنْ اتبعه نجا، ومَنْ تخلّف عنه هلك وغوى. وساعير بالشراة، وبها قرية تدعى ناصرة. ولذلك قيل لأمّته النصارى » (٣٨ أ).

جـ ــ « وأما الدلالة على ظهور المسيح من التوراة فهو قول شعيا[1] عن الله: « هأنــذا أخلق سماءً جديدة، وأرضاً جديدة، وليس يُذْكر الأوّل ولا يقع بقلب أحد ». وقال أيضاً شــعيا عن الله: « أنا الله، وهذا اسمي، ولا أعطي جلالي ومجدي لغيري. ما كان في القديم قد أدبر، وأنا مبشّر بالجديد قبل أن[2] يظهر ». فعرّفهم بظهور المسيح عيسى. وقال أيضاً شعيا عن الله: لا تذكروا ما مضى (٣٨ ب) ولا تتأمّلوا ما تقــدّم: إني ســأخلق جديــداً، وســيظهر فــيكم فتقتلونه ».

د ــ « وقد بشر شعيا بمجيء المسيح فقال: « سأجعل فــي الفيــافي طرقــاً، وفــي المواضع التي لا يمشى فيها أنهاراً تسقى، ثم الفحوص والثعابين والنعام ». وقال: سيظهر من ربوة القدس أربعة أنهار تسقى شرق الأرض وغربها » ــ فدلّ على ظهور من يأتي بعده.

هـ ــ ثم قال: « إني جعلت في الفيافي أنهاراً ومياهاً حيث لم تكــن، لأســقي أمّتــي المتحيرة، الآن التي أخلصت لنفسي وهي تنطق بمجدي وتوحيدي » ــ فأشار إلى قائم الحــق الظاهر في كل عصر بدعوة التوحيد. وأمرهم ألاّ يتمسكوا (٣٩ أ) بالتوراة، وأخبــرهم أنــه يرسل رسلاً بما لم يعلمه العالم من معادن لم تكن قط من المعارف الدنيوية، تنطــق بمجــده وتوحيده. ووصفهم بالقفار. فقد بشر بهذه الآية بأئمة ينطقون

---

[1] **٢ سفر شعيا**، إصحاح ٦٥، عبارة ١٧. والأول = الماضي.
[2] **سفر أشعيا**، إصحاح ٤٢ عبارات ٨ ــ ٩.

عن الله، وفضّل الأمّة الأخيرة، التي هي أمّة قائم الحق، على الأمم كلها، وأضافها إلى نفسه، وذكر أنها تنطق بمجده وتوحيده ».

و ــ « وأيضاً مما يؤيد قولنا في الدلالة والبرهان على ظهور قائم الزمان قوله: « صوتُ منادٍ في القفار، انصبوا لله طرقاً، وأقيموا في الفيافي طرقه. سترتفع الوطأة، وتنخفض الجبال والكداة، وتكون المعوّجة مستقيمة، والوعرة تكون طريقها سهلة، ويظهر جلال الله ». فهذا أعظم البيان أن الله عز وجل ــ « سيردّ النبوّة في غير الموضع الذي كانت فيه. »

ز ــ ومن الدلالة على ظهور قائم الحق قول داوود في الزبور يذكر قائم الحق، سلام الله على ذكره، وهو: قال السيد لسيدي « اجلس عن يميني حتى أجعل عدد أعدائك كرسيّ رجليك. » فعظّمه داوود وسوّره وأقرّ له بالخنوع والخضوع. ثم وصفه أيضاً داوود كيلا (٣٩ ب) يخفى أمره فقال: « سبّحوا الرب تسبيحاً جديداً. سبّحوا الذي هيكله الصالحون. ليفرح إسرائيل بخالقه ويموت صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمةً وأعطاهم النصر وسدّد الصالحين منهم بالكرامة ليسبّحوه على مضاجعهم ويكبّروا الله ويوحدوه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوفٌ ذات شفرتيْن، بهم ينتقم الله من الأمّة التي لا تبعده وتوحده ».

ح ــ وأيضاً دلّ داوود على ما دلّ عليه شعيا مِنْ ذكر القائم المنتظر سيّد الأولين والآخرين، إذ يقول إن السيد يملك جميع الدنيا، وإنه يحوز من البحر إلى لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، وإنه الذي تخرّ الجبابرة له بين يديه على رُكبهم، ويجلس أعداؤه على التراب، وتأليه الملوك بالقرابين، ويسجد له وتدين الأمم كلها بطاعته والانقياد، لأنه يخلّص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، ويرفد

الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، ويصلّى عليه في كــل الأوقــات، ويبارك عليه في كل يوم، ويدوم (٤٠ أ) ذكره إلى الأبد، مالك الجميع، صلى الله عليه. وَمثّله في التوراة بريح شفافيه يحرق الخبيث.

فهذه صفات لا يدّعيها أحدٌ من الأنبياء، ومناقب ليست تكون إلاّ لقــائم الحــق، قــائم القيامة، سلام الله على ذكره، صاحب رجال الأعراف الأطهار، الذي أعذر العوالم وأنذر إليهم قبل غيبة الامتحان والاختبار.

وأنتم أيها اليهود، وجميع أهل الشرع، في سكرتكم تعمهون. وقد ضللتم عمــا كــان الأسلاف المحقون له ينتظرون. وصحّ قول شعيا[1] في القديم أنكم لشككم لا تجدون ما تتمنونه ولا توفقون » (ورقة ٣٩ أ ــ ٤٠ أ).

ط ــ « وقد وبخّهم امليخيا ــ آخر الأنبياء عندهم قبــل غيبتــه (٤٠ ب) عــنهم ــ لطغيانهم وجحدهم للحق وكفرهم به وتمسكهم بما معهم مما قد نهُوا عنه، وتحــريفهم كــلام التوراة عن مواضعه. فلذلك أبعدهم امليخيا وسخط عليهم وقال لهم: إن الله أمرني أن آخذ معي قُلّة فَخّار وأحضر المشايخ من بني إسرائيل وأكسرها قدّامهم، وأقول لهم: هذا ما يقوله الــربّ إله الحقود هكذا أكسر هذه الأمة وهذه المدينة، كما تكسر آنية الفخّار التي لا تجبر أبداً. فمــن تقرّب إلي بكبش فكأنما يتقرب إلي بكلب. ومن ذبح لي ثوراً فكأنما ذبح لــي خنزيــراً. وقــد بغضتكم وبغضت قرابينكم. فإن رجعتم إليّ واتبعتم أمري وسلكتم سبيلي، وحفظتم ميثاق قبــة الزمان ــ رجعتُ إليكم بالمغفرة،

[1] **سفر أشعيا.**

وتلقيتكم بالتوبة. وأنقذتكم من أيدي أعدائكم[1].

فلو كنتم يا جماعة اليهود رجعتم إلى الباري واتبعتم هاديه ودليله، وقبلتم أمره وسلكتم طريق الحق وسبيله، وحفظتم ميثاقه (٤١ أ) الذي واثقكم عليه، وسلّمتم لمن أمـرتم بالتسـليم إليه، لرجع إليكم بالمغفرة وتلقاكم بالتوبة وأنقذكم من أيدي أعدائكم » (ورقة ٣٩ أ ــ ٤١ أ).

ويوصل صاحب الرسالة ما يقول إنه ينقله عن ملاخيا: « ثم قال لكم بعد ذلك تأكيـداً لتعريف سخطه عليكم: إني[2] سأعهد عهداً جديداً، وهو ميثاق قبة الزمان. وليس هو مثل العهد الذي عهدته إلى آبائكم، ولكن عهداً جديداً. وقد دعيتم، أيها اليهـود، إلـى صـاحب (٤١ ب) الميثاق المنتظر فجحدتموه، وأوقفتم عليه بعد دلالته على نفسه بالآيات والبـراهين فعرفتمـوه وأنكرتموه، كما أنكر النصارى وصية المسيح في ذكر الميثاق، لأسلافكم على البَلَس والكفـر والجحد والإباق. ولم تتأملوا ما جاء في آخر الفصل الذي يُتلى عليكم بعد تسع ساعات من يوم الخميس الكبير المؤذن للشرع المتقدمة بالنسخ والتحليل والتغيير.

(و) لما اجتمع إلى السيد الحواريون الذين أنتم لهم أيها اليهـود وجميـع النصـارى جاحدون منكرون، فقال لهم: إن وقتي قد دنا

[1] لا ينقل صاحب الرسالة هنا نصاً بعينه من **سفر ملاخيا**، بل يعبر من عنده عن المعاني العامة الواردة فـي هذا السفر الصغير. ولهذا لا نستطيع أن ندل على عبارة بنصها منقولة عن **سفر ملاخيـا**. فليراجـع السـفر بأكمله.

[2] ربما كانت الإشارة هنا إلى ما في **سفر ملاخيا**، الإصحاح الثالث، العبارة ١: « هأنذا أرسل رسولي ليمهـد الطريق أمامي. وفجأة سيدخل في هيكله السيد الذي تنشدونه، وملك الميثاق الذي تريدونه، ها هـو ذا قـادم! هكذا قال يهوا سبوت ». ويهوا سبوت = « يهوا الجيوش ». راجع **صمويل الأول**، الإصحاح الأول، العبـارة ٣.

وقرب، وعرّفهم أن يهوذا الاسخريوطي يسلمه إلى فراعنتكم، أعني اليهود المتزندقين ــ وهذا الذي جعلكم إلى اليوم تحت سخط رب العالمين ــ لما أخذ السيد خبزاً فبارك عليه وكسر وناول تلامذته وقال لهم: خذوا هذا جسدي فكلُوه. ثم أخذ كأساً فشرب وناولهم وقال لهم: خذوا هذا دمي فاشربوه. وهو الميثاق الجديد الذي (٤٢ أ) تسفك عليه دماءٌ كثيرة لمغفرة الخطايا والذنوب. ثم قال لهم، حقاً أقول لكم: إني لست أشرب من عصير الكرم من الآن إلى اليوم الذي أشربه جديداً في ملكوت أبي الله. فأشار إلى هذا الوقت الشريف الكريم الدالّ على ظهور النبأ العظيم، الذي كان العوالم له ينتظرون وإلى اليوم فيه يختلفون... وأنتم أيها اليهود وجميع الأمم قد قامت عليكم حُجّة الوليّ المنتظر، وأنتم في الإجابة مخيرون، وعن قليلٍ ترون عين اليقين وتندمون » (٤١ أ ــ ٤٢ أ).

* * *

وهكذا نرى أن مؤلف الرسالة يسلك مع اليهود نفس المسلك الذي سلكه مع النصارى، مستخدماً مع الأولين أقوالاً من العهد القديم من الكتاب المقدس، ومع الآخرين أقوالاً من الأناجيل الثلاثة: يوحنا ومتى ولوقا على الترتيب في أهمية اقتباسه منهم. والحجة الأساسية التي يسوقها واحدة في كلتا الحالتيْن وهي أن التوراة والإنجيل معاً بشّرا بمجيء قائم الزمان.

بين الدروز والنصيرية

ولما كان الدروز في سوريا ولبنان يقيمون في مناطق مجاورة للنصيرية، فقد كان من الطبيعي أن يقوم النزاع بينهما وتشتد المساجلات، خصوصاً وأن النصيرية يؤلهون علياً بن أبي طالب، بينما الدروز يقصرون دوره على دور الأساس بالنسبة إلى الناطق محمد **(صلعم)**.

وهناك رسالة كتبها ــ فيما يظهر ــ حمزة بن علي بن أحمد، عنوانها « **الرسالة الدافعة للفاسق: الرد على النصيري لعنه المولى في كل كور[1] ودور** »، وفيها يردّ على كتاب ألفه أحد النصيرية وسماه « **كتاب الحقائق وكشف المحجوب** »، وكان هذا الكتاب موجهاً ضد ديانة التوحيد، آخذاً عليها تحليل كثير من المنكرات. وقد أراد حمزة من هذا الرد أن يحفظ الموحّدين ــ أتباع ديانة التوحيد ــ من أن يدخل في دينهم أية شبهة بسبب ما ذكره هذا النصيري. والغريب أن حمزة يتوجه في هذا الرد إلى « المؤمنات » ويخاطبهنّ بنون النسوة، وكأن الرسالة موجهة إلى النساء خاصة. ولكن ربما كان السبب في ذلك أن النصيري اهتم في نقده لديانة التوحيد بمسألة استباحة فروج النساء،

[1] في المخطوط رقم ١٤٢٣ عربي بباريس ورقة ١ ب ــ ١٢ أ، والمخطوط رقم ١٤١٨ عربي بباريس ورقة ١ أ ــ ١٣ ب.

وأنه « يجب على المؤمنة ألا تمنع أخاها فرجها وأن تبذل فرجها له مباحـاً حيـث شـاء » (المخطوط رقم ١٤٢٣، ورقة ٤ أ).

ويبدو من رد حمزة أن النصيري صاحب « **كتاب الحقائق وكشف المحجوب** » قـد قرّب بين النصيرية وديانة التوحيد، واستعان بكتب الموحدين وبما كان يروى في المجـالس الباطنية التأويلية لبيان أن مذهب الدروز هو بعينه مذهب النصيرية. وهذا ما جعل حمزة يثور قليلاً إن « مَنْ قَبِل كتابه (أي كتاب هذا النصيري) عَبَدَ إبليس، واعتقد التناسخ، وحلّل الفروج، واستحلّ الكذب والبهتان... وحاشا دين مولانا ــ جل وعزّ ــ من المنكرات، وحاشا الموحدين من الفاحشات، وحاشا لعبيد مولانا سبحانه أن ينسب إليهم شيء من الشهوات البهيمية والدنية والشركية » (ورقة ١ ب ــ ٢ أ). وها هو ذا حمزة يشرع في الرد على كل المسـائل التـي أثارها هذا النصيري:

١ ــ وأول ما قاله هذا النصيري هو أن « جميع ما جرموه[1] مـن القتـل والسـرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة (بالذكور[2]) فهو مطلق للعارف والعارفة بمولانا جلّ ذكره ».

ويرد حمزة على هذا فيقول إنه « كذّب بالتنزيل والتأويـل وحـرّف » إذ لا تجـوز السرقة ولا القتل ولا الكذب. فالصدق من الإيمان كالرأس من الجسد، والقتل ما يستحسنه أحد إلاّ أن يكون كافراً.

٢ ــ « وأما قوله: إنه يجب على المؤمن ألا يمانع أخاه من ماله ولا من جاهـه، وأن يظهر لأخيه المؤمن عياله ولا يعترض عليهم فيما يجري بينهم، وإلاّ فما يتم إيمانـه ــ فقـد كذب ــ لعنه الله ــ وسرق

[1] يقصد: ما حرمته سائر الأديان.
[2] شرح فوق الكلمة في المخطوط رقم ١٤٢٣ وحده.

الأول من مجالس الحكمة بقوله: لا يمنع أخاه من ماله ولا من جاهه، ويستر بذلك على كفره وكذبه. وإلاّ فمن لا يغار على عياله فليس بمؤمن، بل هو خُرّميّ (٤ أ) طالب الراحة والإباحة، راكبٌ هواه وضلالته. إذ كان الجماع ليس هو من الدين ولا ينتسب إلى التوحيد، إلاّ أن يكون جماع الحقيقة، وهو المفاتحة بالحكمة بعد أن يكون مطلقاً للكلام مؤيداً بالحكمة الحقيقية. » ويظهر من هذا إذن أن ذلك النُصَيريّ قد استغلّ استعمال الدروز لعبارة «جماع» وهو عندهم المفاتحة بالحكمة، على طريقتهم في تأويل الألفاظ.

٣ ــ « وأما قوله بأن يجب على المؤمنة ألا تمنع أخاها فرجها، وأن تبذل فرجها له مباحاً حيث شاء، وأنه لا يتم نكاح الباطن إلاّ بنكاح الظاهر، ونَسبه إلى توحيد مولانا جلّ ذكره ــ فقد كذب على مولانا عزّ اسمه وأشرك به وألحد فيه، وَحرّف مقالة أوليائه الموحدين... وأما وسائط مولانا جلّ ذكره فما منهم أحدٌ طلب من النساء مناكحة الظاهر، ولا ذكر بأنه لا يتم لكُنّ ما تسمعنه إلا بملامسة الظاهر. فعلمنا بأنه لم يكن لهذا الفاسق النّصيري ــ لعنة المولى عليه ــ بغْيَةٌ غيرُ الفساد في دين مولانا جلّ ذكره ــ ودين المؤمنين. ودين مولانا لا ينفسد أبداً. لكنه طلب الشهوة البهيمية التي لا ينتفع بها في الدين ولا الدنيا، بل تضرّ... والدليل على إبطال هذا قول الفاسق: « بأن المجامعة الظاهرة تزيد في الدين وأنه لا يتم هذا إلاّ بهذا... أنهُ لو أن رجلاً مؤمناً موحّداً عارفاً عاش مائة سنة ولم يتزوج حلالاً ولم يعرف حراماً، لم ينقص ذلك منزلته في الدين شيئاً » (ورقة ٤ ب ــ ٥ أ).

٤ ــ « وأما قوله: « الويل كل الويل على مؤمنة تمنع أخاها فرجها، لأن الفرج مثل أئمّة الكفر، والإحليل إذا دخل فرج الامرأة دليلٌ

على الباطن، وممثوله على مكاسرة أهل الظاهر وأئمة الكفر. والحرام على من تكلم غيرُ المستحق فهو الزنا. ومن عرف الباطن فقد رفع عنه الظاهر. ــ فقد كذب على دين مولانا وحَرّف، وأغوى المؤمنين وأفسد المؤمنات المحصنات. وليس كل من عرف باطن شيء وجب عليه تركُ ظاهره. » » (٥ أ ــ ٥ ب).

ويقرر حمزة رأي ديانة التوحيد في هذه النقطة فيقول: « كل رجل ينكح امرأة مؤمنة بغير الشروط التي تجب عليه في الحقيقة والشريعة الروحانية كان منافقاً على مولانا جلّ ذكره، إذ كان فيه هتك الدين وهدم التوحيد... ومن كانت لها بعل فلا شروط لها إلاّ لبعلها، أو تبين منه وترجع في الرتبة إلى غيره. وأنا أذكر لكم الشروط التي تجب عليكم في الكتاب الموسوم **بالشريعة الروحانية** في علم اللطيف والبسيط والكثيف » (٦ أ ــ ب).

٥ ــ « وأما قولة الفاسق النصيري ــ لعنه المولى ــ إنه قد كشف لكم المحجوب، أعني التوحيد ــ فقد كذب في قوله لأنه كشف عن الكفر... بقوله في كتابه إن مولانا هو الروح الزكية الذي قيل (عنه) في القرآن: « يسألونك عن الروح، قُلْ: الروحُ من أمر ربي[1] » وأن مولانا ــ جل وعز عن ذلك ــ مُصَوّرُ الإنسان في بطن أمه عند الجماع. وهذا ما لا يستحسنه يهوديٌ في حَبْر من أحباره، ولا نصراني في أسقُفه. وأنا أجلّ عبداً من عبيد مولانا ــ جلّ ذكره ــ أن يكون مصور الحق في بطون الأمهات وأن يحصل عند المجامعة ويشاهد التصوير في بطون الأمهات. والتصوير من الأفلاك وطبائعها الأربعة. والأفلاك هنّ جمادات لا عقل لها... إن الصور كلها من

[1] **سورة الاسراء**، آية ٨٥.

نطفة الذكر وحرارة الرحم وتأثيرات الأفلاك في القوة من الطبائع لتدبير الجنين. وليس التصوير في ساعة النكاح، كما قال هذا الفاسق النصيري وَنَسبه إلى مولانا جلّ ذكره. » (٦ ب ــ ٧ ب).

٦ ــ « وأما قوله بأن أرواح النواصب والأضداد ترجع في الكلاب والقردة والخنازير إلى أن ترجع في الحديد وتُحْمى وتضرب بالمطرقة، وبعضهم في الطير والبوم، وبعضهم ترجع إلى الامرأة التي تثكل ولدها ــ فقد كذب على مولانا جلّ ذكره وأتى بالبهتان العظيم. فلا يدخل في المعقول، ولا يجب في عدل مولانا سبحانه بأن يعصيه ــ رجل عاقل لبيب فيعاقبه في صورة كلب أو خنزير، وهم لا يعقلون ما كانوا عليه في الصورة البشرية، ولا يعرفون ما جَنَوه، ويصير حديداً يُحْمى ويُضرب بالمطرقة. فأين تكون الحكمة في ذلك (٩ أ) والعدل فيهم؟! وإنما تكون الحكمة في عذاب رجلٍ يفهم ويعرف العذاب ليكون مأدبةً له وسبباً لتوبته. وأما العذاب الواقع بالإنسان (فهو) نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها في الدين وقلة معيشته وعمى قلبه في دينه ودنياه. وكذلك نقلته من قميص إلى قميص على هذا الترتيب. وكذلك الجزاء في الثواب ما دام في قميصه فهو زيادة درجته في العلوم، وارتقائه من درجة إلى درجة في اللّهوات، إلى أن يبلغ إلى حد المكاسرة، ويزيد في ماله، وينبسط في الدين من درجة إلى درجة، إلى أن يبلغ إلى حدّ **الإمامة**. فهذا أرواح الباطنية وثوابها. وما تقدم أرواح الأضداد وعقابها. فمن اعتقد هذا كان عالماً بتوحيد مولانا جلّ ذكره. والعمل الصالح مع الإخوان ينتفع به ويُثاب عليه عاجلاً وآجلاً. ويخشى من عقاب مولانا ــ جلّ ذكره (٩ ب) عاجلاً وآجلاً. ويعمل الحسنات، ويتجنّب السيئات. ومن اعتقد التناسخ، مثل النصيرية المعنوية، في علي بن أبي طالب، وعَبَدَه ــ خَسِر

الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. »

فهنا رد على النصيرية في قولهم بالتناسخ وانكار أن يقول الدروز بالتناسخ.

٧ ــ « وأما قوله إن المشركين هم النواصب الذين يشركون بين أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ــ فقد كذب وأبطل في قوله. وإن كان هذا هو الشرك، فقد رضي عليٌ بذلك، وبايع أبا بكر وعُمَرَ وعثمان، وهم يَرْوون عن علي بأنه ضَرَبَ على خُفّه فمات عشرون ألف رجل من أهل النهروان. ومَنْ كانت هذه صنعته لا يدخل تحت العجز. فعلمنا بأنه رضي بهم ومحمدٌ نَصَبَهم معه. وقد اتفقت الشيوخ المتقدمون بأن الأساس زوج الناطق، وشكله وشريكه في علم الباطن. وقد قال الناطق بأن الشرك هو خفيٌ لا يبين، كما لا يبين دبيب النملة السوداء على المسح الأسود في الليلة الظلماء. فصحّ عندنا بأن الشرك بخلاف ما قال هذا الفاسق النصيري.

ثم إنه إذا (١٠ دأ) ذكر علياً يقول: « علينا سلامه ورحمته »، وإذا ذكر مولانا جلّ ذكره يقول: « علينا سلامه ». فيطلب الرحمة من المفقود المعدوم، ويجحد الموجود في الحاكم بذاته المنفرد عن مبدعاته. ولا يكون في الكفر أعظم من هذا. فصحّ عند الموحّد العارف بأن الشرك الذي لا يغفر أبداً (هو) بأن يشرك بين عليّ بن أبي طالب وبين مولانا جلّ ذكره، ويقول: عليّ ــ مولانا الموجود، ومولانا هو عليٌ، لا فرق بينهما. والكفر ما اعتقده هذا الفاسق من العبادة في علي بن أبي طالب والجحود لمولانا جلّ ذكره. »

٨ ــ « وأما قوله بأن محمد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم الذي ظهر لمولانا الحاكم منه. ومن لم يسدق بهذا الكتاب فهو من أصحاب

هامان والشيطان وابليس، وعميت بصائرهم التي في صدورهم ـــ فقد كذب في جميع ما قاله المنجوسُ النصيري. فما عَرَف الدين ولا الحجاب. ومحمد كان حجابَ عليّ بن أبي طالب. وأما حجاب مولانا ـــ جلّ ذكره ـــ فلا.

وهذا قول مَنْ عقله سخيف، ودينه ضعيف. والحجاب هو سُترة الشيء، ليس إظهاره. والذي أظهر المولى جل اسمه نفسه منه كيف يشاء، بلا اعتراض عليه، يقال له: حجة القائم، وهو المهدي، وبه دعا الخَلْقَ بنفسه إلى نفسه، وباشر العبيد بالصورة المرئية ومخاطبة البشرية. وكُنْهُ مولانا لا تدركه الأوهام والخواطر، إذ كان العالمون لا يستطيعون النظر إلى كليته، ولا يدركون وصفه سبحانه وتعالى عما يقول المشركون علواً كبيراً » (ورقة ١٠ أ ـــ ب).

تلك هي المآخذ التي يأخذها حمزة على هذا النصيري. والصعوبات بعد ذلك كثيرة في كيفية فهم هذه الرسالة:

١ ـــ وأولها أنه لا يتضح بدقةٍ هل هذه المآخذ هي على ديانة التوحيد أو هي على مذهب النصيرية؟ لو كانت رسالة النصيري حاضرة لدينا لكنا استطعنا الجواب. ولكن الأمر لا يبدو بوضوح لا مما يورده حمزة نقلاً عن رسالة النصيري، ولا من ردوده عليها. فتارة يبدو من الراجح أن المآخذ تتعلق بمذهب الدروز، وتارة أنها تنتسب إلى مذهب النصيرية. لكن إنْ كانت تتعلق بالنصيرية، فما معنى كلام حمزة في بداية رده من أنه يخشى أن تدخل الشبهة في نفوس « الموحدين »، أي الدروز، من هذه الرسالة؟ وماذا يدعوه لتحذير المؤمنات، إن كانت هذه التهم تتعلق بمذهب النصيرية وحده؟

أفليس الأقرب إلى العقول أن يكون النصيري قد حاول أن يبيّن أن ما تذهب إليه ديانة التوحيد هو بعينه ما تذهب إلى النصيرية،

واستعان في ذلك بتأويلات الدروز أنفسهم وتعبيراتهم الموهمة؟ هذا هو ما نرجّح.

وإنا لنجد في **رسالة السؤال والجواب** « تحديداً لما يذهب إليه الدروز بالنسبة إلى النصيرية، هكذا:

« س ٤٤: كيف انفصل النصيرية عن الموحدين وخرجوا عن دين التوحيد؟

ج: انفصلوا بدعوة النصيري لهم، حيث زعم أنه عبد مولانا أمير المؤمنين، ونكر لاهوت مولانا الحاكم، واعترف بلاهوت علي بن أبي طالب الأساس، وقال إن اللاهوت ظهر في الأئمة الاثني عشر آل البيت، وغاب من بعد أن ظهر في محمد المهدي القائم، واختفى في السماء، ولبس الحلة الزرقة وسكن الشمس. وإن النصيرية كلما صفى منهم واحد بطريق الانتقال في الأدوار ورجعة (٨ أ) العالم ولبسه ثوب البشرية بعد الصفا، يرجع يصير نجم في السماء وهو مركزه الأول. وإن عمل معصية تخالف الوصية على أمير المؤمنين الرب الأعلى يعود يحيا يهودي أو مسلم سني أو نصراني. ثم يتكرر إلى أن يظهر مثل الفضة في الروباص ويرجع يصير نجم في السماء. وأن الكفرة الذين ما عبدوا عليّ بن أبي طالب كلهم يصيروا جمال وبغال وحمير وكلاب وخرفان للذبح وأمثال ذلك. لكن الوقت إلى شرحها ضيق. وخاصة انتقال نفوس البشر إلى البهائم والحيوانات. ولهم مناقب وكتب كفرية كثير مثل ذلك »[1].

---

[1] رسالة « **سؤال وجواب** » المخطوط رقم ١٤٤٤ عربي بباريس ورقة ٧ ب ــ ٨ أ.

فهرس

عقائد الدروز وأصول مذهبهم